عن لبنان... لماذا أكتب؟

نقولا ابو فيصل

الجزء الثالث

عن لبنان ... لماذا أكتب ؟

نقولا أبو فيصل

الجزء الثالث

تدقيق واخراج وتنضيد الكتروني
عارف مغامس

لوحة الغلاف
الفنان أمير سلامة

تنفيذ الطباعة
المطبعة العربية

بيروت–لبنان
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الاولى
عام ٢٠٢٣

بين تأخير الوقت ساعةً، وتأخير الوطن دهرًا

لا أدري ما الفائدة من تأخير وتقديم الساعة، فيما العالم يتقدم علينا سنوات ضوئية، الليلة سوف نؤخر الساعة في لبنان، رغم أَننا صرنا متآخرين مئات السنين، ولم نتقدم دقيقة واحدة، وربما كان محقًا زياد الرحباني بقوله: «لا أدري ما الفائدة من تأخير الوقت ساعة إِلى الوراء، لطالما في لبنان ثمة من يرجعنا ألف سنة إِلى الوراء».

يعتقد بعضهم أن سببَ تأخير الساعة لكون شروق الشمس يتأخر شتاءً، وهذا التعديل يفيد في خفض استهلاك الطاقة. أما التبرير الأكثر شيوعًا، فهو تجنب الخروج إلى العمل والمدارس قبل شروق الشمس، وهو ما كانت تعالجه مدارس السُّعوديّة سابقًا بتأخير الدوام شتاءً للطلاب، وعليه، فإن كل تبريرات تعديل التوقيت المتعلقة بصورةٍ مباشرة بتأخر الشروق والاستفادة الفعلية من ساعات النهار للعمل والإنتاج تبدو لنا غير مقنعة. ونورد أمثلة عديدة لدول لا تعتمد هذا الإِجراء. تركيا نموذجًا، حيث لا يوجد لا تقديم ولا تأخير في نظام التوقيت الصيفي والشتوي مع إِبقاء الساعة على حالها.

وفي الأخير، نرى أن ساعة الفقر ساعة، وساعة الجهل، وساعة الظلم، وساعة زيادة الغباوة، وساعة تراجع الاقتصاد، وساعة تفشي الظلم، وساعة القهر، وساعة التمرغ بالرمال الخليجية، وساعة التدخل في حروب الآخرين، كلها ساعات جلبت لنا الويل، ويرجح السبب في ذلك إِلى «منصب». والأصح ليست المشكلة في المناصب ذاتها، فهي بريئة مثل براءة الذئب من دم النبي يوسف، إنما العبرة في حسن اختيار الأشخاص الَّذين يشغلون هذه المناصب، ويجلبون الويل للوطن وللشعب، والسلام لكم .

بين تعدد الزوجات، وآفات المجتمع، ورأي الديانات

تعـدد الزوجـات هـو صيدليـة الإسـلام، وهـو يسـاهم بحسـب الـشرع في اختفـاء: الزنـا، الأرامـل، المطلقـات، أولاد الحـرام، الدعـارة، الخيانة، التبرج والعنوسـة. وهـو الحـل الوحيـد للقضـاء عـلى كل آفـات المجتمـع . وتعريـف تعـدد الزوجـات أنـه ممارسـة تقـوم عـلى زواج الرّجـل بأكثـر مـن امـرأة في وقـت واحـد، ويذهـب بعـض المشـايخ إِلى رؤيـة تعـدد الزوجـات تكريمًا للمـرأة، لأنـه يقـضي عـلى العنوسـة، في حـين تبيـح قوانـين بعـض الـدول تعـدد الزوجـات، فـإن دولًا أخـرى تمنـع ذلـك .

أمـا في المسـيحية، فـإن تعـدد الزوجـات محـرم ويعـادل الزنـا، ولكـن طائفـة واحدة في المسـيحية هـي المورمونيـة كانـت تبيـح تعـدد الزوجـات خـلال السَّـبعينيَّات، وبعدهـا جـرى منـع المرمـون مـن التعـداد. أمـا تاريخيًّـا فقـد فقـدت ألمانيـا في حـرب الثلاثـين مـا يقـارب سـبعة ملايـين رجـل ذكـر، وصـار هنـاك وفـرة في النِّسـاء ونـدرة في الرجـال، وقـد بـادر الحـكام إِلى معالجـة هـذه الأزمـة البيولوجيـة بالعـودة إِلى تعـدد الزوجـات، كـما ورد في العهـد القديـم .

وفي مؤتمـر فرانكونيـا في نورمـبرج في العـام ١٩٥٠ اتخـذ القـرار الآتي: «لا يقبـل في الأديـار الرجـال دون السـتين، وعـلى القساوسـة ومسـاعديهم (إذا لم يكونـوا قـد رسـموا)، وكهنـة المؤسسـات الدينيـة أن يتزوجـوا، ويسـمح لـكل ذكـر بـأن يتـزوج زوجتين، ويذكـر كل رجـل تذكـيرًا جِديًّا، وينبـه مـرارا مـن مِنبر الكنيسـة إِلى التـصرف عـلى هـذا النحـو في هـذه المسـألة». قصـة الحضـارة، ولديورانـت (٣٣ / ٩٨)

بين تعدد الزوجات، وآفات المجتمع، ورأي الديانات

أما في الديانة الهندوسية، فإن تعدد الزوجات موجود في كتاب الفيدا، حتى إنّ فرعًا من الديانة الهندوسية يجيز تعدد الزوجات إلى ما لا نهاية، والجمع بين الأخوات، وزواج الخال من بنات أخته، وإن جمع بينهن، ويمكنه أن يتزوج متى أراد، ومن العدد الَّذي يريده، لكن بسبب الفقر اقتصر تعدد الزوجات على الطبقات الغنية حصرًا .

بين التلوث السِّياسيّ، والتلوث الأخلاقيّ

في لبنان، نجد أن التلوث السِّياسيّ هو المحتضن والراعي الرسمي لجميع أشكال التلوث الثقافي، الإعلاميّ، الأخلاقيّ، البيئي، الصناعي والتجاري. فالبلد مختطف من قبل زمرة من التجار الَّذين تقاسموا خيراته على مدى ثلاثين عامًا. وغالبية هؤلاء هم أصحاب العقول العقيمة الَّذين تبنوا سياسات اقتصاديَّة قاتلة، أغرقت البلد بالفساد، وقادته مديونًا نحو المجهول، وربما نحو جهنم.

وقد بلغ سوء التلوث السِّياسيّ في لبنان أَنه كاد أن ينافس التلوث الأخلاقيّ، وكما أن للتلوث الأخلاقيّ مسببات ونتائج، كذلك للتلوث السِّياسيّ مسببات، وأهمها تقاعس أجهزة المحاسبة والرقابة عن القيام بواجباتها، ولعله من المفيد التذكير أن التلوث السِّياسيّ الَّذي يعيشه لبنان حاليًّا غير مسبوق في تاريخه المعاصر، على أن التلوث الفكري والأخلاقيّ في الإعلام اللُّبنانيّ، وما تبثه الفضائيات من إشاعات مغرضة بحق لبنان، قد زعزع الثقة بالوطن ومكانته الماليَّة، وصناعته وعملته الوطنية، وكما يقال: «فإن دود الخلّ منو وفيه».

وفيما بات من المؤكد أن الشَّعب اللُّبنانيّ هو من سمح للزعماء أن ينمُّوا الطائفية الَّتي باتت تنهش لبنان الوطن لحدود التلوث الإنسانيّ، وبات إصلاح الوطن بحاجة إِلى إصلاح عقول شعبِه حتى نرتقي إِلى وطن أجمل وأرقى وأكثر حضارة وثقافة. فلا الوطن الَّذي تسقط فيه أخلاقياته وأدبياته يبقى وطنًا، بل يتحول إِلى مزرعة، وأنا أكتب لكم من هذه المزرعة، «شرفونا وتعوا شوفوا» بأمّ العين الحالة الَّتي وصل إليها شعبنا، ولا تعتقدوا أن الصور المنشورة على صفحات التواصل الاجتماعي لرواد المطاعم في لبنان، ممن وفدوا إلى قضاء عطلة الأَعياد من أماكن سهرهم، هي دليل بحبوحة في لبنان، فالواقع محزن ومبك.

بين المال الحلال والمال الحرام . مذاق وطعم

ممَّا لا شك فيه أن خوف بعض اللُّبنانيّين من المال الحرام هو نعمة بحد ذاته، خاصَّة في هذه الأوقات الصعبة الَّتي أمسى فيها نصف شعب لبنان فقيرًا ومعدوم الحال، ولعل أجمل عبارة معبرة قرأتها في هذا الصدد تقول: «افعل ما شئت يا إنسان، فإنك على موعد مع الله بمفردك، هو وحده يغنيك بحلاله عن حرامه، «كما أنه بات من المؤكد أن الزعامات الفاسدة لن تستمر مع أزلامها القدامى والجدد في مخالفة القوانين، وسوف ينتهي دورها قريبًا، وبات على السِّياسيّ أن يفهم أن الزعامة والمقعد النيابي لا يمكنه شراؤهما بالمال الحرام بل بثقة الناخب والأفكار والمشاريع والرؤية.

ومن المسلمات أَيضًا أنه ما دخل المال الحرام في أمر إلا أفسده؛ فالخبيث والطيب لا يجتمعان في خير أبدًا، وخير كلام لرئيس وزراء ماليزيا حين قال: «في بلادي أناس يهتمون بالأكل الحلال أكثر من المال الحلال، والمصيبة عندنا في لبنان أنهم يشترون أصوات أولاد الحلال استعدادا لتزعمهم بأموال مسروقة، وهل الإجابة عند من كانوا السبب في مصائب الشَّعب، وتفاقم أمراضه وأوجاعه، وتجويعه، وانهيار اقتصاده، وتوقف أعماله، وتهجير شبابه ومثقفيه.

سؤالي للصوص والفاسدين والأنذال وتجار الحرب. سؤالي لبعض رجال الإعلام الَّذين يسوِّقون للفاسدين، ويعملون حراسًا لسجون السلطة، سؤالي لبعض رجال الدين: ما هو طعم المال الحرام؟ وهل مذاقه أطيب؟ وهل يختلف عن طعم المال الحلال؟ ألا تخافون الله من المال المشبوه، بل إنه الحرام بعينه؟ فالظلم ظلمات يوم القيامة، وشقاء وبؤس في الدُّنيا قبل الدينونة ؛ اِرحموا مَن في الأرض يرحمكم من في السماء.

بين تاريخ يعيد نفسه وشعوب لا تتعلم

وكأن ابن خلدون هو حي بيننا يرى ما كتبه في مقدمته بعينه، ويراقب ما الَّذي يجري في العالم العربي من لبنان وسورية والعراق، وصولًا إلى أرض اليمن السعيد، مرورًا بالأراضي المقدسة، من تعصب للطائفية والقبيلة على حساب الوطن، وبوجه خاص ما نراه في لبنان من بعض رجال السياسة المأجورين الَّذين يدَّعون الانتماء إلى الوطن، وهم في معظمهم لصوص ومرتزقة للخارج، وخونة للوطن.

وفي التاريخ ذكر ابن إياس في كتاب: بدائع الزهور، الجزء الخامس، صفحة ٢٨٠، عن وصف عساكر جيش السلطان سليم العثماني وممارستهم في مصر بعد غزوها: »فأما عساكره نفسهم قذرة، يأكلون الأكل وهم راكبون خيولهم في الأسواق، وعندهم عفاشة في أنفسهم زائدة، وقلة دين؛ وعندما جاء شهر رمضان، فكان غالبهم لا يصوم، ولا يصلي في الجوامع، ولا صلاة الجمعة إلا القليل، ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة، وليس لهم نظام يعرف، لا هم، ولا أمراؤهم، ولا وزراؤهم، فهم همج كالبهائم«.

يضيف «عندما خرج السلطان سليم من مصر عائدا إلى إسطنبول، كان بصحبته ألف جمل محملة بالذهب والفضة، فضلًا عن التحف والسلاح والنحاس والخيول والبغال، حتَّى أَنَّه نقل منها الرخام الفاخر، وكل شيء أحسنه مالًا فرح به أباؤه وأجداده من قبله، وكذلك ما غنمه وزراؤه من أموال الجزية، وكذلك عسكره، فإنهم غنموا من النهب ما لا يحصى، وما رحلوا عن الديار المصرية إلَّا والنَّاس في غاية البلية. وفي مدة إقامة السلطان سليم في القاهرة حصل لأهلها الضرر الشامل، وفقد منها خمسون صنعة، لأن الصناع المهرة هاجروا إلى إسطنبول.

بين تاريخ يعيد نفسه وشعوب لا تتعلم

ألا تعتقدون، أيها الأصدقاء، أن هذا ما حل بنا تمامًا في زمن العثمانيين الجدد، ومماليك القرن الحادي والعشرين؛ شبابنا يتناقص بالهجرة، والفقر يضرب، والكفاءات أَيضًا تهاجر، والأموال وجنى العمر في المصارف يسرق في وضح النهار، المؤسسات الصناعية والتجارية والتربوية والاستشفائية والسياحية في خبر كان؛ واللهُ لا يسامحكم، حسبي الله ينتقم للمقهورين منكم.

بين البشارة والعنصرة، رحلة الخلاص

لم يكتب كيف استقبلت القديسة مريم الروح القدس في ساعة البشارة، ولكنها بالطبع كانت مستسلمة له طَوال حياتها بكليتها، حتى سماها الآباء ﴿ عروس الروح ﴾، وقد منحها الروح القدس في تلك الساعة موهبة خاصَّة لتكون أُمًّا ومثالًا حيًّا للكنيسة، وصارت ذاكرة قلب الكنيسة الَّتي لا تُنسى، ورأس المرأة الجديدة، والممثلة عنها أمام الله في المسيح رأس الكنيسة كلها، وصارت العذراء هي حواء الجديدة، «امرأة ملتحفة بالشمس والقمر تحت قدميها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكبًا». (رؤيا ١٢: ١)

والبشارة في اللغة اللاتينية تعني annuntiatio، أي بشارة السيدة العذراء، أو بشارة الرب، وهي الاحتفال المسيحي بإعلان الملاك جبريل لمريم أنها ستحبل وتلد ابنًا من خلال ولادة عذراء، وتصبح والدة يسوع المسيح ابن الله، ويسوع يعني «يهوه، وفيما كان في روما القديمة يوم ٢٥ كانون، هو يومًا للاحتفال بالشمس الَّتي لم تُقهر، إيذانًا بعودة الأيَّام الأطول، بدأت الكنيسة في روما الاحتفال بعيد الميلاد في هذا التاريخ في عهد قسطنطين الإمبراطور المسيحي الأوَّل، وذلك لإضعاف التقاليد الوثنية.

أما العنصرة الَّتي يحتفل بها بعد خمسين يومًا من القيامة، فهي حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح الاثني عشر بعد صعوده بعشَرة أيام إِلى علية صهيون في القدس، حيث تم العشاء السري الأخير، والعنصرة تحقق مواعد الله؛ ففي الأيَّام «الأخيرة سوف يعطى الروح للجميع»، وسبق يوحنا المعمدان، وتنبأ بحضور ذلك الَّذي كان مزمعًا أن يعمّد بالروح القدس، وقد ثبَّت يسوع بعد قيامته هذه المواعيد: «تعمَدون بالروح القدس بعد أيام قليلة»، ويستعمل كتاب أعمال الرسل لوصفها رموزًا للإشارة إِلى الروح القدس، صورة ريح عاصفة، وصورة النار والتكلم باللغات.

وهكذا يكون في البشارة قد استحوذ على مريم العذراء، ظل الروح القدس «قوة العلي تظللك» وفي يوم العنصرة استحوذ عليها بالنار . ميلاد مجيد.

بين بسمة حزن، وميلاد مُخلص، وسنة عذاب جديدة قادمة.

إنه ثالث عيد ميلاد حزين يمر على اللُّبنانيّين بعد سقوط المنظومة الماليَّة في تشرين ٢٠١٩، وعلى مدى عامين وأكثر من ٢٠٢٠، حتى أواخر العام ٢٠٢١ اجتمعت على أرض لبنان، معاصي قوم نوح ولوط وقارون وفرعون ووزيره هامان، والجميل أن الله لا يزال يرحمنا، وفي الصراع بين الحق والباطل نجد رموزًا دلالية، ففي حين أن فرعون هو رمز للباطل، قابله موسى رمزًا للحق، وإذا كانت امرأة لوط رمزًا للباطل فإن مريم العذراء هي رمزٌ للطهارة، وإذا كان قارون وهامان يرمزان إلى الشر، فإن نوح وإبراهيم يرمزان إلى الخير.

مرَّ العام ٢٠٢١، ومعه مرَّ ظلم كبير على اللُّبنانيّين الَّذين لا يزالون يسألون الله عدالة السماء بعد تحكم ميليشيات المال في لبنان بعدالة الأرض، ولهم نقول: «بشِّر الظالم بالظلم ولو بعد حين». يا أهل المال، تذكروا أن المواطن اللُّبنانيّ سيبقى ليوم مماته، يحفظ في قلبه حرقة على أبسط حقوقه الَّتي حرمته منها المصارف اللُّبنانيّة، تذكروا هذا القول: «إن عمر ينام، ورب عمر لا ينام».

يقول الكاتب إيليا أبو ماضي: «اِبتسم ما أنت صانع دائها». فالابتسامة في الشدائد هي مقاومة، واللُّبنانيّون لا تتغير صفاتهم حتى ولو تغيرت أحوالهم؛ فالكريم يظل كريمًا حتى لو افتقر، والمتسامح يظل متسامحًا حتى ولو ظلم، وكم من ابتسامة تخفي خلفها ظلم الحياة والبشر. فالحياة مليئة بالظلم، لكن عدالة الله فوق كل شيء؛ لأنه يمهل ولا يهمل، وسوف ينتقم من كل ظالم. هكذا هي الحياة، ظلم ثم صبرٌ على البلاء، ثم خلاصٌ وشكرٌ؛ فبعد سنوات العذاب، وبالرغم من كل ما جرى، يأبى شعب لبنان إلا أن يتحلّى بالأخلاق، رغم صمته وخيبته؛ لأن في صمته حكمة، وفي صموده همة. هكذا هو، وسيبقى شعبًا راقيًا، أبيًا، مثل جبلٍ أشَمَّ، يرقى ويرقى ويرقىٰ، حاضرًا في قلوب كل مَن أَحبه؛ لبنان سيبقى ويبقى، والخير قادم لا محال .

بين كنيسة فاترة، ورجال دولة مستزلمين

يتذمر بعض رجال السياسة في لبنان، بأن الكنيسة فاترة ولا تقبل مشاريعهم واستزلامهم للخارج،وسبب الإحساس بعدم الرضى هذا هو أن الكنيسة لم تخضع لما يريدونه منها، ولم تبارك أعمالهم؛ لأن روح الشر لم يسوس الكنيسة بشكل عام، وهذه نعمة كبيرة، وذات مدلول أن الأفكار الخاطئة لم تنخر جسد الكنيسة بعد، رغم أن عددًا محدودًا جِدًّا من رجال الدين يستغلون إشغالهم لمهامَّ أساسية في الكنيسة، لتسويق أشخاص تحوم حولهم شبهات، يرغبون العمل في السياسة لقاء بدل مادي أو خدمات أو منافع.

وكما يقال: «العتب على قدر المحبة»، فإن توقف التراشق الإعلاميّ، واستمراره بشكل متقطع بين الكنيسة وساسة لبنان، يؤشر لتفاهم ما، لعَلاقة هي هشة من الأساس، وعلى طريقة «يا نحلة لا تقرصيني، ولا عايز عسل منك»، نجد أنه كلما شعرت الكنيسة بخيبة أمل من رجال دولة لا يستطيعون توفير أدنى مقومات الصمود لشعبهم في ظل انهيار اقتصادي وأخلاقي غير مسبوق، ولرفع العتب عنها، ربما تجاه أصوات الاستغاثة من أبنائها، فإن العَلاقة بين السلطة السِّياسيّة والكنيسة تتدهور من جديد، وتعود فاترة .

على أن المواجهات الإعلاميّة العنيفة بين السلطة الروحية والسلطة السِّياسيّة في عظات الآحاد والأعياد «تفرح الشَّعب ولا تغنيه»، وقد تصل أحيانًا إلى حد كشف الأوَّل لعورات الثاني، وتهديد الثاني الرد بالمِثل، ثم لا تلبس أن تهدأ؛ لأن الظاهر «انو دافنينو سوا»، كما يقال في العامية .

بين كراهية الإنسان لنفسه، وانعدام الثقة بالنَّفس

قد لا تكون الكورونا هي أخطر الفيروسات على وجه الأرض في هذه الأيَّام، كما يعتقد بعضهم، بل الشر والحقد والحسد والنفاق والكراهية المتأصلة في قلوب بعض البشر الَّذين نسأل الله أن يبعد شرورهم عن الَّذين يعيشون معهم أو حولهم، يضاف إلى ذلك فيروس النميمة، وأكل حقوق النَّاس بالباطل، ولا يمكننا تجاهل فيروس الغيرة ومولوداته من الحقد والحسد الأعمى، ولو تدرون كم هو خطير على الإنسان؛ لأنه يزيد كراهية الإنسان لنفسه ولمجتمعه.

على أن أعراض كراهية الإنسان لنفسه تبدأ بالعقاب النَّفسي لذاته، تليها معاقبة النَّفس بالذل والخجل والانكسار، ومع ازدياد العقاب تزداد البصمة السَّلبيّة حتى يصدّق الشخص أنه حقًا سيئ أو فاشل أو قبيح أو غبي، يضاف إليها إهانة الذات البشرية نتيجة الفقر والحرمان، وربما نتيجة الفشل، ومع توفر المنصات الاجتماعيَّة تنامت مشاعر الكراهية وصولًا إلى التوجس من الآخر والتحذير منه، ورفض فكرة التعايش معه، رغم وجود نقاط التقاء يمكنها أن تلغي هذه الفكرة، وقد تكون العادات والتقاليد الموروثة هي الأسباب الرئيسية في كراهية الإنسان لذاته أو صفاته أو حتى موقعه الاجتماعي، حتَّى أنَّه في كثير من الأمكنة نجد أن الإنسان إذا خرج عن المتوقع والمألوف، بالنِّسبة إلى ثقافة مجتمعه، فإنه يصبح محط انتقاد أو سخرية، ومعها يفقد الإنسان تقديره لذاته ويحتقرها.

بين صمت قاتل، وخلاص بعيد المنال، وطني يحتضر

يعتري شعب لبنان شعور بالصَّمت القاتل، فلا طاقة عنده للكلام، ولو كان هناك حل غير الصَّمت لاختاره هذا الشَّعب المسكين للهروب من سجن الوحدة والفقر المذل، وتخلي إخوته عنه، وكم صار هذا الشَّعب بحاجة إلى التفكير بصوت عالٍ ما قد يساعده على تحفيز ذاكرته، وتفريغ الطاقة السَّلبيّة، خصوصًا بعد سنوات من الصَّمت القاتل في حياة شعب يعيش الممات في الحياة؛ بسبب العزلة، أو بالأحرى، يعيش الحياة في سجن كبير.

إن الوضع الاقتصادي الَّذي وصل إليه لبنان لا يحتاج إلى تقارير وتحاليل في مواقع التواصل الاجتماعي، بل يحتاج إلى إعادة قراءة لخطة ماكينزي الَّتي ابتاعتها الحكومة اللُّبنانيّة بقيمة مليون وثلاثمئة ألف دولار، والَّتي جرى رميها في الأدراج، كما يتطلب همَّة وعزيمة أكبر للخروج عن الصَّمت المطبق القاتل، والعمل بجِد للنهوض الاقتصادي بالبلاد عبر تلزيم الثروات النفطية الَّتي يملكها لبنان، وضبط المعابر، واستعادة السيادة على المرافئ البحرية والبرية والمعابر الجمركية .

كل شيء هُنا انتهى تقريبًا، الوطن يُحتضَر، شعبه يهاجر، النَّاس تموت موتًا بطيئًا فيما ينهش أجساد اللُّبنانيّين، ويتاجر بأوجاعها مجموعة من المجرمين الَّذين هم سبب هذه المآسي، وإلى المُرّ الَّذي ينتظرنا أن نرتشفه، نحن ذاهبون بأقدامنا إلى المستقبل المجهول. ويبقى السؤال إلى متى يستمر الصَّمت القاتل في حرب إذلال اللُّبنانيّين وتجويعهم، الَّتي يشارك فيه الجميع، العدو والصديق، الحامي والحرامي، لكن الأمل بالله وحده الَّذي له الأمر من قبل ومن بَعد.

بين واقع نعيشه وحلم نتمناه، سافر ما تهاجر

في حياة كل منا لحظات لا تنسى، وذكريات تظل محفورة في قلوبنا، فتجعلنا عالقين بين واقع نعيشه، وحلم نتمناه في وطن نموت فيه ببطء، ونحن على قيد الحياة، حيث تنفر عقولنا من الواقع، وتعجز قدراتنا عن تحقيق الحلم؛ لأن الواقع في مكان، والأحلام في مكان آخر بعيدة المنال، لكنه يبقى هناك ملامح أمل، وإشارات من الخالق ترسم لنا الخير؛ لأن الله معنا، حتى إن الحديث عن استقرار الوضع هو مبكر لأوانه؛ لأننا لا نزال في النفق، وقد تنتهي حياة اللُّبنانيّ في وطنه بين هذا الواقع وذاك الحلم، وبين صمت وفرح الألم، وبين سبات عميق وجفوة أرق، وبين حب وفراق ولقاء وجفاء، وبين هذا وذاك يمر العمر .

إذا كنت في الاغتراب دعني أحدثك عن واقع شباب لبنان اليوم الَّذي يعيش بلا طموح، حلمه الهجرة، وقد كان يبدو لي التفكير بها أمرًا سخيفًا في شبابي، حيث الهجرة ما كانت يومًا حُلمًا حين كنت أعتقد أنه لا يمكنني التخلي عن وطني في أزماته، والَّتي طالت، تراني، هل كنت أستطيع أن أقول ذلك للنَّاس في مجتمعي، خاصَّة عندما كنت جزءًا منه وأعيش فيه؟ لكنني اليوم، أسألك بعد أن بلغ السيل الزبى، أن تفكر جيِّدًا في الأمر، ولا تفوت الفرصة.

أسألك أَيضًا أن «تسافر ولا تهاجر»، فمن المستحيل أن لا تسأل قلبك وعقلك كل شيء، تأكد من وعيك، فكر للحظة في كل الأحلام الَّتي عشتها في وطنك، الأحلام الَّتي على الرغم من أنها كانت جزءًا محببًا من حياتك، لكنك سوف تكتشف بنفسك أنها كانت زائفة، وكأنك لم تستطع رؤيتها عندما كنت فيها، وهي يا لَلأَسَف! لم تصنع مستقبلًا مضمونًا لك ولكثيرين في هذا الشرق الملعون. صديقي، أسألك أن تفكر الآن بهدوء، أليس من الممكن أن يكون كل شيء من حولك، كان مجرد حلم معقد لا يصدق؟ حلم لا تزال تعيشه ولم تخرج منه، اِسأل من حولك؟

بين كلمة حق ووجهة نظر، وداعًا ٢٠٢١

قال مطران بيروت جورج بقعوني في عظة الأحد الماضي: «يتحدثون عن حقوق المسيحيين، والمسيحيون يهاجرون». ومن وجهة نظري، لا شيء اسمه حقوق المسيحيين، بل هناك حقوق المواطنين اللُّبنانيّين، وإذا كان من حقوق للمسيحيين، فإنه من المؤكد أن الدَّولة القوية العادلة، هي الَّتي تؤمن إحقاق الحق، وليس الشركاء في المحاصصة.

عاش المرحوم لبنان الكبير مئة سنة، ومعه عاش شعبه على كذبة أن فرنسا تحمي الكِيان، وأنه ضرورة للعرب وللشرق والغرب، وأن لبنان «قطعة سما»، وأن لبنان ليس وطنًا، بل رسالة، وأن بيروت هي أمّ الشرائع، إلى أن سقطت «ورقة التوت»، بعد أن حوّله «الجراد» السِّياسيّ إِلى أرض جرداء، وهكذا يكون من يدّعون أنهم يحمون حقوق المسيحيين قد هجّروا أولاده .

في المقلب الآخر، وفي بادرة جيدة، يسعى المدير العامّ لوزارة الزراعة مشكورًا، من خلال جولات على الأوقاف والرهبانيات، بهدف تحفيزهم لاستغلال أراضيهم بطريقة علمية، وتحويلها إِلى مشاريع اقتصاديَّة، تدرّ أموالا يستفيد منها كل محتاج، بدلًا من اللجوء إِلى مؤسسات الإغاثة الَّتي لا نثق في العديد منها لأسباب عديدة تتعلق بالهدر والمحسوبيات وعدم الشفافية .

وكم نحن بحاجة إلى أمثالك مهندس لحود للانتقال إِلى الاقتصاد المنتج. خاصَّة بعد أن هدرت السلطة ٣٢٠ مليار دولار، يضاف إليها ١٠٠ مليار دولار دين عام، يضاف إليها أموال السمسرات والعمولات، وسلب أموال الهبات والمساعدات، واستغلال أملاك الدَّولة والمشاعات وحجز أموال المودعين، ولائحة لا تنتهي من السرقات على مدى ثلاثين عامًا أَنتهت بوقوع الهيكل فوق رؤوس اللُّبنانيّين، وعسى أن تكون هذه النهاية المأساوية هي بداية لقيام لبنان الجديد الَّذي لن تغيب عين الله عنه.

بين الإنتاج والاستهلاك، سوء تخطيط

في تعريف الأزمة الاقتصاديَّة هي خلل يصيب التوازن الاقتصادي، أو اختلال بين الإنتاج والاستهلاك، فهل نحن فعلًا نمرّ بأزمة اقتصاديَّة، أم أنها نتائج سوء التخطيط لسنوات مرَّت؟ وهل كان لبنان في عداد دول العالم المستهلكة قبل تشرين ٢٠١٩؟ قبل أن يبدأ بمضاعفة إنتاجه المحلي مرات، وقيام مصانع جديدة بغاية سد الفجوة بين الإنتاج والاستهلاك، والَّتي يمكن أن تحقق الاكتفاء الذاتي لوطن صغير في المِساحة، ولا يتجاوز عدد سكانه الأربعة ملايين نسَمة، وعلى الصعيد العالمي، ومع التقدم الهائل الَّذي تشهده الصناعات الغذائية، فإن العالم يشهد هدرًا للطعام خلال الإنتاج والتوزيع والاستهلاك يكفي لسد حاجات آلاف العائلات، وإليكم الأمثلة: في الخضار والفواكه ينتج العالم سَنَوِيًّا ٣٠٠٠ مليون طن، ويصل الهدر إلى ٥٤٪ أي ١٦٢٠ مليون طن تهدر، وفي الحبوب ينتج العالم سَنَوِيًّا ١٣٤٠ مليون طن، يصل الهدر إلى ٢٩٪ أي ٣٩٠ مليون طن تهدر، مما يعني في كلتا الحالَّتين أن الكميات المهدورة في الدقيقة الواحدة تسد حاجة ١٧٠٠ عائلة مكونة من ٤ أفراد لمدة عام كامل.

وفي الألبان والأجبان والبيض ينتج العالم سَنَوِيًّا ٩٠٠ مليون طن، ويصل الهدر إلى ١٩٪ أي ١٧٠ مليون طن تهدر، ممَّا يعني أن الكمية المهدورة في الدقيقة الواحدة تسد حاجة ٣٠٠ عائلة مكونة من ٤ أفراد لمدة عام كامل، أمَّا اللحوم فإن الإنتاج العالمي سَنَوِيًّا هو ٤٠٠ مليون طن، يصل الهدر إلى ٢٢٪ أي ٩٠ مليون طن تهدر، مما يعني أن الكميات المهدورة في الدقيقة الواحدة تسد حاجة ٧٥٠ عائلة مكونة من ٤ أفراد لمدة عام كامل، كذلك الأسماك فإن الإنتاج العالمي السنوي هو ٢٠٠ مليون طن، يصل الهدر إلى ٤٠٪، أي ٨٠ مليون طن تهدر، مما يعني أن الكمية المهدورة في الدقيقة الواحدة تكفي لسد حاجة ١٧٠٠ عائلة مكونة من ٤ أفراد لمدة عام كامل.

بين الجوع والتخمة، موت وفناء

يتساوى الجوع والتخمة في النتيجة، كلاهما يؤدي إلى النهاية المحتمة، أي الموت، والصدام القادم سوف يكون بين الجوع والتخمة، وقد لا تتمكن فوهات المدافع من حسمه بالحرب، وكم من الشعوب تضيع بين الجوع والتخمة بسبب حكام تجهل أن هناك شيئًا يُسمّى «الوسط» بين جوع لحدود التسوّل، وتخمة لحدود الموت، ومن ثَمَّ نهاية الاثنين سوف تكون بالفناء، وقد تكون مشكلة شعب لبنان كبيرة؛ لأنه بعد تخلصه من إقطاع العائلات الشبعانة، فإنه وقع فريسة إقطاع الحكام الجوعانة.

وبذلك يكون بين الجوع والتخمة فجوة كبيرة اسمها الظلم، وقد وصف الإمام علي بن أبي طالب التخمة: «أنها أشد فتكًا من الجوع»؛ وفي تعريف التخمة هي تناول الطعام أكثر من الحاجه، لذا خذ على قدر حاجاتك لكي تعيش يومك لا أكثر، واجعل نصب عينيك أن هنالك أناسا لا يملكون المال لشراء الخبز، لذلك لا تخف من الجوع، بل اطلب من الله أن يبعد عنك التخمة، وكما تقول الحكمة الصينية: «إنه كلما ابتعد الدماغ من الأمعاء، ازداد الجسد شموخًا».

ويبقى السؤال هل تقديم العادة على العبادة أورث الجوع للفقراء، والتخمة للأغنياء؟ فترى أناسا متخمين بجشع بما يكفي حاجتهم وفوق حاجتهم، وخير كلام ما جاء في القرآن الكريم: «إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأنفسهم». وعلى الصعيد الشخصي فإن إمكانية التأقلم عندي مع أي وضع هو في غاية السهولة، فقد عشت الحرب والسلم، الجوع والتخمة، الفقر والغنى، ولا أزال شاكرًا الله كل صباح على نعمه، خاصَّة عند قراءة الأرقام الَّتي تتحدث عن ما يفوق ٨٢١ مليون شخص في العالم يعانون الجوع، يقابلهم ١,٩ مليار شخص يعانون زيادة الوزن، وتبلغ كلفة سوء التغذية عالميًا نحو ٣,٥ مليار دولار أميركي.

بين الحب والكراهية يحبون الله ويكرهون بعضهم

عندما خلق الله النَّفس البشرية جعلها تحمل مجموعة مشاعر مضادة مثل: الحُب والكراهية، الشجاعة والخوف، وجعل الإيمان بالله هو الطريق للوصول إلى المشاعر الإيجابيّة للنفس الَّتي يجب أن نكرمها، ونُعلي فيها كل شعور إيجابيّ يزيد من طاقتها وفعَّاليتها كي تقاوم كل شعور سلبي يضعف الحب في قلوبنا، ويجعل للحقد طريقًا إليها؛ وهنا تؤدِّي الإرادة، إن وجدت، دورًا في إرشاد النَّفس البشرية إلى الطريق الصحيح.

لكن الحقيقة في مكان، والواقع في مكان آخر، وكثيرون هم «المؤمنون» الَّذين لا يتحابّون ، ويرون أن الحب من الله، والكراهية سببها أفعال إخوتهم، كما أجابني أحدهم، معتقدًا أن بعض النَّاس لا يخشون إظهار مشاعر البغض لبعضهم، ويتفنون في اختيار أقبح الألفاظ وأشنعها، وإلصاقها بإخوتهم بسبب الغيرة والحسد، وقوم «لأقعد مكانك»، ثم عدت فأجبته: لكن يا أخي «المؤمن»، إن ما بين الحب والكراهية هناك منطقة آمنة تسمى (لم تعُد تعني لي شَيْئًا)، لماذا لا تغفر له في زمن الأعياد؟ فالحب هو التعافي من الأنانية والكراهية، والتداوي بصفاء النفوس، لكن إجابته صدمتني، واسمحوا لي أن لا أشارككم بها.

لكن الليلة يا أخي «المؤمن»، وفي أول أيام السنة الجديدة، وقبل أن أنام سوف أخبر الله عن الحقد الَّذي في قلبك، وسوف أخبره عمّا عجز لسانك البوح لله به، وسوف أخبره عن مرضك النَّفسي، وعن الطريق المتعب الَّذي تعيشه أنت، عن حقدك على إخوتك الَّذين تراهم، والادعاء بحبك لله الَّذي لا تراه، وعن الذنب الَّذي وعدتني ألا تفعله، وكررته اليوم عندما احتقرت أخاك أمامي، مخالفًا عهدك لله، أرجوك يا أخي المؤمن أن تغتنم الفرصة، وتعترف بضعفك وحقدك وكرهك؛ لأنه لا منقذ لك سوى الكلام مع الله، علَّه يستجيب ويرحمك؛ لأنه غفور رحيم .

بين التفكير من دون أفعال، والأفعال من دون تفكير، ابتسم أنت في لبنان.

ليست الأمراض في الأجساد فقط، بل في الأخلاق، لذا إذا رأيت سياسيًّا سيئ الخلق، فاطلب له الشفاء، واشكر الله الَّذي عافاك مما ابتلاه. وحسنًا فعل علماء النَّفس بتقسيم الفاشلين في السياسة نوعين: الأوَّل يفكر ولا يفعل، والثاني يفعل ولا يفكر. صدقوني، أصدقائي، إن بعض الأشخاص في لبنان، ظلهم أكبر من حجمهم، وهم يفضحون أنفسهم في أسلوب كلامهم؛ فالأخلاق بين البشر هي في رد الجميل وحفظ الود، لكننا، يا يا لَلأَسَف!، وصلنا إِلى زمان تعيش فيه مخلوقات بشرية تدين وتحاسب، وربما وصل بها الأمر إِلى مشاركة الخالق في حكمه على خلقه .

ولأن التفكير الإيجابيّ يُولد الإبداع، أنصح كل رجل سياسة أن يجعل عقله مبدعًا، وأن تكون أفكاره جميلة، وأن لا يقع فى فخ الاختيارات الخاطئة بسبب التسرع واتخاذ قرارات من دون تفكير، والتأثر بمن حوله من المستشارين الفاشلين، وأن يجعل حياته مشرقة، وأن يتبع قلبه ويفعل ما يراه مناسبًا بنفسه، ولا يتكل على أحد، وأن يتماسك ويدرك معنى كلماته؛ لأن خروج بعضها منه أحيانًا من دون تفكير، أو صدور أفعال بلا تدبير، يؤديان به إِلى فقدان أحبة يستحيل تعويضهم.

من جهتي لن أندم يومًا على توصيف حكام لبنان منذ ثلاثين عامًا حتى اليوم بالقطيع؛ لأنهم ارتضوا على أنفسهم أن ينساقوا للخارج دون أيّ محاولة تفكير فيما يفعلون، أو أن بعضهم تصرف بالمال العام على أنه خاص، إضافة إلى أن جميع تصاريحهم هي خارج المنطق، فهم يرددون أقاويل كاذبة صادرة عن مشغليهم الَّذين يُملون عليهم تسويق مشاريعهم التوسعية بموجب أوامر وجب عليهم تنفيذها، علمًا أن أفضل طرق التوبة عند السِّياسيّين هي في إعادة التفكير في تصرفاتهم ومراجعة قراراتهم، وأن يكون لبنان أولًا، أليس كذلك يا سادة؟

بين كثرة الضجيج وقلة الحجاج : مرشحون لا يشبهون أسلافهم

نقل عن الإمام جعفر الصادق قوله:

«ما أكثر الضجيج، وأقل الحجيج. وما حججت إلَّا أنا وناقتي وعلي بن يقطين» [تلميذه]، وهو الَّذي آثر على نفسه، وأعطى أموال الحج لسيدة فقيرة تطلب لقمة عيشها من القمامة، يضيف: «يا حسرة على حجاج هذه الأيَّام، حيث الكذب على ألسنتهم مثل ماء الفرات، والنفاق أفخر أثوابهم»؛ ويتكرر المشهد نفسه اليوم حين نرى أشخاصًا يسعون لدخول البرلمان بحثًا عن الشهرة لا بهدف خدمة النَّاس من خلال تقديم الإغراءات الماليَّة للنَّاس من أجل الصيت وليس حبًّا في المساعدة .

قديمًا كتب نابليون بونابرت يقول: «من لا يمارس الفضيلة إلا لاكتساب الشهرة كان أقرب إلى الرذيلة»، وهذا يشبه حب الظهور الَّذي صار يعرف اليوم بحب الشهرة، وبين هذا وذاك يختلف البشر في الانتقاد صوابًا وخطًا، وبلا سوء أدب، حيث يفترض ترك مِساحة للمرشحين لعرض برامجهم الانتخابية، وليس لعرض «الصدقة غير المجانية» لشراء الناخبين، شرط أن يكون ذلك من دون تطبيل وتضخيم وتقديس، وصولًا إلى رفض السخرية منهم أو التشهير بهم دون حق .

كما أن نابليون بونابرت كان يرى أن المتنمرين ومحبي الشهرة هم الأقل شجاعة في جيشه، ولا يعهد لهم في عمليات الاختراق لصفوف العدو المحصورة فقط في العقلاء الَّذين يثق في شجاعتهم، وفي مقاربة مع واقعنا اليوم، فإنَّنا نشهد ازديادًا لأعداد الحمقى والنطيحة ومحبي الشهرة والظهور، فيما نفتقد لأشخاص عقلاء، أمثال: إيلي سكاف، وفؤاد بطرس، وصائب سلام، وسليم الحص، وإلياس سركيس، وكثيرين غيرهم، ولا نرى مانعًا للإنسان في أن يشتهر إن رغب، لكن وجب أن لا يكون ذلك على حساب الكرامة؛ فالأفضل التميز في شيء يليق بالمقام .

بين التفكير الزائد وعدم التفكير، راحة بال.

التفكير الزائد هو عندما تقلق بشأن فكرة معينة؛ والإفراط في التفكير الزائد يعرضك إلى الفشل بسبب المخاوف والصعوبات في اتخاذ القرارات، كما يساهم في الاكتئاب والقلق واضطرابات العقل، خاصَّة إذا اقتصر على التفكير في الماضي، بحثًا عن عذر، أو سببًا تلوم به نفسك، ولكن إذا كان بحثًا عن نقاط الضَّعف والخلل الَّتي كانت من الممكن أن تؤدي بك إلى عالم البؤس، فهذا جيد، كما يساهم في تجنب الخطأ والنهوض من جديد، ويبقى السؤال الصعب: متى يكون التفكير زائدًا؟

طبيبة الأمراض النَّفسيَّة في مستشفى بارك لاند ميموريال في ولاية دالاس آشلي كارول تقول: إن التفكير الزائد يصبح مشكلة عندما يبدأ في التأثير على الحياة اليومية، كأن يؤثر في شهيتك، ويسبب لك الأرق، ويجعلك في عزلة عن الآخرين، وبذلك يصبح سببًا للحد من العديد من الفرص الضائعة، على أن غالبية المفكرين يعانون من صعوبةٍ النوم ليلًا؛ لأن عقولهم تستمر في التفكير عندما يتعب الجسم، كما أن الإفراط في التفكير يمكن أن يؤثر أَيضًا في الصِحَّة الجسدية، حيث إن بعض الأشخاص الَّذين يتعاملون مع الأفكار السَّلبيّة والقلق يعانون من الصداع وآلام الجسم والمعدة.

كذلك وفقًا للجمعية الطبية الأمريكية، فإن التوتر هو السبب الأساسي لأكثر من ٦٠٪ من الأمراض الَّتي تصيب الإنسان، كما أن الإفراط في التفكير يمنع الشخص من إظهار إمكاناته الإبداعية، وبدوره يؤثر في الجهاز الهضمي، ويعيق امتصاص الجسم العناصر الغذائية الَّتي يحتاج إليها. وبعد استعراض مضار التفكير الزائد، وحسنات عدم الإفراط في التفكير الَّتي تجلب راحة البال عند بعضهم، كما يعتقدون، فالإفراط في التفكير يفسد الصداقات والعَلاقات، ويخلق مشاكل أنت بغنى عنها، لذا أنصحك عدم الإفراط في التفكير الزائد، وتسليم أمرك لله، ولتكن مشيئته.

بين نعمة الطوائف ونقمة الطائفية، لعنة.

قال الإمام المغيب السَّيِّد موسى الصدر: «إن الطوائف في لبنان هي نعمة، أما الطائفية فهي نقمة»، في حين أن المشكلة ليست في تعدد الطوائف في الوطن الصغير حجمًا، الكبير شموخًا، والغني بالشباب المنتج والمبدع حول العالم، بل هي في النفوس المتزمتة المريضة، وهكذا فإن ما تعلمناه في الصغر من أن تعدُّد الطوائف في لبنان هو نعمة، قد ذهب أدراج الرياح بعد تطييف السياسة، حيث تحولت النِعمة إلى نقمةٍ ولعنةٍ.، وأصبح لبنان بلد المصائب والنوائب، مسكونًا وملعونًا يهجره أهله.

من جهته يرى الكاتب طلال سلمان: «أن الطائفية بريئة من الإيمان والفضائل ومحاسن التراث، ولقد تم الاستيلاء عليها بحسب رأيه في اللحظة الَّتي حصل فيها الزواج بين السياسة والطائفية»، يضيف: «إن علّة الطائفية أنها مركوبة من السياسة الفالتة من المحاسبة، والَّتي هي في خدمة السياسات السافلة، وليست لإعلاء شأن الطائفة»، ويختم: «أنا المتشائم جِدًّا، متفائل جِدًّا بنخب علمانية قطعت كل اتصال بالتنظيمات الطائفية ومرجعياتها الدينية»؛ والكلام هنا للأستاذ طلال سلمان .

وفي حين أن المعارك الكلامية لا تُخاض بين الطوائف، بل بين «عرابيها»، وكل طائفة حين تكسب معركتها مع الطائفة الأخرى تحسن موقعها في الوطن على حساب الأخرى، وقد بات من المؤكد أن الأحزاب الطائفية أي القوى السِّياسيّة تعرف ذلك وتحركها، وهي متساوية في سلوكها، وأن كل طائفة سياسية حين تعلن خصمها الطائفي السِّياسيّ تحاربه باللغة ذاتها والمنطق ذاته، والنتيجة المزيد من التشرذم للوطن المسكين، لنصلي جميعًا، أيها الأصدقاء، كي يحمي الله لبنان من الطوائف والأحزاب، ويعيش وطنًا لأبنائه لا لطوائفه.

بين الدين والكفر ظاهرة تأليه رجال الدين.

يقول وليام ديورانت في قصة الحضارة: «إن الدين قد استعاد سلطانه في هذا التبادل التاريخي المضطرب بين الإيمان والكفر، وبين الدين والعلم، وذلك لأن الدين أدرك ما ينطوي عليه الإنسان من ضعف وعزلة، وبعث فيه الإلهام والشعر»؛ وهكذا فإنه عندما تجد أحدهم لا يفرق بين العلمانية والكفر، وبين الدين والدَّولة، فهو إنسان قد اختار العيش على هامش الحياة، وبات النقاش معه مضيعة للوقت.

على أن ما يسعى بعض رجال الدين الَّذين يعتقدون أنفسهم أنهم من أصناف الآلهة إِلى تحقيقه، وخلق هيبة ووقار لهم، مبالغ به لفرض تسلطهم، وعدم قبول النقاش حول مستلزمات عديدة، تبدأ بمتلازمة الخطأ والخطيئة إِلى متلازمة الفكر والكفر، والأهم بنظرهم تأليه شخصهم أثناء إحياء مراسم تكريم الله والقديسين في قداديس الآحاد والأعياد، كذلك في الصلوات اليومية وصلاة الجمعة، وكل ذلك بهدف التسلط حينًا، والرغبة في استعادة السلطان الديني، وحب التأليه حينًا آخر.

ولا يمكننا تجاهل متلازمة الخصم والحكم، حيث تجد رجل الدين المتشدد يخاصم إخوته وأبناءه، ويصبح خصمًا لك، ويجعل من نفسه قاضيًا يصدر أحكامه عليك، وليس لك حق الرد أو نقض تلك الأحكام؛ لأنها نهائية لا تقبل الطعن، ألا تعتقدون أنه آن الأوان أن يتحرر النَّاس من تأليه هؤلاء؛ لأنهم بشر مثلنا، أصحاب تقوى ومخافة الله الَّذي لم يمنحهم الوصاية علينا، ولم يفرض علينا طاعتهم حين قال: «اسمعوا أقوالهم ولا تفعلوا أفعالهم « (متى ٢٣ ,٣)؛ وعليه، فإنه حين يتحرر المسيحيون والمسلمون من فعل ذلك، والمشي خلفهم منومين مغناطيسيًا، عندها يمكننا البدء في الحديث عن الحرية والديموقراطية والكرامة الإنسانيّة.

بين وطن نخاف عليه ودولة نخاف منها.

في كل مرة نشاهد وعي حكامنا يَصيح في الزاوية تزداد قناعتنا أن نخاف على لبنان؛ لأن الأوطان الَّتي لا نخاف عليها لا نستحق العيش فيها، وكفانا كذبًا بالادعاء أننا نحب لبنان، وأننا مستعدون للموت فداءً عنه؛ كله كلام فارغ، والدليل أننا ننكفئ عند الاستحقاقات عن ممارسة حقنا الانتخابي في السعي لتبديل هذه الزمرة الحاكمة عبر صناديق الاقتراع، والَّتي إن تمت فسوف تؤمن لنا استفاقة للبنان من غيبوبته، وعودته الملاذ الآمن، وبلد الحياة والاستقرار والكرامة والشموخ، الوطن النهائي لأبنائه، الَّذي من حقه علينا أن نخاف عليه من نفوس جاحدة وقلوب حاقدة، من عدو متربص ومواطن خائن، كما يجب أن نخاف عليه أَيضًا من تقصيرنا وسكوتنا وعدم مبالاتنا .

وفيما كنا نخاف من وصول الأفكار التكفيرية إِلى لبنان، وتحول الدَّولة اللُّبنانيّة الفاشلة أصلًا إِلى دولة يرفضها المجتمع الدَّوْلِيّ ويرفضها شعب لبنان، تبدد خوفنا بعد سنوات، خاصَّة أن المشروع التكفيري قضى على نفسه ذاتيًا، بعد تأسيس دولته في العراق وسورية، وأخذه الفرصة عنوة لشرح أفكاره الَّتي انهارت ذاتيًّا، ولم تعد أفكاره جاذبة، تاركة خلفها دمارًا وخسائر فادحة، على أن مشغلي هؤلاء الجماعات قرروا الاستغناء عنهم، رغم أنهم قاموا بتغذيتهم عبر إنزالات جوية، وزودوهم بالسلاح والعتاد والغذاء، ليعمدوا بعدها إِلى سرقة خيرات البلاد الَّتي دخلوها .

وهكذا نجد الشعوب المتفرجة الساكتة عن الظلم عملًا بمبدأ: «لا شأن لنا طالما كان بعيدًا منا»، لا يعلمون أن آلية الظلم والظالمين تعمل على أساس أن الجميع مستهدف، لذلك يخطئ من يظن أن الظلم الواقع على غيره لن يصل إليه،

ذلك أن الظالم لا حياة له إلا بتعميم ظلمه، بل إنه ما إن يفرغ من إيقاع الظلم على الآخرين، فلا بد من أن يطال بظلمه من أعانه عليه بالعمل أو بالسكوت والرضا وغض الطرف، ولا محالة من أن الظلم لا بد أن يطال الظالم نفسه وهذا أمر واقع .

بين إعلام التشاؤم وإعلام الواقع، إحباط.

كل إعلام العرب من ابن تيمية إلى البصري وغيرهم، لا يرون في دنياهم غير التشاؤم، وهكذا تفعل وريثاتهم بعض وسائل الإعلام اللُّبنانيّة والعربية، والَّتي شغلها الشاغل بث روح التشاؤم، وتسخيف الأمور، وإحباط النَّاس، والتعتيم على كل بصيص أمل للبنانيين حول خروجهم من جهنم، لتزيد على معاناتهم المعيشية معاناة نفسية هدامة، والسؤال: لماذا هذا المنطق الهدام؟ أم أنها أصول اللعبة والمؤامرة الكبيرة على الوطن، يتولاها إعلام التشاؤم والكذب والخداع والإشاعات الَّذي صار شريكًا أَيضًا في نحر الوطن .

ألا يوجد قانون دَوليٌّ يحاسب المواقع الإلكترونيَّة الَّتي تتلاعب بالنقد الوطني حتى لو كانت هذه التطبيقات تصدر من خارج لبنان؟ وهل من يقنعني أنه يستحيل حجبها؟ من هنا ضرورة العمل على لجم انهيار الليرة تجاه الدولار، وتنفيذ إجراءات عاجلة تبعث الأمل، تبدأ بالتوقيع على اتفاقية ترسيم الحدود البحرية، وتسريع المفاوضات مع صندوق النقد الدَّوْلِيّ، وإعادة النظر السريع بدخل المواطن اللُّبنانيّ المتدني جِدًّا. لماذا يتفرج الجميع على المجازر اليومية بحق الشَّعب اللُّبنانيّ؟ لماذا كل هذا الاستسلام والإحباط؟ ما أعرفه، يا إخوة، هو أن حجم الاقتصاد اللُّبنانيّ صغير جِدًّا، وإمكانية التعافي كبيرة، وكما كان الانهيار سريعًا فسوف يكون النهوض سريعًا أَيضًا.

راقبوا معي كيف تتنقل بعض وسائل الإعلام اللُّبنانيّة والمواقع الأخبارية من موقف إلى موقف، يصطادون كل جرح وألم ومأساة وحزن، وكل حادثة، والهدف شحن النفوس بالإحباط وخيبة الأمل والتشاؤم كي يقولوا للشعب المسكين: إن وضعكم لا أمل في تغييره، وإن كل تغيير أو مطالبة به سيجركم إلى المزيد من الفقر والعوز والذل. هل ترون وتسمعون؟ إنها حقنة الوهم الَّتي يقدمها الإعلام المأجور الَّذي باع نفسه وباع وطنه.

بين العاهرات ورجال السياسة، مبادئ مشتركة.

في العام ١٩٧١، وفيما كان الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في زيارة إلى مدينة سوسة لتدشين مركز سياحي، أبدى رغبته في زيارة بيت الدعارة المشهور في سوسة القديمة، استغرب حاكم المدينة الأمر، لكنه نفذ طلبه، وعند وصولهم إلى المكان، سأل الرئيس عن امرأة كانت تعمل هناك منذ زمن، وهل ما زالت على قيد الحياة؟ أجابوه: نعم، فطلب إحضارها، وأتوا بالمرأة العجوز حيث أمر بمنحها منزلًا جديدًا وراتبًا قائلًا: لقد كانت هذه المرأة مناضلة في زمن الاستعمار حيث كانت تزودنا بمعلومات حول الضباط الفرنسيين الَّذين كانوا يترددون على بيت الدعارة.

نعم أصدقائي، قد يكون الانتماء الوطني للعاهرات أشرف وأنبل من انتماء بعض المسؤولين اللُّبنانيّين الفاسدين واللصوص والسارقين الَّذين يكذبون وينافقون باسم الدّين والوطن، والأسوأ من ذلك هؤلاء الَّذين يقولون في العلن: إنهم مع حقوق المظلومين والمودعين وأصحاب المداخيل الَّتي حرقها جنون الدولار، وهم في الواقع يفعلون عكس ذلك، وهكذا نجد أن العاهرة تضحي بنفسها لإسعاد الشَّعب، فيما السِّياسيّ يضحي بالشَّعب لإسعاد نفسه.

وبعد ما تقدم، نجد أن لا فرق بين العاهرة والسِّياسيّ، ونتأكد أنه في حضرة العاهرة تختفي كل معاني المروءة والشرف والصدق والوفاء، وتتغلب المصلحة، ويصبح شعار من يدفع أكثر شعارًا مقدسًا، تتهاوى أمامه حرمة الجسد؛ فالعاهرة لا تشترط من يضاجعها، بل من يدفع المال سلفًا بدل الخدمة، شأنها في ذلك شأن السِّياسيّ؛ ففي حضرة السياسة لا عداوة تدوم ولا صداقة تستمر، حيث يتخلى السِّياسيّون عن كل الشعارات الَّتي طالما تشدقوا بها علنا في سبيل المصلحة، وقد تكون في غالب الأحيان شخصيَّة.

بين الأمل والعمل، لبنان لا يموت.

يحتاج لبنان الجديد إلى ثلاث معارك هي: معركة الوعي، ومعركة الأمل، ومعركة العمل؛ وفيها الوعي ينشره كثيرون عبر مواقع التواصل ووسائل الإعلام غير المأجورة، فإن المعركة الثانية أبطالها هم ضباط وعناصر الجيش اللُّبنانيّ، حيث نجد إجماعًا وطنيًّا من كل شرائح المجتمع اللُّبنانيّ على أنهم الأمل الوحيد المتبقي لتحرير لبنان من خاطفيه، والجميع يشهد لهم بالوطنية في مواقف عديدة وبطولات مشرفة في العديد من المحطات الحرجة .

أما المعركة الثالثة فإن أبطالها هم الصناعيون والأطبَّاء والطواقم الصِحِّيَّة والاستشفائية الَّذين قدموا الكثير بالأفعال، وليس الأقوال والشعارات، كما حالنا مع السِّياسيّين، وقد تُرجم ذلك في نهضة صناعية تبشر باقتصاد منتج ومرحلة جديدة، عنوانها: قولنا والعمل، وبصمود رائع للقطاع الصحي في مقاومة جائحة كورونا.

إن تحقيق الأهداف والنجاح هو أمر سهل لكل من أراده امتطاه، وهو يحدث بعزيمة راسخة، وخطة واضحة، وهمة عالية، وهو ليس بسلعة تباع في الأسواق يتم شرائها وقت ما تشاء، ويا ليتنا نعيد قراءة بعض هذه الأقوال والأمثال الشَّعبية، والَّتي تشبه واقعنا، والَّتي تزيدنا حماسًا للعمل؛ وإِليكم بعضها: «من ابتعد عن الوسادة اقترب من السيادة»، «من أكثر النوم سبقه القوم»، «من أكثر اللوم خسر الأصحاب»، «من ترك العمل تركه الأمل». تصبحون

بين القضاء والقدر، الحب والموت والحياة.

يعجز الإنسان عن فهم لغز الحب ولغز الموت، وعن إيجاد تفسير لكليهما، فنحن لا نعلم لماذا الموت يختار شخصًا دون سواه، وكما في الموت كذلك في الحياة والحب، ولماذا نختار هذا الشخص حتى نحبه في هذا الوقت والمكان، فالحب مثل الموت، وعد وقدر لا يرد ولا يزول، هو الحب الَّذي ليس لأحد ذنب فيه، هو مثل الولادة، ومثل الموت، ليس لنا خِيارات في ساعة مجيئه، ولا الطريقة الَّتي جاء بها، وحتى في نهايته أحيانًا أقدار مكتوبة لا يمكن تجأهلها أو تأخيرها.

يقول مصطفى محمود العقاد: «إنَّكَ لا تختار حين تُحب، ولا تحب حينَ تختار، وإنَّنا مع القضاءِ والقدر حينَ نُولد، وحينَ نُحبّ، وحينَ نَموت. وإذْ سألوك عنِ الحبّ، قُل: هو اندفاعُ روح إلى روح، وإذا سألوك عن الرُّوح، قُل هيَ من أمرِ ربِّي». وهكذا، فالحب هو اهتمام وإلهام واعتناء، هو مُرٌ لذيذ، وشوقٌ طويل، وعتابٌ قصير، وصبرٌ مديد، وعناقٌ عميق، ونبضٌ سريع، فإذا اجتمعوا في قلب مُحبٍّ فعليه السّلام، لكنه في بعض الأوقات يكون الفراغ هو العامل الأساسي، والمحرك الأوَّل للدخول في عَلاقة ما، لكن الحب الَّذي يتكون من فراغ ليس حبًّا على الإطلاق.

كثيرون هم في خلاف أبديٍّ مع الحُب، إما أن تجد من يحبّك وأنت لا تحبه، أو أنك تحب من لا يحبّك، ولو شاء القدر والتقيت بمن تحبه ويحبك فقد لا تحبكما الحياة معًا، لذا عندما تحب شخصًا لا تغيِّر مشاعرك تجاهه حتى لو كثرت أخطاؤه؛ لأن العقل هو الَّذي يغضب، أما القلب فإنه سوف يبقى مليئًا بالحب. وأختم بقول للممثلة الأميركية كاثرين هاثاواي: «إنّك لا تعي حقًا معنى الموت إلَّا حينما تعرف الحب».

بين مطهّر الأرض ومطهّر السماء حكّام إلى الهلاك.

يزداد الموت البطيء في لبنان، وتزداد معه الخطابات الَّتي تحمل معها الكلمات المؤثرة بمناسبة الموت أو الدعوة إليه، فداءً للزعيم، وصرنا نسمع معظم الصلوات تقام لراحة الأموات، ونقرأ الكثير من التصريحات، وكأنها «ورقة نعوة»، وصرنا كمن نعيش في جهنم، حيث لا ملكوت في السموات، أو مطهر في الآخرة، ولا ألومهم، فهم لا يعلمون طعم الحياة، ولم يقرأونها في كتاب الله: «من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل النَّاس جميعًا». (المائدة: ٣٢)

ومن الأمثلة عن مطهر الأرض، هو الجائحة العالمية المستمرة منذ عامين تقريبًا، والَّتي جاءتنا من الصين، حيث يلقي العلماء اللوم على شعبها بالتسبب بها بسبب أطعمة صينية تحوي فيروسات لا يمكن للبشر تحملها، ويتجه بعض العلماء أَيضًا إلى الاعتقاد أن السبب يعود لتعداد شعب الصين الفقير المهمل بغالبيته للشروط الصِحِّيَّة، وصاحب التاريخ الطَّويل والحزين من المجاعات، آخرها كان قبل ٦٠ عامًا فقط، حيث قتل نحو ٤٠ مليون مواطن جوعًا.

كما أن فرضية القصاص الإلهي للبشر، والَّذي يرى مطهر السماء على الأرض ردًا على فعل ما، متوفرة أَيضًا، حيث نقرأ في التاريخ العديد من القصص الَّتي تخبر كيف أن الله فرض عقابًا على السكان السابقين في أرضهم، ما تسبب في هلاكهم، وخير مثال على الانتقام الإلهي هو الطوفان العظيم الَّذي دمر البشرية جمعاء.

كما هو موصوف في ملحمة جلجامش، الفيدا الهندوسية، أو كتاب التكوين (٦: ٩-٨: ٢٢)، تاركًا ناجيًا في المثال الأوَّل Utnapishtim ، وفي المثال الأخير، وبحسب الكتاب المقدس والقرآن الكريم، يشار إلى رجل اسمه نوح، أمره الله ببناء سفينة، وأن نوحًا وأتباعه قد نجوا في الطوفان الأوَّل من التاريخ القديم؛ ونحن في لبنان نسجد إلى الله خاشعين مصلين أن لا ينقذ حكامنا من الطوفان الثاني القادم، وأن يكون هلاكهم قريبًا، «إن موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب». نسألك أن تستجب، يا رب. قولوا آمين.

بين عقول بلا أجساد، وأجساد بلا عقول.

خلق الله الملائكة عقولًا بلا أجساد، وبلا شهوات، وخلق الحيوان جسدًا وشهوة بلا عقل، وكان كرمه مع الإنسان ظاهرًا حين خلقه جسدًا وعقلًا وشهوة، وهكذا نجد الإنسان حين يتغلب عقله على شهوته يكون أقرب إلى الله ويلتحق بالملائكة، وحين تتغلب شهوته على عقله يكون أبعد عن الله ويلتحق بالحيوان، والشهوة هي أنواع عديدة منها: شهوة السلطة، وشهوة المال، أو الاثنتان معًا، وغالبًا ما نجد الأولى تجلب الثانية، خاصَّة إذا كان المال حرامًا.

في لبنان كانت أكثر المشاكل الَّتي يعانيها الموظفون في عملهم هي الاستياء من سوء مكان العمل، وبعد المسافة من السكن، لكن اليوم، وبعد الانهيار الكبير دخلنا في كلفة الوصول إلى العمل العالية جِدًّا، وتدني قيمة الرواتب كثيرًا. يضاف إليها عدم الرضى في العمل نتيجة انعدام التقدير والضغوط النَّفسيَّة، وعدم التطور الوظيفي، وبطبيعة الحال يقود هذا الاستياء بالموظف إلى الحضور في عمله «بجسد دون عقل»، وتقل إنتاجيته، وينعدم إبداعه، وتختفي الرغبة في التميز، وينخفض مستوى الأداء عنده، وتتزايد أيام الغياب عن عمله، كما يؤثر ذلك في الذاكرة ومهارات التفكير بشكل سلبي.

مثال آخر على «أجساد بلا عقول» تجدونها عند بعض حكام لبنان ممن استباحوا وهدروا وتقاسموا خيرات الوطن اللُّبنانيّ على مدى ثلاثين عامًا، نعم، في لبنان طغمة حاكمة فاقدة للعقل والإدراك وحب الأوطان والتمييز بين مصلحة لبنان ومصلحة أعدائه، فهم لا يدرون إلى أين يأخذون البلد، وربما قالوها زلة لسان مرة، نسألك ربي وإلهي أن تنجي لبنان من الأسوأ الَّذي ينتظره، ما دمنا مستمرين في التدخل في شؤون غيرنا، ونجلب، بمعرفة أو بغير معرفة، الدب إلى كرمنا ولا نتعظ.

بين الانفصال عن الذات والاتصال بها، وجود لله.

إذا كانت معرفة الذات تقتضي الابتعاد منها بعض الوقت، فإن معرفة الآخرين تتطلب على العكس نوعًا من الاتصال، وما بين الانفصال والاتصال، تتمدد ذواتنا تارة وتنكمش طورًا لتصير أقرب إلى الله، ولعل أصدق تعبير هو للإمام علي بن أبي طالب، حين قال: «حد العقل الانفصال عن الفاني والاتصال بالباقي»؛ وفي شرح الانفصال عن الغاني فإن معناه هو الانفصال عن البشر والحيوان والنبات، وكل شيء يفنى، والاتصال بالباقي الَّذي هو الله .

يؤسس مفهوم القرب والبعد للعادات والتقاليد والقلق والحزن، ثم يأتي اليأس لينهي حياة الذات، ويؤدي إلى انحسار أحلام الإنسان وطموحه، ويطبع عَلاقاته بالفشل والاستسلام التام في الحياة، لذلك يحتاج الإنسان إلى التماثل والاختلاف في عَلاقاته الاجتماعيَّة، وأن يعيد أهمِّيَّة المسافات الَّتي تتطلب منه القرب من ذاته، ما يجعله غنيًّا نفسيًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا.

على أن السفر والتجوال حول العالم يساعدنا على اكتشاف أنفسنا، ويظهر مدى حاجتنا إلى الاختلاء مع ذاتنا في الحياة، وتحررنا من العصبية والتصلب الذهني، حيث تتسع رؤيتنا وتسمح لنا استحضار الآخرين، وهكذا يمكن للانفصال أن يقوي الاتصال، ويخلق رغبة جامحة، وعواطف صادقة، وحبًّا حقيقيًّا، كما يزيد من متانة الاقتراب والاستقرار، بعيدًا من الانعزال الَّذي تسبب بالانفصال، وهكذا يكتشف الإنسان حبه للآخرين، بعيدًا من التملك والسطو على وجودهم وكينونتهم، ويتجنب أن يخسر نفسه ويخسرهم.

بين اقتحام السماء، واقتحام جهنم، واقتحام اللَّامركزية الإداريَّة.

لم تستهوني السياسة يومًا، ولن أفكر في اقتحام أبواب جهنم، ويؤيد وجهة نظري هذه صديق ونائب حالي ومستقبلي، دخل هذا المعترك، «وجلب الدب لكرمه»، كما همس لي يومًا، في وقت نجد قلة قليلة من الأوادم والأكفاء وأصحاب السّمعة الطيبة لا يزالون مصرِّين على ركوب سباق الدخول إلى عالم السياسة لموسم ٢٠٢٢، في حين أن باقي اللُّبنانيّين الأوادم موجودون في سباق آخر لاقتحام أبواب السماء بالصلاة ورفع الأدعية إلى الله، طالبين تحقق الـلَّا مستحيل، وهو خروج لبنان من النفق المظلم.

إن احتراق قلوب اللُّبنانيّين اليومي على مالهم ورزقهم وهجرة أبنائهم، يقابله ذل وقهر وموت بطيء، كمن يشرب السم على دفعات لم يعد يحتمل، وقد بلغ السيل الزبى من بعض اللاعبين في السياسة اللُّبنانيّة، والمصفقين لهم من الشَّعب وبعض وسائل الإعلام المأجورة، وفيما نعيش طغيانهم وظلمهم في الداخل، نجد خنوعهم وخضوعهم للخارج في الوقت ذاته، حتى تأكد المؤكد أن فساد الشَّعب من فساد الحكومات والمرجعيات السِّياسيّة، وفساد الحكومات والمرجعية من خنوع وذل الشَّعب.

لا أزال أذكر مشاهد زيارة الرئيس الفرنسي مركزًا طبيًّا للأبحاث العلمية في باريس، وعند سؤاله عن جنسيات الأطبَّاء الباحثين فيه جاءت الإجابات بأنهم من لبنان والمغرب والجزائر وتونس ومالي والسنغال، وقد اقتحموا أبواب أوروبا العجوز قسرًا، علمًا أن هذه العقول المبدعة كانت أولى بها بلدانها، لكن ظلم حكامها بكل أشكاله طرد هذه العقول، واستقرت هناك رغم حاجتنا إليها.

وبناء على ما تقدم، ننعى إليكم النظام اللُّبنانيّ الفاشل، وندعوكم إلى اقتحام أبواب الجرأة، والحديث عن اللامركزية الإداريَّة الموسوعة، وتحويل لبنان إلى مقاطعات إداريَّة متحابة، وصديقة قابلة للحياة اقتصاديًا وسياسيًا وتنمويًّا، بعد احتفاظ كل مقاطعة بأموال عائداتها وخصوصيتها.

بين الإعجاب والحب والاحترام توافق وقناعة.

الحب هو مزيج من الإعجاب والاحترام والعاطفة، فإذا كان لديك صفة واحدة مما سبق فهذا يعادل دورة تدريبية، وإذا كان لديك اثنتان فأنت لست مطابقًا لمواصفات الحب تمامًا، ولكنك قريب منها، وإذا كان لديك الصفات الثلاث فأنت تعيش بالفعل في الجنَّة. بدورها الكاتبة والمغنية البريطانية سام براون كتبت تقول: «إن العالم لا يحتاج منك أن تعرف كل شيء، ولا يحتاج منك أن تكون مثاليًّا، بل يحتاج منك إعطاء أفضل صورة لك، وأن تحب من قلبك، لذا كن قدوة يحتذى بها، شارك تجارِبك مع الآخرين بالأفعال وليس بالانتقادات» .

ويمكن للإنسان أن يحب بالإحساس والعين والقلب، ثم بالحياء والوفاء اللّذين يشكلان مقياسًا لصدق هذا الحب، وكما قيل: «إن العين تعشق قبل الأذن أحيانًا»، فهذا صحيح، والدليل أن القلب يعشق كل جميل، ويجعله قريبًا لبلوغ القلب، وقد بات مؤكدًا للجميع أن التوافق الفكري هو أهم بكثير من الإعجاب والحب، رغم أن بعضهم يرى أن القناعة هي أهم من التوافق الفكري، وأنا أرى ذلك صحيحًا .

ويذهب بعضهم إِلى الاعتقاد أن التوافق الفكري يولد الإعجاب الَّذي يتحول إِلى حب، شرط توفر التقبل الفكري، الأهم طبعًا، والتوافق الفكري يعزز العَلاقات الشخصيَّة بين النَّاس، حتَّى أَنَّه يقوم بتحفيزهم من خلال التواصل، ويدفعهم إِلى مزيد من التقارب والتحابب، ولا بد من الإشارة إلى أن الاختلافات والخلافات بشتَّى أشكالها أمر طبيعيّ، ولها دور إيجابيّ في تطوير شخصيَّة الإنسان، والتأقلم مع الحياة، حتى يعتاد تقبل الآخر واحترام رأيه.

بين سقوط النظام اللُّبنانيّ وحياة الشَّعب.

يقول متى الرسول: «وَلا تُدْخِلْنَا فِي تجرِبة، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلى الأَبَدِ. آمِينَ» (متى ٦: ١٣). إن السقوط هو الدخول في التجرِبة، والحياة تحتاج إليها، وهو ليس انهزامًا؛ لأن إيمان الشَّعب بديمومة الأوطان تدهس في طريقها المنهزمين، وشعب لبنان خلق منذ التكوين مقاومًا، اسألوا موارنة وادي قنوبين، وكلنا ثقة أن الله سوف يساعدنا لتجاوز هذا المخاض العسير والانهيار الكبير؛ فالعمر يمضي، والحياة تستمر واجتيازها سواء بنجاح أو بسقوط يعتبران دروسًا للعبور إلى مكان أفضل ومستقبل آمن في وطن نأمُل وصوله قريبًا إلى نهاية درب الجلجلة.

وقد تكون هذه المعركة هي الأخيرة بين شعب لبنان وجلاديه، والَّتي بدأت في تشرين ٢٠١٩ ولا تزال مستمرة حتى يومنا هذا، حيث نرى أن الشَّعب قد أنهكت قواه نتيجة الإعصار المالي والاقتصادي وهجرة العديد من أبنائه وسقوط الهيكل فوق رأس الجميع، لكن إيمان هذا الشَّعب بهذه الأرض جعلته يصارع رفضًا للحياة الَّتي يعيشها، وطلبًا للحياة الَّتي يستحقها، ورغم ذلك فقد تعلم الشَّعب اللُّبنانيّ الكثير من هذا السقوط، انطلاقًا من أن التعثر هو بداية لتصحيح المسار، والسقوط هو ولادة جديدة لوطن جديد، وفشل النظام اللُّبنانيّ هو بداية لنظام جديد .

ولأن الحياة يجب أن تستمر، رغم خيبة الأمل الكبيرة لخسارة جنى العمر، فلا مكان للضعفاء؛ ولأن المنسحب لا يفوز، والفائز لا ينسحب، فإن شعب لبنان سوف يستمر في الصمود حتى ينهض بلده من جديد، وذلك بالاعتماد على ثروته من الطاقات البشرية المقيمة والمنتشرة، والَّتي سوف تنقذ الوطن من جلاديه، عسانا أن نورث أولادنا وطنًا وليس مزرعة، بعد أن تعلمنا أن السقوط ليس نهاية، وهذا السقوط هو بداية لحياة جديدة.

بين العدل والمساواة، نسألك الله العدل.

فيما كان رجل مسن يستقبل ضيوفًا في منزله طلب من «مجنون القرية « أن يوزع التمر على الحضور، وبعد أن لبى طلبه على وجه السرعة، سأله: هل أقسمه قسمة النَّاس أم قسمة الله؟ ليجيبه قائلًا: قسمه قسمة النَّاس، فأخذ المجنون طبق التمر، وأعطى كل ضيف ثلاث تمرات، وقدم الباقي لصاحب الدار، عندها طلب منه أن يعيد قسمته قسمة الله، فقام بجمع التمر، وأعطى الأوَّل تمرة، والثاني حفنة، والثالث لا شيء، والرابع ملأ حجره، فضحك الحاضرون طويلًا.

لقد أراد المجنون أن يقول لهم: إن لله حكمة في كل شيء، وإن أجمل ما في الحياة هو التفاوت، فلو أُعطي النَّاس جميعًا المال لم يعد له قيمة، ولو أُعطي الجميع الصِحَّة ما كان للصِحَّة قيمة، ولو أعطاهم علمًا لما كان للعلم قيمة. سرّ الحياة أن يُكمل النَّاس بعضهم، وأن لله حكمة لا ندركها بعقلنا القاصر، فحين يعطي الله المال له حكمة، وحين يمسكه له حكمة، وليس علينا أن نشتكي إذا حرمنا؛ لأن الله إذا أعطانا فقد أعطانا ما هو له، وإذا حرمنا فقد حرمنا مما ليس لنا أساسا.

ومن المسلّم به أن الله قد وزع الخير بين البشر بالعدل، وليس بالمساواة الَّتي تحمل في طياتها إجحافًا أحيانًا، ومن أُعطي المال لا نعرف ما الَّذي أُخذ منه في المقابل، ونحن على يقين أن الله لو كشف لنا الغيب ما اخترنا لأنفسنا إلا ما اختاره هو لنا، والمال لم يكن يومًا معيارًا لحب الله لنا، فالأشياء الَّتي لا تصلنا، ونحن بحاجة إليها، هي أشياء قدر الله لها التأجيل، وسوف تأتينا في الوقت المُناسب .

بين العمل الاجتماعي والعمل السِّياسيّ، زواج متعة.

لم يشهد تاريخ لبنان يومًا مشاركة فاعلة وواعية للمواطن اللُّبنانيّ في اختيار المرشح للتشريع في المجلس النيابي، والمؤهل علميًّا لصياغة التشريعات، أو حتى فهمها، أو امتلاكه تفوقًا في واحدة من علوم الطب والاقتصاد والأعمال والتربية والثقافة والصناعة والزراعة والتكنولوجيا، بل، يا يا لَلأَسَف! الشديد، كان يقع الاختيار على مقدم الخدمات الشخصيَّة، الاجتماعيَّة، كما كانت ولا تزال الدعاية الانتخابية للمرشح «رجل الخدمات»، سواء عبر توظيف أحد أبناء الناخبين، أو السعي لاستحداث مرافق خدماتية في دائرته الانتخابية، مثالًا: مستشفى حكومي، أو مدرسة رسمية، على حساب الدَّولة طبعًا، أو إخراج أحد أبناء الناخبين من السجن، أو بناء حائط دعم في قرية ما، وبالطبع تقديم التعازي والتهاني في نهاية كل أسبوع ضمن دائرته.

ولما كان «تغير الحال من المحال»، يستمر المرشحون لمنصب صاحب السعادة، «غير السعيد طبعًا»، بالعمل على الوصفة القديمة المجربة والمكفولة لضمان النجاح، لكنه منذ مدَّة ليست بعيدة، بات الدخول إلى برلمان الشَّعب شبه محصور بالأحزاب، ومن خلال الكِيانات السِّياسيّة، وصارت صعوبة الفوز مضمونة فرديًا ما لم يتم الموافقة على المرشح في لوائح وتحالفات حزبية، رغم أن بعض المرشحين المنفردين باشروا عملهم عبر توزيع الكراتين الغذائية الانتخابية والابتسامات العريضة، وقريبًا تحضروا لإقامة الموائد العامرة، عملًا بمبدأ: «طعمي التم تستحي العين»، وغالبًا كان الناخب «يأكل الطعم، ويفعلها على السنارة»، ويتنعم الشَّعب بمال الناخبين.

وإلى جميع العازفين المنفردين الَّذين يغردون خارج لوائح الأحزاب والتكتلات السِّياسيّة، أقول: صدقوني لن تفيدكم الأعمال الاجتماعيَّة، ولا

بين العمل الاجتماعي والعمل السِّياسيّ، زواج متعة

الالتصاق برجال الدين، والظهور معهم، وعرض صور أعمالكم الخيرية على صفحات التواصل، عوضًا عن عرض برامجكم الانتخابية، وإن دل ما تفعلونه على شيء فهو بسبب الإفلاس في الأفكار والرؤية، والجهل لمفردات العمل السِّياسيّ لديكم، والعجز الواضح في فهم الفرق بين العمل السِّياسيّ والعمل الاجتماعي؛ وما أخشاه أن يكون رأي الناخب مغايرًا.

ويرد في صناديق الاقتراع في الانتخابات القادمة (إذا حصلت في موعدها) بعكس المتوقع بعد أن يبيع لمن يدفع أكثر، وبذلك يخسر البرلمان اللُّبنانيّ دخول أعضاء جدد إليه، يعول عليهم المشاركة في صنع القرارات والتشريعات والرقابة؛ أما الأشخاص العاملون في العمل الاجتماعي بهدف العمل السِّياسيّ، فإن مدَّة زواج المتعة تنتهي لحظة صدور النتائج المخيبة لآمالهم .

بين كسر الأحقاد والمسامحة بين البشر.

قرأت البارحة عبارات هي من أجمل ما كتب الكاتب نجيب محفوظ حين يقول: «إن بعض البشر مثل الكتاب، قد يكون العنوان جذابًا، ولكن المحتوى لا يستحق القراءة، وبعض البشر تجد فيهم الحكمة والخير الكثير، وبعضهم الآخر لا تجد فيهم سوى جمال الغلاف». يضيف قائلًا: «إن بعض البشر مثل التاريخ، «لا يعاد ولا ينسى»، ولن يأتي مثلهم مرة أخرى».

وإذا كان الشخص الَّذي لا أزال أبحث عنه يحمل كل هذه الصفات من الحكمة والخير، وهو الَّذي «لا يعاد ولا ينسى»، فقد صرت متأكدًا أن كل الطرق تؤدي إليه حتى تلك الَّتي سلكتها لنسيانه، وبالأمس رافقتني نسْمة طيبة منه، ولا أدري ما الَّذي غيَّر مزاجي بعد أن مرت بي هذه اللحظات السعيدة، رغم أن حدوث ذلك في العادة نادر وقليل جِدًّا، البارحة طربت جدران قلبي، وفرحت آهات حزني، ولكني عرفت لاحقًا أن السبب كان السكينة الَّتي أمطرها الله على قلبي، ولا شيء آخر.

حين يسيء إنسان لآخر، فإن ردة الفعل الطبيعيّة هي رد الإساءة، ومن ثَمَّ الرد على الرد، وهكذا في سلسلة تصبح لا متناهية ومتوارثة. يبدو أن الأمر كله يحتاج إلى مبادرة واحدة، وهي من يكسر الحلقة؟ والأمر ليس بهذه السهولة، فالخلافات والتجاذبات، ومن يحقق مكاسب أكثر، هي المتعارف عليها بين البشر، والَّتي توسع الشرخ في العَلاقات، بغض النظر عن الأعراف والمعتقدات؛ والمحبة في المسيحية والعفو عند المقدرة في الإسلام هي نفسها مبدأ الأوبونتو الَّذي دعا إليه مانديلا لإنهاء عقود من الكراهية، وكسر حلقات سلسلة من الإساءة، والسؤال متى؟

بين وطن ومزرعة، ابتسامة وألم ونصيحة.

يبدو أن أهم الأشياء الَّتي يجب عليك القيام بها من أجل البقاء في لبنان، هي أن تعيش في سلام مع نفسك أولًا؛ لأنك سوف ترتكب على مدى العمر أخطاء كثيرة، وسوف تسلك طرقًا خاطئة، وتمشي عكس السير فقط؛ لأنك صاحب مبادئ، وسوف تثق بالأشخاص الخطأ، وسوف تدرك لاحقًا أنك في مواقف معينة كان من الممكن أن تتصرف، أو تتحدث بشكل مختلف، أو لا تتحدث على الإطلاق، ستكون لديك مراحل في حياتك لا تفاخر بها، أو الحديث عنها، أو حتى تكون قد فعلت أشياء لم تكن تتمناها، أو تتمنى لو أنك لم تفعلها، ولكن هذا ما جعلك إنسانا صادقًا وطيبًا .

إن الدروس الَّتي تتعلمها من الحياة بين أهلك وفي وطنك، هي جزء من شخصيتك، وليس من الممكن أن تنضج في الحياة إذا لم ترتكب أخطاء يجب أن تعترف بها، وأن تكون على استعداد للتعلم منها، والتغير بعدها، ولا يمكنك أن تستمر إذا كنت لا ترغب في تجاوز الماضي، والأهم من ذلك لا يمكنك أن تكون في سلام مع نفسك إذا كنت لا ترغب في مسامحتها على السقطات الَّتي جعلتك بهذه الصلابة، وتقبل الواقع السَّيِّئ الَّذي أوصلوا البلاد إليه، وإعطاء نفسك فرصة جديدة للمضي قدمًا في الاستمرار.

اِجعل أصحاب الوجوه المبتسمة هم الأقرب إليك، وشارك الأمل مع البائسين من حولك الَّذين باتوا غير قادرين على الابتسام من كثرة الألم، حاول إظهار الإيجابيّة لأولئك من خلال الدعم والتعاطف والتضامن، واستمع إليهم إذا كانوا يريدون ذلك، ضع ابتساماتك المزيفة خارجًا، وحاول إظهار مدى قوتك في تحمل الألم النَّفسي للعالم، وخيبات الأمل اللُّبنانيّة، رغم معرفتك الكاملة أن أسوأ أنواع

الألم، هو عندما تبتسم فقط لوقف تساقط الدموع في بلد صار الحزن يسيطر في كل ناحية ومكان؛ إليك نتضرع، ونسألك يا رب الخلاص، وأنت القادر على كل شيء. وختامًا مبارك لك دولة الرئيس سعد الحريري خروجكم من هذا المستنقع الوسخ، وإلى الانهيار الكامل شدوا أحزمتكم .

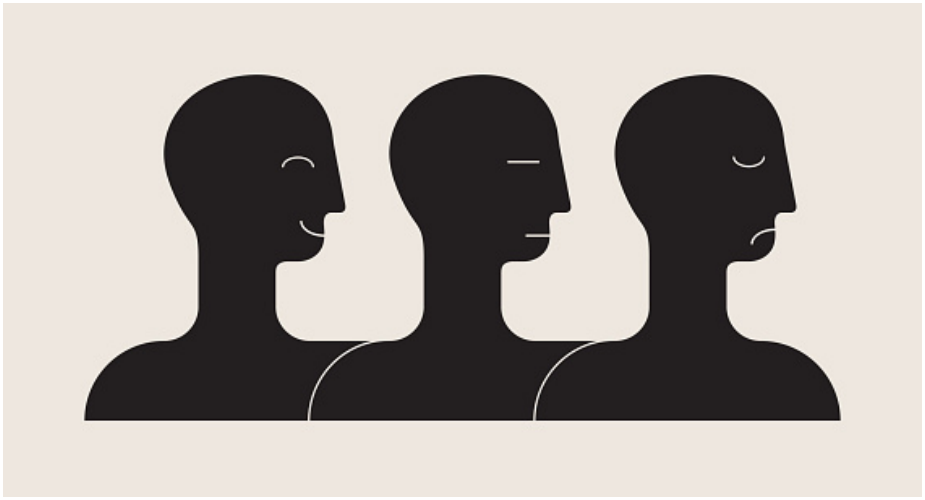

بين لبنان الكبير ولبنان الصغير، خطيئة لا تغتفر وقدر مجهول.

ولد المرحوم لبنان الكبير عام ١٩٢٠، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، ومع البدء بتطبيق اتفاق العقيد البريطاني مارك سايكس، والدبلوماسي الفرنسي فرنسوا جورج بيكو

The Sykes–Picot Agreement ، وتقاسم النفوذ بين الدولتين، والَّتي ذهب بنتيجتها لبنان من حِصَّة فرنسا الَّتي حرصت على تكبير مِساحة جبل لبنان، وضمّ مناطق إليه لأسباب إستراتيجية واقتصاديَّة وديموغرافية، وبهدف تحويل لبنان إِلى مركز التجارة والمال والحرية والتنوّع في المنطقة، وكي يكون قادرًا على منافسة دول المنطقة، والقيام بأدوار متعدّدة.

وقد تميّز لبنان بسبب موقعه ودوره وخصوصيّته، وبكونه البلد الأكثر تنوّعًا في الشرق، وقد شكّل لبنان مصرِف العالم العربي الأكبر، والمركز المالي الأهمّ على مدى ١٠٠ عام، وفي كلّ الأزمات الَّتي طالت دول المنطقة كانت رؤوس الأموال تُهرّب إِلى المصارف اللُّبنانيّة، وأَدَّى مرفأ بيروت دورًا هامًّا في الترانزيت، وانتقال البضائع إِلى دول المنطقة، وكان لبنان مركزًا للجامعات الكبرى، والمستشفيات المتطوّرة في الشرق، واحة للحرّيات، والتنوّع الديني والسِّياسيّ والفكري، ومركزًا للصحف العربية .

في العهد العراقي السابق كان الوزير الصحاف يبشر بالنصر، وكانت بغداد على شفير السقوط، واليوم بات هناك الكثير من نسخ «الصحاف» في لبنان، يكذبون ليل نهار، والشَّعب يمشي مثل الجثث المتحركة، وبانتظار أن يستفيق حكامنا نجد البلد ينهار اقتصاديًّا وأخلاقيًّا، فيما المؤسسات التجارية والسياحية

تقفل أبوابها، وبعضها دخل في موت سريري تعمل بمعظمها للحفاظ على عمالها لعدم تهجيرهم .

ويبقى الأهم الإجابة عن بعض الأسئلة، وهي: هل فشل النظام السِّياسيّ للبنان الكبير؟ وهل الخروج من لبنان الصغير كان انتحارًا في المحيط الواسع في لبنان الكبير؟ وهل كان خطيئة لا تغتفر؟ وهل يدفع اللُّبنانيّون اليوم نتيجة قدرهم القاتل منذ ١٠٠ عام؟ (في الصورة قرش مقدوح يساوي حياة اللُّبنانيّ اليوم في وطنه).

بين القتيل والقاتل والوحوش، البشرية الَّتي تعتاش على القتل.

في وطني القتيل مجرم، والقاتل ضحية، حتى إن ثقافة الشعوب تغيرت، وما عادت تفرق بين القتيل والقاتل، وجعلت الأخير منتصرًا، وصارت في صمتها شريكة له، وقد يكون أعظم سؤال في التاريخ: لماذا قتل قابيل أخاه هابيل؟ وهما اثنان لا سواهما في الأرض الواسعة، ولو سار كل منهما خطوة لما التقت خطاهما إلَّا بعد جيل أو أكثر، فكيف ضاقت بهما الأرض فكانا القاتل والقتيل؟ ولن أتناول الحروب القديمة البشعة؛ لأن مسلسل القتل باسم الدين يتكرر، ويستمر عبر التاريخ، وهو بحاجة فقط إلى رجل دين متطرف، أيًّا تكن طائفته، يقوم بتجهيز خطبة عصماء، أو عظة طنانة، يطالب فيها الشَّعب إنقاذ الدين من أعداء الله حتى يقوم الأغبياء أفواجًا أفواجًا بالمشاركة في حفلة القتل والاغتصاب المجاني .

ما حدث في المجتمعات العربية من قتل وتهجير، من المؤكد أنه تم وَفق موافقة دينية ومذهبية، حتى أصبح القتل، ومن بعده السبي، الطريق الوحيد للتعامل مع الآخرين في أماكن الصراعات في العالم من العراق إلى سورية واليمن، أو غيرها من الأماكن، حيث مارس المتطرف دينيًا هوايته، وأشبع شهوته بالقتل تحت شعارات عديدة، منها الدفاع عن الدين، ونصرة الأخ في أي بقعة في العالم، والأكثر غرابة في هذا الموضوع أن الحديث عن كيفية ابتكار طرق جديدة للاستمتاع بقتل الآخرين صار لديهم بمنزلة تقرب من الله.

تاريخيًّا، لم يشفع الادعاء بأن المسيحية والإسلام هما ديانتان سماويتان بعثهما الرب الإله لتحقيق العدالة للإنسانية بعد أن خلق الأرض والسماء وما بينهما، وخلق الحياة الأبديَّة وملكوت السموات؛ لكن بعض رجال السياسة استطاعوا بمباركة دينية، ربما تحويل بعض الأشخاص من مواطنيهم إلى وحوش تعتاش على دماء الآخرين الأبرياء، وفي الأغلب هؤلاء الأبرياء هم الضحايا في الصراعات الدينية السِّياسيّة من قبل الَّذين يخططون لهم من خلف البحار، ويدفعون أجورهم من خيرات بلادهم المنهوبة، وهم في أمن وأمان.

بين العمل بالعقل، والعمل بالقلب، طيبة زائدة.

منذ أن تعلمت النشيد الوطني اللُّبنانيّ في الصغر، وحتى اليوم لم أجد في حياتي أجمل من مقطع: «قولنا والعمل»، وقد حملته معي إلى أصقاع الأرض على طريقة «رزق يأتي، ورزق يطلبك لجلبه»، ومعه وجدت أن العمل بالعقل يوفر المجهود، كما تعلمت من التجارِب أنه يؤمن مكسبًا أكثر من العمل بالقلب، بل إنه مضمون أكثر، شرط عدم الإفراط في التفكير الزائد، والأحلام المستحيلة، وعدم إدخال العقل في صراعات واضطرابات نفسية تؤذي صاحبها، وتؤذي الآخرين، رغم قناعتي التامة أن لا شيء في الحياة مستحيل، إنما المستحيل يأخذ وقتًا أطول.

كتب الأديب عبَّاس محمود العقاد يقول: «حين يكون العمل بالعقل أمرًا من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطل عقله مرضاة لمخلوق مثله، أو خوفًا منه، ولو كان هذا المخلوق جمهرة من الخلق تحيط بالجماعات وتتعاقب مع الأجيال»؛ ولأنني أوافقه الرأي، أرى أنَّه نحن البشر، لو كنا نرى الأشياء بالضمير والحكمة لما تعطل العقل مع قناعتي الكاملة أن هناك أشياء لا يستطيع العقل إدراكها وفهمها، ويتوقف عندها عقل الإنسان عن التفكير والتحليل والاستنتاج.

كثيرون هم في الحياة الَّذين يعملون بقلوب طيبة ونية صادقة، ولا يتوقعون شَيْئًا في المقابل، ولا يخيب الله آمالهم عادة لطيبتهم الزائدة، وهؤلاء النَّاس الطيبون معرضون للاستغلال من أناس لا يعرفون الله لا في السر ولا في العلن، رغم التظاهر عكس ذلك في المجتمع، ولقد تعرفت في الحياة على أشخاص وأصدقاء من أصحاب القلوب الطيبة الَّذين يرفضون القسوة على أحد، وهم

بين العمل بالعقل، والعمل بالقلب، طيبة زائدة

أشخاص ليسوا أغبياء على الإطلاق؛ لكنهم مهملون من الطراز الأوَّل، وخاصَّة في العمل، يبدأون في مهمة وينتقلون إلى مهمة ثانية قبل إنهاء الأولى، ويعيشون حياة شبه فوضاوية، ولكن قلوبهم الطيبة جعلت كل من حولهم يحبهم؛ لأنهم يساعدون دون أن يطلب إليهم ذلك، هدفهم الأوَّل والأخير في الحياة إسعاد الآخرين، وبذلك يكسبون قلوب من حولهم، لكني أخاف أن الطيبة الزائدة تجعلهم يعتادون على الانكسار.

بين رسم الإستراتيجيات التضامنية وهدمها.

بات من الضروري إجراء ورش عمل ونقاشات مكثفة، لتطوير الإستراتيجية التضامنية وتعزيزها مع المواطن اللُّبنانيّ الَّذي يعيش أسوأ أزمة اقتصاديَّة عرفها لبنان في تاريخه المعاصر، كذلك بات من الضروري جِدًّا تفعيل البرامج والخطط المشتركة، للانتقال بها من التسييس وإضاعة الوقت إلى التنفيذ، لمواكبة المآسي والأوضاع التظلمية الَّتي يتخبط بها المواطن اللُّبنانيّ المسكين المقيم على أرض الوطن.

على أن الإستراتيجية التكافلية هي واحدة من الوسائل المشروعة لتحقيق الأهداف المستخدمة لزيادة الوعي بالتضامن الاجتماعي، واليوم يتم تنفيذ العديد من هذه الأفكار من قبل مؤسسات المجتمع المدني في ظل غياب تام للدولة الغائبة عن الوعي، كما تشغل منصات التواصل الاجتماعي مكانة مهمة في تحقيق هذه الأهداف؛ لأن معظم الأشخاص يقضون وقتًا طويلًا على هذه الوسائل، حتى التسوق وإجراء عمليات شراء وتبادل على هذه المنصات، خاصَّة من اللُّبنانيّين في دول الانتشار، حيث يؤدِّي اللُّبنانيّ المغترب دورًا في تخفيف الأعباء عن اللُّبنانيّ المقيم بوسائل متعددة .

يضاف إلى ذلك، فإن المنافسة على أبسط حقوق العيش، جعلت شعب لبنان يعيش حالة من الهلع، ويتنازل عن الكثير من المبادئ والأخلاق، وهذا جزء من إستراتيجيَّة هدم المجتمع الممنهجة، ويبدو أن الإستراتيجيَّة المقبلة تتجه انحدارًا بعد تشريع سرقة المصارف لجنى العمر، والفلتان في الأسواق، وجشع التجار، وتشريد الشباب اللُّبنانيّ حول العالم، واستمرار الحكام في تبني الإستراتيجية القائلة: «إكمال النوم في العمل». نعم نحن نعيش في لبنان إستراتيجيَّة إدارة سيئة للغاية بكل مرارتها، رحمتك يا الله.

بين التوبة والغفران، هل للحب عَلاقة؟

يُصبح الغفران صعبًا عندما لا يجد أمامه توبة صادقة، ولا يمكن للإنسان أن يتعافى من وجع الضمير بالإكثار من الأصدقاء، ولا بإقامة عَلاقات اجتماعيَّة جديدة، ولا بإظهار كرمه في توزيع المال شمالًا ويمينًا، بل يتعافى بقدر رضاه عن نفسه، وبقدر ما يكون حقيقيًّا في حياته، وجميلًا من الدخل، لا ظاهريًّا فقط، ويمكنه الحصول على التعافي بما يملك من الصراحة والصدق واللين والوضوح، وبقدر تصالحه مع ذاته وحنانه على نفسه قبل غيره، والثابت أنه يتعافى بما يملك قلبه من قدرة على الغفران.

الغفران ليس دليلًا على الحب دائمًا، بل يكون أحيانًا دليلًا على موته، موت الغيرة، موت اللهفة، موت الاهتمام، وهو وجه من أوجه النسيان. كثيرون في الحياة، وأنا منهم، يرددون هذه الأيَّام: «خطاياي أخجلتني، يا الله، ومنك نطلب الغفران والتوبة»، لكن قبول الله اعتذار هؤلاء يكون بمقدار الحب وليس بمقدار العذر، فالتسامح هو قوة وليس ضعفًا؛ لأنه يُفترض أن يترافق مع الندم، والتعهد بعدم العودة للإساءة وإيذاء الآخرين .

عندما يقول أحدهم: إنه غفر، فاعلموا أنه شُفي بعد أن استطاع تفريغ الطاقة السَّلبيّة، وتنظيف قلبه من نتائج الصدمات الَّتي تعرض لها، وكانت نتيجتها حب الانتقام والكراهية، وهذه المغفرة هي أجمل هدية للآخرين، أما النسيان فهو هدية الإنسان لنفسه، لذا عليه أن يمنحها لمن يستحق، وأن لا يبقى تائهًا بين الحياة والموت، وبين الذنوب والتوبه، بين الخطأ والصواب.

ختامًا نسأل الله أن يعطينا الثبات في الإيمان، وأن يزرع في قلوبنا الخشوع والورع، راجين منه قبول غفران ذنوبنا وزلاتنا، وأن يقدس حياتنا، ويحمينا من كل شر، بعد أن كفرنا بحكام الأرض الَّذين لا يعرفون الله .

بين وطن الأرز ووطن الكبتاغون، دولة على مين؟

بات تصدير كميات كبيرة من الكبتاغون من لبنان إلى دول الخليج العربي أمرًا مقلقًا للغاية، وقد أربك أجهزة الرقابة في المنافذ الحدودية والبحرية والجوية، ما اضطر السُّعوديّة والبحرين إلى اتخاذ القرار بمقاطعة كاملة للصادرات اللُّبنانيّة الزِّراعيَّة والصناعية، ويعود السبب في ذلك إلى الفساد المستشري في لبنان، وخاصَّة في المناطق الخارجة عن سيطرة الدَّولة اللُّبنانيّة، وثمة معلومات تفيد عن ازدهار في الإنتاج المقدر بحوالي ٦٠٠ ألف قرص كبتاغون أسبوعيًّا - بقيمة ٣ ملايين دولار أمريكي، وتكلفة إنتاجها متدنية لا تتجاوز نصف دولار تقريبًا للقرص الَّذي يعطي مردودًا ماليًّا يصل إلى نحو ٥ دولارات في الدول العربية.

يصارع لبنان الانهيار الاقتصادي الَّذي دفع العديد من أبنائه إلى الخروج من البلاد وهجرة القرى والمدن، أو «العض على الجرح»، وانتظار رحمة الله، أو الانخراط في أنشطة غير مشروعة داخل الوطن، ومنها الاتجار بالمخدِّرات، ويكثر الحديث حاليًّا عن الكبتاغون، وهو مخدِّر رخيص الثمن، يؤمن النشاط والنشوة على ما يدعي متعاطوه، كما يتسبب وجود هذا المخدِّر في ازدياد الجريمة، ولو لم يكن هناك فساد لما كانت جريمة، يا يا لَلأَسَف!. وسوف يكون ذلك عائقًا أمام التعافي من الانهيار الاقتصادي المستمر.

في العام ٢٠٢٠ ، ووفقًا لتقرير صادر عن مركز التحليل والبحوث العملية، ومقره قبرص، بلغت قيمة صادرات الكبتاغون من لبنان وسورية ٣,٤٦ مليار دولار أميركي، وقد ساهمت الحرب في سورية في ازدهار تصنيع وتهريب الكبتاغون الَّذي لم يكن موجودًا في لبنان قبل الأزمة السورية، علمًا أن لبعض مناطق لبنان المهملة من الدَّولة، تاريخًا في زراعة المخدِّرات، بحسب تقرير لمكتب الأمم

بين وطن الأرز ووطن الكبتاغون، دولة على مين؟

المتحدة المعني بالمخدِّرات ومكافحة الجريمة، حيث كان خلال الحرب اللُّبنانيّة مصدرًا رئيسًا للمخدِّرات في منطقة الشرق الأوسط، وكان ينتج نحو ألف طن سَنَوِيًّا من حشيشة الكيف، وما بين ٣٠ و٤٠ طنًا من الأفيون. والسؤال الأخير إلى متى يستمر هذا السكوت غير المبرر لأجهزة الدَّولة القادرة على الضرب بيد من حديد، لوقف هذه الجريمة بحق سمعة لبنان؟

بين عشق الأوطان وعشق الهجرة، وطن غير مخصص للبيع

تقول إحدى الأساطير الفلسطينية: «إن الله خلق الإنسان من ترابَيْن، تراب المكان الَّذي ولد فيه، وتراب المكان الَّذي سيموت فيه»، وقد أعجبني هذا القول، فالوطن هو الإنسان، ولكن على شكل تراب يرقد فيه تراثه وأحلامه، وهو مخلوط بأنفاس «خلق الله»، والأوطان تتعدّى الحدود والتراب، فهي تعيش في داخلنا، نحسّ بها، وتقوم الثورات لأجلها، ثم تهدأ، وتدع بطش الزمن وراءها، ورغم مرارة العيش في الوطن يأبى شعب لبنان أن يهاجر، رغم الذل الَّذي يعيشه في وطنه، وقد يكون لكل مهاجر ظروفه الخاصَّة، وقدرته على الاحتمال، وندعو له بالتوفيق.

لم يُخلق الإنسان من دولارات ليكون مُخلصًا لها، فهو خُلق من تراب، وتراب الوطن هو الَّذي يستحق الإخلاص، ولا يمكن لأي مواطن أن يفاخر بعشق الوطن، فيما يهجره مع أول طائرة مهاجرة، ويبيع الأرض ويطفر، وما يلبث أن يصيح: «تراب الوطن غالٍ»، ويقضي معظم وقته في الغربة مستمعًا لأغاني فيروز. مع بعض الاستثناءات ممن فرضت الهجرة عليهم، وأجبروا على ذلك، والَّذين لا يزال لبنان يجري في عروقهم، ويرددون: «إذا نحنا اتفرقنا بيجمعنا حبك، وحبة من ترابك بكنوز الدنيي، وبحبك يا لبنان، يا وطني»، وهم صادقون بحب الوطن .

الأوطان تبنى بترابط أبنائها واحترامهم بعضهم بعضًا، وليس الطعن فيما بينهم، فإن شقاء المواطن وراحة التاجر صارا دستورًا جديدًا، أو نمط معيشة الفقراء في أوطانهم، حيث نجد سلطة التجار أقوى من سلطة حاكم البلد ومن حوله من وزراء، ومحزن جِدًّا تحول الأوطان إلى ملكيات للتجار والأحزاب،

لتقاسم الحصص فيما بينهم في مناطق نفوذهم، وعقد الصفقات بالتراضي والإبداع في العهر السِّياسيّ عبر شاشات التلفزة، وتخوين الشرفاء في ظل غيبوبة تامة للدولة، وتراجع هيبة القضاء الَّذي بات يشارك السلطة في إفقار الشَّعب عبر استحواذه على خمسة مقاعد وزارية في الحكومة الأخيرة .

بين نقص المعرفة والجهل المفيد.

قديمًا عُدَّ الجهل العلمي أمرًا سلبيًّا بحتًا، إنما، حديثًا، بدأ العلماء بالتخلي عن الفكرة، لا بل إنهم ذهبوا أبعد من ذلك في البحث عن استخدامات الجهل المتعمد، وهذا ما يسمى الجهل المفيد، ولعل الخطوة الأولى في البحث عن استخدامات الجهل، هي إدراك أنه أمر لا مفر منه، والمعرفة الجديدة تعني أَيضًا المزيد من الجهل، كما يمكن للمفاجآت أن تكشف ما يجهله العلماء، ما يساعدهم على تركيز أبحاثهم من أجل اكتساب المعرفة.

يقول جورج برنارد شو: «إن ادّعاء المعرفة أشد خطرًا من الجهل، وبالتوافق مع كميتها، والَّذي يشير إِلى نقل المعرفة المتاحة إِلى الاستخدام، تم إدخال مفهوم «تعبئة الجهل»، حيث يمكن فهمها على أنها استخدام الجهل لتحقيق الأهداف، وعدم المعرفة الكامنة هو الجهل الَّذي لا يؤخذ بالحسبان، مثل نقص المعرفة. وباختصار يمكن القول: إن تعبئة الجهل تهدف إِلى تغيير عدم المعرفة، ما يجعلها مفيدة لمزيد من البحث.

وفي تعريف لعلم اجتماع «الجهل العلمي»، فهو دراسة الجهل في العلم، والطريقة الأكثر شيوعًا هي النظر إِلى الجهل على أنه شيء ذو صلة، وليس مجرد نقص في المعرفة، وهناك مجالان متميزان يركز فيهما بعضهم على الجهل في البحث العلمي، بينما يركز بعضهم الآخر على الجهل العام في العلوم، بالطبع لا أتحدث عن الجهل في إدارة شؤون البلاد والعباد في بلاد العلم والنور والأبجدية.

بين الوفاة والموت، راحة من الذل والقهر.

ثمة تضارب في حسم هذا الموضوع، فبعضهم يقول: إن الوفاة هي توقف عمل الإنسان، أما الموت فهو خروج الروح من الجسد، وبعضهم الآخر يقول: إن الوفاة هي خروج الروح، بينما الموت هو السكون عن الحركة، وقد أتى القرآن الكريم على ذكر ذلك حين قال: «الله يتوفى الأنفس حين موتها والَّتي لم تمت في منامها»، كذلك فعل الكتاب المقدس حين قال: «موتًا تموتون» في سفر التكوين.

وحول الفرق بين الوفاة والموت رأى بعض الأطبَّاء أن الوفاة تعني الموت الإكلينيكي، ويتحقق الموت للشخص المتوفى عندما يجري دفنه، والشخص المتوفى مثل الشخص النائم الَّذي هو بمنزلة الشخص الميت، ولكنه ليس بميت، فجميع أعضاء جسمه تعمل بكفاءة؛ ولكنه لا يدري بما يحدث له، ويوضح طبيب آخر أن موت جذع المخ هو الأخطر؛ لأن المخ لا يتحمل نقص الأوكسجين لأكثر من ١٢٠ ثانية، عكس باقي الأعضاء، وفي حالة توقف القلب وعودته إلى العمل قد لا يعود جذع المخ للعمل، وهو الَّذي يسيطر على أداء جميع أعضاء الجسم، وأنه لا توجد حالة واحدة في العالم، حدث لها إفاقة بعد إصابتها بموت جذع المخ.

وفي الختام، أود أن أخبركم أنه منذ أشهر قليلة تلقيت اعتراضًا من صديق لي يعيش في الكويت حول بعض ما أنشره على صفحتي، وكثرة رثاء أصدقاء حينًا، وكثرة الأخبار عن الوفاة والموت في لبنان حينًا آخر، فطلبت منه المعذرة، وأجبته: يا صديقي، «أنا من وطن يزوره عزارئيل بكثرة، وتنتشر فيها رائحة الفساد والوفاة والموت، أنا من وطن صار خبر موت النَّاس فيه قهرًا حدثًا عاديًّا لا يستدعي الانتباه، لذا أرجوك التفهم.

بين الانجذاب النظري والانجذاب العقلي، بشر عقولهم من ذهب.

كتب لي صديقي كمال يومًا يقول: «إذا أردت أن تكتشف صدق الرجال فانظر إلى عقولهم»، بعدما كنت أعتقد أن اكتشاف صدق الرجال يكون بالنظر إلى عيونهم، والتحديق فيها لبعض الوقت، ما كان يسهل عليَّ اكتشاف مشاعرهم العميقة، والتأكد من صدقهم، كما كان يساعدني ذلك أيضًا على معرفة أن الرجال الَّذين يتجنبون الاتصال بالعين، إما أنهم يخبئون شَيْئًا ما، أو أنهم غير جديرين بالثقة، أو ربما أنهم خجولون جِدًّا.

كما أتاحت لي نصيحة صديقي كمال أيضًا اكتشاف أنه عندما يتحدث الرّجل الصامت يصمت الجميع، وعندما يصمت الرّجل يرتبك الآخرون، خاصَّة حين ينظرون إليه، ويجدون في عينيه عيون الوطن، وفي الوطن يجدونه درعًا حصينًا، ولسانًا نظيفًا، وقلبًا من ذهب، ويجدون فيه صوت الأوفياء، وكفى بالأسماء أن نتحدث، فبعض الرجال أكبر من كلمات، ومن أي لغة،

إلى أن محاولة النظر، والتعمد بعدم قطع التواصل البصري بين البشر، يدل على الإعجاب، كما أن صب كامل التركيز بشخص ما، يعني الاهتمام والرغبة برؤية تعابيره، كما أن التركيز على الشخص عند حديثه، أو مواصلة النظر إليه، والتحديق به دون انقطاع، يشير إلى الإعجاب أو الانجذاب الشديد له، إشارة إلى أن التوافق العقليّ مهم، ونادر جِدًّا في وقتنا هذا، وقد نجد أشخاصًا ننجذب إليهم كثيرًا، ولكننا قلَّما نتوافق معهم، بسبب فكرهم السِّياسيّ المرتهن للخارج، والَّذي لا يخدم لبنان الوطن، ولا يخدم اقتصاده.

بين الدَّولة المسطحة والدَّولة الهرمية، دولة فاشلة.

الدَّولة المسطحة، ويسمونها أَيضًا الدَّولة العميقة، حيث لا مكان للاختلاف، ولو كان ابن تيمية حيًّا لقال: إن الله ينصر الدَّولة العميقة ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدَّولة المسطحة ولو كانت مؤمنة، على أن المحاسبة عبر الوسائل الإعلاميّة، كما يحصل في بعض البرامج التلفزيونية، تُبطل مفاعيل الإجراءات القضائية، وكأنها تحل محل العدالة، بل تؤجل بسط سلطة الدَّولة، وتستبدلها بالإشاعة والنميمة والتحاليل المسطحة والعقاب الافتراضي، والبديل عن العقاب الواجب تطبيقه، والَّذي، بطبيعة الحال، لا فائدة منه.

ولعل المضحك المبكي هو الواقع السَّيِّئ لحالنا في لبنان على كل المستويات، فإنه حين احتل ذوو العقول المسطحة، والكفاءات المنحدرة مواقع مهمة في مؤسسات الدَّولة من وزارات وإدارات، فإن ذلك حصل لتحقيق غرضين:

أولهما نشر ثقافة التفاهة، وسياسة التافهين، وتغييب العقول المفكرة والمبدعة كأمر واقع؛ وهذا ما شاهدنا عيّنة منه في واحدة من أسوأ اجتماعات التفاوض، والَّتي تمثلت الجمهورية اللُّبنانيّة فيها، عبر مشاركة وزير وسيم الطلة، ولكنه مفاوض ضعيف، وبرز ذلك واضحًا.

وثانيهما لإيصال رسالة بأن الحضارة ورقي العيش والنهضة الاقتصاديَّة، ليست من الأولويَّات الَّتي تسعى إليها السلطات التشريعية والتنفيذية اللُّبنانيّة اليوم لحين ما تستوي الطبخة الدَّوليَّة تجاه لبنان، وحتى ذاك الوقت «عيش يا فقير» مع فلكور تحسين الواردات على حساب الشَّعب الفقير، والاقتراح القاتل بزيادة الضريبة على القيمة المضافة، وخشية احتسابها على «سعر صيرفة»، أي ٢٢ ألف ليرة مقابل الدولار بدلًا من سعر ١٥٠٠ ليرة، كما هو معمول به حاليًّا، وتسعى الحكومة إِلى محاولة رفع قيمة الإيرادات الضريبية لحوالي ٣٣ ألفًا و٥٩٨ مليار ليرة في مشروع موازنة ٢٠٢٢، مقارنة مع ١٠ آلاف و٤٧٢ مليار ليرة، كانت مقدّرة في مشروع موازنة ٢٠٢١.

بين ريان المغربي وألكسندرا اللُّبنانيّة، قصة عشق للسماء، وملاك جديد.

صار للملاك ألكسندرا اللُّبنانيّة رفيقًا جديدًا في السماء اسمه ريان المغربي، نعم، هكذا هي الإنسانيّة، لا تعرف دينًا ولا لونًا ولا بلدًا، كذلك الوجع والحزن لا يفرقان بين أهل لبنان وأهل المغرب، ألكسندرا اللُّبنانيّة لم تسقُطْ في البئر مثل ريان المغربي، بل سقطت عليها أحجار مدينة بيروت الَّتي كثر حسادها من كل صوب، فيما العالم يعرف القتلة ولا يحرك ساكنًا.

الفرق ما بين الدَّولة اللُّبنانيّة ودولة المغرب مثل الفرق ما بين الأسود والأبيض، حكومة المغرب جعلت العالم يتسمر أمام شاشات التلفزيون لمتابعة محاولة إنقاذ الطفل ريان، في حين أوقفت حكومة لبنان البحث عن الضحايا في الليالي الَّتي تلت الانفجار بحجة انقطاع الكهرباء، نعم، ليست كل النهايات سعيدة، إنما الحياة تستحق المجازفة، فبعد خمسة أيام خرج ريان من البئر إلى جوار الرب، وهو اليوم ملاك جديد في السماء، حيث لا وجع ولا قلق، بل راحة أبدية، كل ابتسامات الأطفال تجعلني أفرح إلَّا ابتسامات ريان المغربي وألكسندرا اللُّبنانيّة جعلتني أبكي. ليلة أمس بكى العالم على الطفل ريان، وقد أبكاني حتى الوجع الكبير، وجعلني أتذكر أطفال لبنان وأرتساخ وسورية والعراق وفلسطين ممن سقوا بدمائهم أرض أوطانهم، أو اقتلعوا منها، وصاروا غرباء في العالم.

ألكسندرا اللُّبنانيّة كانت أصغر ضحايا انفجار مرفأ بيروت الَّذي حصل في الرابع من شهر آب ٢٠٢٠، ألكسندرا الملاك قضت في عمر الثلاث سنوات ونصف السنة، فيما ملاك المغرب الجديد قضى في الخامسة من عمره، وإلى الملائكة ألكسندرا وريان أقول سوف تعيشان في قلوبنا إلى الأبد، وفي الأذهان أَيضًا، على الرغم من أننا لم نلتق أبدًا، لكننا لم نتمكن من إيقاف الدموع من أجلكم، استمروا بالابتسام مثل طيور صغيرة وملائكة في السماء .

بين الندم على أخطاء الماضي ومواجهة قلق المستقبل.

لن يفيد الندم على أخطاء الماضي، ولن يساعد ذلك في تجنب الأخطاء مجددًا، لذلك أنصحك أن لا تنغمس في الندم على أخطاء الماضي، وأن لا تقلق على المستقبل، واعلم أن الماضي والمستقبل هما لصَّان يَسلبان حيويتك وراحة بالك، فلا تُضيع وقتك بالتفكير في أخطاء الماضي والندم لحصولها، فمراحل عمر الإنسان ترغمه على ارتكاب الأخطاء ليتعلم منها، فلا تجلد ذاتك، وافرح أنها حصلت وانتهت ولم تستمر، وهذا بمنزلة رضًا من الله؛ لأنه يحبك، فكم من ظالم استمر في ظلمه حتى مماته، فاشكر الله، وامض قدمًا بكل رضى وسرور.

يعاني المصاب بالاكتئاب أثناء النوبات الَّتي تضربه من تسلط الأفكار السَّلبيّة، بما في ذلك الندم على أخطاء الماضي ولوم الذات على سقطات الحاضر مع تأنيب الضمير بشدة. لذا فإن مساندته تكون بطرح نماذج مشابهة لأشخاص عانوا من نفس التجرِبة، واستطاعوا تجاوزها، ووصف هذه الحالة هو «فنية النمذجة»، وهي العمل على محاكاة وتقليد سلوك سابق بهدف التعلم منه، وهذه الطريقة مفيدة جِدًّا لرفع همَّة ورغبة مريض الاكتئاب في العلاج، والتقدم بتعلم مهارات جديدة بعد تغيير الأفكار الخاطئة الَّتي كانت لديه، ومنها اللوم الزائد وتأنيب الضمير المبالغ فيه.

التوقف عن الندم على أخطاء الماضي وعدم البدء في ارتكاب أخطاء جديدة، هما شرطان يجب عليك العمل بهما، والتخلص من الندم على أخطاء الماضي يكون باقتناعك أن هذه الأخطاء يجب أن تبقى في الماضي، والتذكر جيِّدًا أنك قمت بأفضل ما لديك، لكن الظروف لم تكن في مصلحتك، وقد يكون أفضل الحلول هو في استخدام علاج «اليقظة الذهنية»، وهو القدرة على الانتباه إلى ما يحدث الآن في هذه اللحظة، بدلًا من التفكير في الماضي، أو القلق بشأن المستقبل، وبذلك تستطيع أن تُحسِّن اليقظة والسعادة الحسية على حد سواء، وتساعد نفسك على مواجهة الضغط والقلق والاكتئاب.

بين الذكاء والتذاكي جهابذة بالجملة والمفرق.

ليت جهابذة لبنان يقتنعون أن الذكاء يختلف عن التذاكي، وأن الإبداع يختلف عن البِدَع، والقوي ليس هو نفسه المستقوي، والعبقري لا يشبه الداهية، والحاكم ليس بالضروري أن يكون طاغية، والجدارة أولى من الشطارة؛ وليت جهابذة السياسة، وبعض وسائل الإعلام في لبنان، تبين الفرق بين تلاوة البيانات والتفاعل الإعلاميّ مع الرأي العام؛ وليت جهابذة التربية والتعليم يزرعون القيم وأدب السلوكيات في عقول أطفالنا، بدلًا من تلقينهم المعلومات الصماء المجردة.

وفي شرح لكلمة جهابذة يعدُّ الجهبذ هو العبقري الَّذي يتمتع بقدرات عقلية تفوق غيره من الأشخاص العاديين، ولا يقتصر مجرد أن يكون المرء حاصلًا على معدل ذكاء مرتفع كي يكون جهبذًا أوعبقريًّا، علمًا أن الذكاء هو من الشروط الأساسية لكي يكون الشخص جهبذًا مع توفر موهبة الإبداع والوعي الذاتي والمقدرة.

ويا لَلأَسَف! يبدو أنه بعد مراجعة السيرة الذاتية للعديد من رواد شاشات التلفزة اللُّبنانيّة والعربية، من إعلاميّين وسياسيين، ثبت بالوجه الشرعي عدم مطابقة عقول معظمهم للمواصفات، وانتفاء صفة جهبذ، ورسوب الجميع .

بين فقدان الرغبة وعدم الاهتمام، اعتزاز وافتخار.

يـزداد في الآونـة الأخـيرة احترامـي لنفـسي، خاصَّـة بعـد أن تعرفـت عـن كثـب عـلى نرجسـية بعـض الأشـخاص الَّذيـن كنـت أراهـم أصدقـاء، وتأكـدي مـن مقولـة: أن الذهـب يمتحـن في النـار، والرجـال تمتحـن بالوصـول إلى السـلطة، فـإذا أردت أن تعـرف شـخصًا فأعطـه منصبًـا وراقبـه. كـما يـزداد كل يـوم حبـي لنفـسي، خاصَّـة بعدمـا خلقـت لهـا ذاكـرة جديـدة، لا تحمـل الأمـس، ولا الأحقـاد والعتـب، وحفظـت فيهـا لنفـسي كرامـة تعلـو فـوق كل المشـاعر، وصرت عـلى قناعـة تامـة أن عـلى الإنسـان أن يعتـزّ ويفتخـر بنفسـه، ولا ينتظـر مـن أحـد أن يفتخـر بـه؛ فالاعتـزاز بالنَّفـس هـو ضرورة؛ لأن النَّفـس أسـمى مـن أن تـذلّ، ويجـب أن يتصـف صاحبهـا بالفخـر والشـجاعة والوفـاء والكـرم.

كـما صرت أعيـش وعيًـا، ونضجًـا، وهـدوءًا، وطمأنينـة، وقربًـا مـن الله، ولا أملـك وقتًـا إضافيًّـا لأكـره أحـدًا، ولا للإفـراط في الدفـاع عـن أحـد، ولا لتعقـب أحـد، ولا أبـالي بإرضـاء مـن حـولي؛ باختصـار لا وقـت لـدي لأعيـش حيـاة الاسـتفزاز والوجـع، المليئـة بسـوء الظـن؛ فالعَلاقـات عـادة لم تخلـق إلَّا مـن أجـل أن نسـعد بعضنـا، لا أن نـؤذي بعضنـا؛ لقـد أنشـأت لنفـسي حيـاة خاصَّـة، وصرت أنتمـي لهـا أكثـر.

أعيـش مـع عائلتـي وأصدقائـي، محافظًـا عـلى مسـافة معقولـة في العَلاقـات معهـم؛ أتكتـم، أتأمـل، قريبًـا مـن الله، وهـذا أمـر مريـح للغايـة.

خذهـا منـي نصيحـة، يـا صديقـي الَّـذي آتي إليـه حـين أرغـب بالجلـوس مـع نفـسي، فـلا تقـارن نفسـك بالآخريـن، وإذا قمـت بذلـك فإنـك تهـين نفسـك، في الحيـاة اتبـع قناعاتـك لا عواطفـك؛ لأن كرامـة نفسـك وعزتهـا فـوق الجميـع، مهـما تعاظمـت مناصبهـم، ولا أحـد منهـم يسـتحق أن تـذل نفسـك ولـو للحظـة مـن أجلـه، ولـو كان الكبريـاء يـوزَنْ لكنـتُ أثقـل الرجـال عـلى وجـه الأرض .

بين الإنجاز والإعجاز، صمود ومقاومة.
Achievement and miracles Endurance and resistance

ولـد الإنسـان ليكـون واقعيًـا وليـس كامـلًا، فالكـمال هـو لله وحـده، ولكـن بالعزيمـة والإصرار وقـوة الإرادة، يمكـن للإنسـان أن يحقـق الإنجـازات العديـدة، وعـلى طريقـة الباحـث في العلـوم الدينيـة ريمونـد تشـارلز باركر، فـإن «النجاح والفشـل همـا نتيجـة لاسـتخدام العقـل، فـكل عقـل متحمـس للنجـاح هـو عقـل حاسـم، وكل عقـل مدفـوع بالفشـل هـو عقـل مـتردد، فقـط الحـالم الَّـذي اتخـذ القـرار بشـأن حلمـه، هـو الَّـذي جلـب شَـيْئًا جديـدًا ذا قيمـة».

وهكـذا، فـإن مـا يمكـن للعقـل أن يتخيلـه، يمكـن للإنسـان أن يحققـه، وهكـذا نجـد تأثـير قراراتنـا في مسـار حياتنـا، حيـث إن اتخـاذ قـرارات سـليمة، يعنـي أن تعيـش حيـاة أفضـل.

كـما أنـه في أوقـات كثـيرة يصبـح الحـرص عـلى تقديـم الأفـكار الجيـدة والمفيـدة للمجتمـع، والعمـل عـلى إسـقاط الأفـكار السَّـيِّئة مـن تفكيرنـا، هـو بمنزلـة إعجـاز لم نكـن نتوقعـه، خاصَّـة إذا قمنـا «بـوزن أعمالنـا قبـل أن تـوزن علينـا»، ومراقبـة أفكارنـا اليوميـة، فإنَّنـا سـوف نجـد أنفسـنا مـن أصحـاب الإنجـازات، وقـد نصـل باجتهادنـا لتحويلهـا إلى إعجـاز؛ وهكـذا، فـإن القضـاء عـلى السَّـلبيّة، والخـوف، والرجعيـة، والأميـة الفكريـة، وعـدم السـكوت عـن الحـق، هـي إنجـازات كبـيرة، والاسـتمرار في القضـاء عليهـا هـو تحقيـق لإعجـاز مهـم، وخـير مثـال هـو شـباب لبنـان الَّـذين حققـوا إنجـازات تجعلنـا نفتخـر بهـم، خاصَّـة في مواجهـة الأزمـة الماليَّـة والاقتصاديَّـة، إن بالانتقـال للعمـل في الخـارج، أو عـبر إنشـاء مؤسسـات جديـدة في الوطـن، والإعجـاز

بين الإنجاز والإعجاز، صمود ومقاومة

الأهـم هـو الصمـود في هـذه الأرض، وهكـذا تكـون الأزمـة قـد فجـرت مواهـب الشـباب، وإنجازاتهـم تحولـت إلى إعجـاز.

ولكـن متـى يصبـح الإنجـاز إعجـازًا؟ والجـواب هـو في غايـة البسـاطة، فقـد يصبح الإنجاز إعجازا عندما تنجز عملًا داخل المجتمع، ويكون له قيمة يقربك من النَّاس، ويجعلك مبدعًا ومبتكرًا، وباحثًا عن كل ما هو جديد، بل مخترعًا، ويجعلك شخصًا مهمًّا في نظر مجتمعك وبين أصدقائك، وسوف ترى الجميع يحاول التودد والوصول إليك من خلال إنجازاتك، وربما يصل اختراع من اختراعاتك إلى حد الإعجاز؛ وهكذا نرى أن الإعجاز في أي مجتمع يكون عبارة عن وصول شخص ذي إنجازات إلى معلومة، أو فكرة، أو اختراع، يكون المجتمع في حاجة شديدة إليها .

بين الجدارة والشطارة، حقارة لا مثيل لها

الشطارة أن تحافظ على الابتسامة والتواضع، بالرغم من الضيق والألم والتعب والاستفزاز والمشاكل، ولكن يا لَلأَسَف! فإن الشطارة الزائدة ليست جيدة في بعض الأحيان؛ لأن ترك الأمور تسير بحسب مشيئة الخالق أفضل بكثير، وعلى طريقة «من استعجل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه». عليك انتظار توقيت الله، وليس توقيتك، حتى لو كنت أنت تريد، فالله ربما لا يريد، وليكن له ما يشاء.

ويبدو أن الاستغباء جيد في بعض الأحيان حتى لو كنت «فهمتها وهي طايرة»، كما يقولون في العامية، على أن الحرص على إبداء الرأي في كل الأمور، ومناقشة القضايا العامة والخاصَّة، والهيمنة على المجالس بالمقاطعة، واغتصاب حق الآخرين في الكلام، والجزم بصِحَّة الرأي، والتقرير الصارم، والقفز من موضوع إلى آخر، بقصد الفهلوة، تذهب بالهيبة، وهي رعونة منكرة، وتفاهة، وتورّم في الشخصيَّة غير حميد.

والإفراط في ادعاء الشطارة اللُّبنانيّة، هي حقارة، يا لَلأَسَف! والفاسد لا رَبّ لهُ، ولو أنه تم اعتماد المعايير نفسها على كل النَّاس، لكانت الأمور أفضل بكثير، إنما تطبيق القانون في منطقة، والتغاضي عنه في منطقة أخرى، فإن ذلك يجعل انتظار القضاء للبت بتحصيل حقوقك هو مسخرة، ومن هنا يحاول اللُّبنانيّ استعمال شطارته في «تظبيط وضعه» على حساب حقوق الآخرين الَّذين لا «ضهر» لهم.

بين الشَّكِّ والارتياب، جنون عظمة

لا يرى مريض جنون الارتياب إلا «مؤامرات» تحاك حوله، ولا يفسر أي فشل أو تعثر في حياته إلا أن فلانًا تآمر عليه لإسقاطه أو إفشاله، كما يصبح عدائيًّا ضد أي شخص يريد إقناعه أن ما يظنه مؤامرة هو مجرد وهْم ومرض، كما يصبح يشك بمن يحاول مساعدته، ولا يرى أي مساعدة إلا مدخلًا لمؤامرة جديدة عليه، ويلجأ إلى التعويض عن عقدة الاضطهاد بالوقوع في جنون العظمة، فيتخيل نفسه الأرقى والأفضل والأعظم، وما أكثر هؤلاء المرضى في أيامنا.

هذا على صعيد النَّاس، فما بالك لو أن لبنان بأكمله حكومة وشعبًا أصيبوا بداء جنون الشك والارتياب بعد انتقال العدوى إليهم من الجيران العرب، وصار حالنا مثل حال بعض إخواننا العرب نؤمن أن العالم لا شغل له إلا التآمر علينا، وتدمير ونهب ثرواتنا، وصرنا أمَّة من أكثر الأمم تخلفًا وفقرًا وجهًلا، ومع ذلك نظن أنفسنا أننا الأفضل والأعظم،، أمة ترى وراء كل محاولة لتطويرها وإخراجها من تخلفها التاريخي مؤامرة لتدميرها، أمة لا تفهم إلا لغة المؤامرة، نعم، إنها الحقيقة المرة .

أضف إليها التشابه بين فكرة المؤامرة، والعقلية الخرافية التي سكنت بلادنا طويلًا، والتي كانت تُرجع كل الظواهر والأحداث قديمًا إلى أسباب خيالية، مثل الجن والشياطين وغضب الله، أو السحر والحسد، وصولًا إلى نظرية المؤامرة الَّتي وجدها حكامنا حلًّا سهلًا يريح العقول من التفكير في تشابكات الأحداث وتعقيداتها، كما أنها وسيلة فعالة نفسيًّا لتبرير الفشل، وإلقاء اللوم على الآخرين، وهكذا يا لَلأَسَف! يمر العمر، ونحن نتنقل ببراعة بين مؤامرات لا تنتهي في هذا الشرق المنحوس.

بين تعاظم العنوسة، وعيد فالنتين اليتيم.

Spinsterhood and the orphan Valentine

ظاهرة رفض صبايا لبنان الزواج في السنوات العشر الأخيرة، قبل وصولهن إلى الاستقلال المادي، بعد التخرج وإيجاد وظيفة، ما يؤدي بهن إلى بلوغ سن ٢٨، وهذا يزيد من احتمالات العنوسة؛ واللّافت أن تربية الفتيات على تعظيم الوظيفة يُحوِّل الزواج من هدف إلى عائق، ومن أمنية إلى كابوس صار يطارد الشباب والنِّساء، وما جعل الأمر أكثر بشاعة، هو ضغوط الحياة والمجتمع، والأحكام الَّتي تُفرض على من يتأخر في اتخاذ هذه الخطوة.

ومهما يكن الأمر، هناك إجماع بين اللُّبنانيّين على أن الظروف الاقتصاديَّة هي السبب الرئيس لهذه الظاهرة، بالإضافة إلى تغير أولويات الشباب والنِّساء، وسط ارتفاع معدلات الطَّلاق، كما أصبحت العنوسة من أخطر المشاكل الاجتماعيَّة الَّتي تقلق شباب لبنان، بسبب الأزمة الماليَّة الَّتي يمرون بها، منذ أواخر العام ٢٠١٩، وبحسب دراسة إحصائية صادرة عن منظمة الصِحَّة العالمية، فإن لبنان تصدّر قائمة الدول العربية بارتفاع العنوسة، وبلغ عدد الذكور غير المتزوجين ٩٤٪ من إجمالي السكان، بينما بلغ عدد الإناث غير المتزوجات ٨٥٪ من إجمالي السكان.

وفي لبنان يختلف سن العنوسة بين الأقاليم الطائفية بحسب العادات والتقاليد والأديان، ربما، في حين يُعدُّ تجاوز سن العشرين دون زواج في الأريافِ عنوسة. نلاحظ في بيروت وضواحيها تسمية الأشخاص الَّذين تزيد أعمارهم عن ٣٠ عامًا دون زواج بلقب (العانس)، أما رأيي الخاص، فالعنوسة الحقيقية للمرأة ليست في العمر، بل حين تكون بلا ثقافة، وبلا علم، وبلا وعي؛ وهكذا، فإن معظم صبايا لبنان هذه السنة، «في عيد حب من دون حبيب، ما يشبه عيد الأم لولد يتيم»، تاركًا مئات الآلاف من أتباع فالنتين دون رفيق، الَّذي من المرجح أن يكون قد هاجر لبنان، أو هجرته البحبوحة. هذا هو المشهد اللُّبنانيّ ليلة عيد الحب، وكل عيد وأنتم بخير.

بين الهبل العادي، والمركب والثلاثي والرباعي، الأبعاد والخارق

يبدو جليًا في هذه الأيَّام أن المواطن اللُّبنانيّ بات يشعر بأنه لا يشعر بأي شعور من المشاعر الَّتي كان يشعر بها في الأيَّام السابقة الَّتي كان لديه فيها شعور بالانتماء إلى المزرعة اللُّبنانيّة، خاصَّة وأن الفجور والاستخفاف بلقمة عيش المواطن من قبل سلطة غير مسؤولة، قد بدا واضحًا خلال جلسات مناقشة موازنة ٢٠٢٢، والَّتي قالوا عنها: «لقيطة وبنت حرام»، ما جعلتني أغضب لوهلة، ومن ثَمَّ أضحك عشر مرات من «الهبل».

وبالمناسبة، فإن أشكال الهبل متعددة، فقد تكون «أهبلَ» وتعرف أنك كذلك فهذا هو الهبل العادي 1G الَّذي ينطبق على الَّذين لا يزالون يعيشون في لالا لاند ويتباهون بعرض موائدهم على صفحات التواصل الاجتماعي، أما أن تكون أهبل ولا تعرف أنك كذلك، فهذا اسمه الهبل المركب 2G، وهو ينطبق على من صدق يومًا مقولة: «الليرة بألف خير» للحاكم بأمر المال، وأن تكون أهبل ولا تعرف أنك كذلك، بل تعتقد أنك عبقري، فهذا يعرف بالهبل الثلاثي الأبعاد 3G والَّذي ينطبق على بعض رؤساء الأحزاب، وقادة الحركات الثورية .

أما أن تكون أهبل ولا تعرف أنك كذلك، بل تعتقد أنك عبقري والنَّاس مبهورة بعبقريتك، وأنه لم يأت على الوزارة وزير بدرجة ذكائك، فهذا هبل رباعي الأبعاد 4G، ويتطابق مع مواصفات بعض وزراء لبنان الحاليين والسابقين؛ وأخيرًا أن تكون أهبل ولا تعرف أنك كذلك، بل تعتقد أنك عبقري والنَّاس مبهورة بعبقريتك في قريتك، وأنه لا مثيل لك على هذه الأرض، فهذا يعرف بالهبل الخارق 5G ، وينطبق على بعض المرشحين الجدد للانتخابات النيابية القادمة المتوقع تطييرها.

بين الدهشة والخيبة، إغراءات وأمنيات.

لا تتوقف الحياة عند رحيل أحد، كما أن أوجاع الرحيل قد تكون أحيانًا أفضل بكثير من جراح البقاء، بالأخص عندما يصبح العتب أكبر من الحرف، والخيبة أكبر من الدهشة، والصَّمت أجمل ردٍّ، حتى وَصلتُ إلى قناعة تامة من أن الاستمرار في صداقتي مع بعض النَّاس هي محال، بل مخيبة للآمال، وجعلني هذا القرار أشعر براحة نفسية رائعة.

ورغم قناعتي أن فرصة الحصول على معرفة حقيقية، وعلى صديق جديد في أيامنا، هي من المسائل المعقدة نسبيًا، بعد أن أصبح العالم الافتراضي مسرحًا لاستعراض الإمكانات، وخاصَّة على مواقع التواصل الاجتماعي من جهة، يقابلة في الجهة الأخرى اعتزال لبعض النَّاس عن ولوجها بعد إصابتهم بالوحدة، نتيجة خسارة ما على هذه المواقع، وكلهم خاسر هنا إلا الشخص المُدرك أن العَلاقات على مواقع التواصل تخضع لمنطق المقارنة الظالمة الزائفة حينًا، والمثيرة للأحزان أحيانًا .

وهكذا، أرى أن الحفاظ على أصدقائك والتمسّك بهم، بات أمرًا في غاية الأهمِّيَّة؛ لأن من يملك صديقًا مُقربًا يجب ألّا يُفرّط به، خاصَّة أمام إغراءات معرفة أشخاص جدد، لذلك نجد أنفسنا أمام قناعة أن عَلاقاتنا الحقيقية هي فقط الَّتي عرفناها في الماضي، وهذا فعلًا صحيح؛ لأنها نشأت في هدوء وصبر، ولا يُمكن تعويضها بعَلاقات عابرة مع أشخاص جدد من العالم الحقيقي، أو الافتراضي الَّذين قد يقفلون حساباتهم الحقيقية، أو الوهمية، ويتخلون عنك عند حصولهم على منصب ما، وشعورهم أن وجودك بقربهم ومحبة النَّاس لك قد يزعجهم، وذلك في غاية السهولة والبساطة .

بين التباهي والتفاخر بالكسب الحرام هلاك.

كان فـأرٌ يعيـش تحـت مخـزن للحبـوب، وفي أسـفل أرض المخـزن ثقـب صغـير ينفـذ منـه القمـح حبـة حبـة، وكان الفـأر يعيـش في سـعادة، لكنـه أراد أن يتباهـى برفاهيتـه، فقـرض الخشـب ووسـع الثقـب، ودعـا فئرانًـا آخريـن لزيارتـه، قائـلًا لهـم: سـتجدون فيـه مـا يكفـي الجميـع مـن الطعـام، لكنـه عندمـا أدخـل الفئـران لاحـظ أن الثقـب قـد تـمَّ إقفالـه، وتبـين أن الفـلاح قـد شـاهد أن الثقـب قـد اتسـع فقـام بسـده؛ انتهـت القصـة.

العـبرة مـن هـذه القصـة، هـي أنـه مـن أسـباب انقطـاع الـرزق غالبًـا، هـي الرغبـة في التفاخـر في إظهـار الكسـب غـير المشروع، والـترف والمبالغـة في ذلـك، وهـذا سـبب لتسـليط الأضـواء عـلى مـن يفعـل ذلـك، ويكـون بعـد ذلـك الهـلاك. والسـؤال مـا دامـت أعمالـك تسـير عـلى مـا يـرام، فـإن التباهـي والتفاخـر لا يكـون بالكسـب الحـرام، مـالًا ورزقًـا، بـل في التقـرب إلى الله ومسـاعدة الفقـراء.

أمـا، عـلى الطريقـة اللُّبنانيّـة، فهنـاك رأي آخـر معاكـس يـرى أن الفـأر كان فاعـل خـير، يَـأْكل ويطعـم مـن حولـه، ولم يكـن يفاخـر أبـدًا، ورأى بعضهـم أن الحكمـة في هـذه القصـة لا تطابـق التفاخـر، وبعـد التحـري والاسـتقصاء عـن أصحـاب الآراء المعارضـة، وجدناهـم مـن أركان السـلطة الفاسـدة، أو أزلامهـم، والَّذيـن ذكـروني بأيـام الدراسـة حـين كانـوا يقومـون برحلـة في آخـر كل سـنة، وكان الاشـتراك ٥٠ لـيرة، وكان صديقـي الَّـذي أصبـح لاحقًـا مسـؤولًا كبـيرًا في الدَّولـة، يقـول لوالدتـه: إن الاشـتراك ١٠٠ لـيرة، وأمـه كانـت تقـول لوالـده: إن الاشـتراك ٢٠٠ لـيرة، ومـن وقتهـا بـدأ الفسـاد في لبنـان .

بين رياضيين أبطال رفعوا اسم لبنان وسياسيين فاشلين أنزلوه جهنم.
The winner is Lebanon

بالأمس، تابع اللُّبنانيّون والعالم عبر شاشات التلفزة العربية المباراة النهائية لكأس العرب في لعبة كرة السلة الَّتي استضافتها ملاعب مدينة دبي الإماراتية، بين المنتخبين: اللُّبنانيّ والتونسيّ، حيث فاز المنتخب اللُّبنانيّ في بطولة العرب، واليوم يعود الرياضيون الأبطال إِلى جهنم اللُّبنانيّة، بعد أن رفعوا اسم لبنان عاليًا.

أبطال من لبنان برتبة رياضيين، أبدعوا وفازوا بالبطولة، وحصدوا الكأس، رغم الوضع المأسوي للرياضة في لبنان، وللوطن بشكل عام، أنهم رياضيون مقاومون من كل الطوائف اللُّبنانيّة، جمعهم حب الوطن، رغم الغصة في قلوبهم من وطن غادروه، وهم يبكون أمجادًا ضاعت، وها هم يعيدون الأمل لأبنائه، نعم، ثمة أمل، وعسى أن تتكرر النجاحات في الصناعة والثقافة والتكنولوجيا.

لبنان المبدع لا يموت، حكام سيرحلون، أما لبنان فباقٍ، سياسيون مرغوا رأسنا في التراب، هم لا يعرفون الله، وقد تسبب غباؤهم في إدارة البلاد والعباد في تهجير ربع سكان لبنان، نتيجة التلزيق والترقيع والتأجيل وكسب الوقت، بعد تبني سياسات مالية فاشلة، واقتصاد ريعي دمر الصناعة الوطنية، كما ساهموا أَيضًا في إيصال أفشل الرجال من مرضى الأمراض النَّفسيَّة إِلى الحكومة، وقد تحكموا باقتصاده، وهدروا أمواله في دعم سلع هربت إِلى الخارج، أو ربما تقاسموا أرباحها مع التجار.

مبارك لكم، يا أبطال العرب في كرة السلة، ولعنكم الله أيها الفاسدون.

بين المنعطف التاريخي والنفق المظلم، ضاع العمر

لعل أبرز ما كان يستفزني أيام الحرب اللُّبنانيّة، أو يجعلني أشعر بالقشعريرة، هي عبارة «منعطف تاريخي مهم»، والسبب في ذلك، أن كل أيام اللُّبنانيّين آنذاك، كانت منعطفات تاريخية، وربما لا تزال، ومن ثَمَّ خسر هذا المصطلح قيمته اللغوية؛ والخطير وقتها أن الَّذين رددوا كثيرًا هذه العبارة، كان هدفهم سلب اللُّبنانيّين، وجعلهم يصابون بالإحباط ويهاجرون، وربما نجحوا في أوقات كثيرة.

وبينما تغيرت الديموغرافيا اللُّبنانيّة، وصارت «كل عنزة تلحق كرعوبها»، كما يحلو للجميع توصيفها في وطن الدويلات الطائفية المتحابة حينًا، والمتناحرة حينًا آخر، وفيما العالم هو الآخر يتغير، وفيما يبدو فإنه يتغير بسرعة، وهنا على وجه التحديد يمكن مشاهدة «منعطف جديد، «يتم الحديث عنه، وقد ينضج حينما يلتقي التغير الإقليمي مع ذلك الدَّوْلِيّ في حالة من الضغوط، والَّتي تولد بيوعات وتقاسم حصص عندما تحدث في السياسة، وكأن سايكس – بيكو جديدة تولد هذه الأيَّام، ويبدو أنها مرعبة .

ومهما تغيرت المعطيات والتسميات لحلول ولدت ميتة، تبقى كل تصريحات رجال الدَّولة لزوم ما يلزم، وتبقى الأخبار السارة مثل نقطة ضوء في النفق المظلم الَّذي نمر به، مثل الأرقام الَّتي تحدثت عن تراجع الاستيراد في لبنان إلى٨ مليارات دولار في العامين:٢٠١٩ – ٢٠٢٠، ولكن هل من نهاية مرتقبة للأزمة؟ وكم هو عدد المهاجرين الَّذين تركوا لبنان من أصل الخمسة ملايين لبناني، وكيف توزعوا طائفيًّا؟ وهل الحل ببيع احتياطي الذهب لوقف الانهيار المالي، أم بإلغاء الأصفار من الليرة اللُّبنانيّة؟ يا لَلأَسَف! خطايا أهل المال كثيرة، وقد نخرت في مناعة الوطن، وتصحيحها يحتاج إلى الكثير من العناية في هذه الأيَّام الصعبة.

بين الديمقراطية والعلمانية، فساد.
Democracy، Secularism and Corruption

يبدو أن الديمقراطية، ومن غير مضاجعة العلمانية، قد أنجبتا توأمين هما: الطائفية والمذهبية المتخفية، على أن غياب العلمانية الحقيقية عن مجتمعاتنا العربية، جعل من الديمقراطية سوقًا لكل تجار الدين والهُوِيَّة، بالإضافة إلى ذلك، فإن العلمانية لم تترك مَلكًا جالسًا على كرسيه، كما حصل تاريخيًّا في أوروبا، وهي الَّتي أنجبت أَيضًا أحزابًا تتنازع على السلطة، وتظاهرات وثورات وولاءات للخارج، وتكسير وتخريب، كما حصل مؤخرًا في لبنان .

على أن ما قيل سابقًا عن العلمانية، بأنّها مظلة كل الديموقراطيات، هو صحيح، فإن انتفت العلمانية تبعتها الديموقراطية الَّتي ربما ولدت مشوّهة وعرجاء في لبنان، حيث يمكنك أن تقول ما تريد، وتهاجم من تريد، وتنتقد أي قرار أو مشروع، وفي المقابل، نرى الحكام لا يهتمون، ويفعلون ما يريدون؛ لأننا في الحقيقة نعيش في مزرعة، وليس في دولة، حيث نجد الكثير من حرية القول، والقليل من الديمقراطية .

ورب سائل يسأل: هل أن فصل الدين عن الدَّولة، هو الحل لكل مشاكل لبنان، كما هو الحال في الهند وأوروبا وأمريكا، مع ضمان حرية الاعتقاد للجميع؟ والجواب: نعم، لكننا يجب أن نعمل حتى نصل إِلى اليوم الَّذي نجد فيه الطوائف في مكانها الطبيعيّ في دور العبادة، وليس في مراكز الدَّولة، ويجب القضاء على الفساد الَّذي لا يرتبط بالدين حصرًا، بل هو أزمة اجتماعيَّة تظهر في كل الدول والأنظمة حتى العلمانية منها، ويجب البحث عن خطة للنهوض بالاقتصاد الوطني، وصولًا إِلى الازدهار الاقتصادي، والاستقرار الأمني والاجتماعي، المدخل الوحيد إِلى الدَّولة العصرية والحديثة، وبعدها تصبح العلمانية خِيارًا يصوت عليه أو ضده، وليس العكس.

بين التدمير الذاتي، والهروب من الحرية

يبدو أن بعض الشعوب العربية، ومنها شعب لبنان، قد توارثت غريزة التدمير الذاتي، وكأن الله كلفهم بهذه المهمة المقدسة للقضاء على ذاتهم عبر القتل، والتهجير وهجرة الكفاءات منهم، والكسل والإحباط والخوف من المستقبل، ومن تنكيل حكامهم بهم؛ وهذا ما يؤكد المؤكد، أن أعداء العرب لم يكونوا خارقي القوة، بل إن العرب كانوا بالغي الضَّعف.

على أن وقف التدمير الذاتي للشعوب هو بوقف الحديث عن مشاكلهم في الحياة ومتطلباتها وتكرارها ليل نهار، من دون الشروع في تغيير أنماط عيشهم، كذلك رفض كل الاعتقادات المدمرة، والحديث عن مثال العجز واللوم، والتحسر والتشاؤم، والسخط، ووقف ترداد عبارات: «أتمنى، لكن صعب، والنَّاس هم سبب مشاكلي، ولو تصرفت بشكل صحيح في الماضي، لما كان هذا وضعي الآن، والحظّ ضدي، ولماذا أنا بالذات؟ ولعن الله الساعة الَّتي ولدت فيها عربيًّا».

وقد يكون قد غاب عن شعب لبنان أنه ليس كل شعوب العالم تعيش الرخاء والبحبوحة، ووحدهم يعاقبهم الله، طبعًا هذا غير صحيح، فهناك شعوب عديدة تعيش الجحيم على الأرض، وشعوب أخرى تنتظر دورها بسبب غباوة حكامها الَّذين يتحدثون بمثالية عن العنصرية بين الشعوب، وسوف يدفعون الثمن؛ ومن أهم عوامل التدمير الذاتي هي اعتقاد الشخص أنه غير مستحق لهذا الهدف أو العمل، وشعوره أنه لا يملك قدرات وإمكانات لتحقيقه، وهكذا نجد الكاتب الألماني إيريك فروم Erich Fromm يؤكد أن الحرية تجلب الشّك والقلق، بينما الافتقار إليها يجلب اليقين والراحة، لذا فإن الإنسان يهرب عادة من الحرية، ويتعايش مع التدمير الذاتي.

بين شريعة حمورابي وسرقة ودائع النَّاس

في شريعة حمورابي كان القاضي المرتشي يُقتل ويُسلخ جلده، ويستخدم في تغليف المقعد الَّذي سوف يجلس عليه القاضي البديل عنه ليتذكر ولا ينسى فعلته؛ أما اليوم فإنه بإمكان لبنان تصدير مقاعد لباقي الدول إذا ما طبقت الشريعة بسلخ جلود بعض القضاة المرتشين، كذلك الأمر ما حدث أيام الحكم السابق في العراق، حيث كان يعاقب الوزير المرتشي عبر قرار بتحويله من وزير إلى حاجب في نفس الوزارة الَّتي كان يعمل فيها، وعلى عيون الموظفين .

وبعد الاطلاع على عبقرية حمورابي وقوة قرارته، يتبين لنا جليًا أنه لو جرى اعتمادها لتمَّت السيطرة على العالم؛ ولعل أهم ما كان يميز هذه الشريعة هو شعارها: «لا يحق للقوي أن يؤذي الضعيف»، كذلك الحال في سرقة الوديعة في شريعة حمورابي ١٧٥٠ قبل المسيح، فإذا سرق إنسان ثورًا أو حمارًا يرد السارق ٣٠ ضِعفًا المال المسروق، وإذا كان المال المسروق لإنسان حر، فيرد السارق عشرة أضعاف المال المسروق، وإذا لم يملك السارق ما يعوض به من المال، يحكم عليه بالموت، فأين أنت يا حمورابي القرن الواحد والعشرين؟

لا توجد كلية للقانون في العالم كله لا تُدرس شريعة حمورابي، كما أن الحقوق الَّتي أعطتها هذه الشريعة للمرأة في بابل لم تحصل عليها المرأة الفرنسية إلا في مطلع القرن العشرين، بحسب ما كتب الدكتور جورج كونتينو، إشارة إلى أن شريعة حمورابي هي من أقدم القوانين المكتوبة، وهي تجمع ٢٨٢ مخالفة وجريمة يعاقب عليها القانون، مثل فرض الغرامات والإعدام، وخلاصتها: «الحياة بالحياة، والعين بالعين، والسن بالسن»، طبعًا قبل حمورابي كانت هناك عقوبات وغرامات، لكنها لم تكن بالصيغة المكتوبة الَّتي ابتدعها حمورابي، ووضعها في مكان عام ليطلع عليها الشَّعب، حيث لا يمكن لأحد التذرع بجهل القانون تبعًا للقاعدة القانونية السائدة اليوم.

بين بطون جائعة وجيوب فارغة، بطر بامتياز

يتعايش فوق أرض لبنان العزيز كل أنواع البشر، منهم الأثرياء المتخمون الَّذين يتجشأون البطر، ومنهم الفقراء المعدمون الَّذين يناطحون الحياة من أجل لقمة عيش تسد جوعهم، أو ثوب يستر عورتهم، ويمكن رؤية القصور الفاخرة والسيارات الفارهة في جهة، وأكواخ البسطاء وغرف الصفيح على أطراف المدن، وفي قرى الأقاليم اللُّبنانيّة المتحابة ظاهرًا من جهة أخرى.

نعَم، يعيش في بلادي بشر أرهقهم الفقر إِلى جانب بشر أعماهم البطر، بشر بأمسّ الحاجة إِلى لقمة الخبز، وبشر لا يجدون ما يكفيهم، في حين أنه عشية الحرب اللُّبنانيّة في العام ١٩٧٥ كان متوسط الدخل الفردي في لبنان هو الثاني عالميًّا بعد الكويت، وكان مطار بيروت هو الثامن عالميًّا، لكن البطر فعل فعله، «وين كنا، ووين صرنا»، بفضل الأخطاء في إدارة موارد البلد لمدة ٣٠ عامًا، واستباحة المحرمات ونهب خيرات الوطن، «ومرقلي تمرقلك»، أصبح الحد الأدنى للأجور في لبنان ٣٠ دولارًا شهريًّا، يا لَلأَسَف!

وفي لبنان بطر على المستوى السِّياسيّ، وطفر على المستوى الاقتصادي، وهنا أستذكر القول السّائر: «اِخشوشنوا فإنّ النعم لا تدوم»، ولعلّ جزءًا من الأسباب لما نحن عليه اليوم من انهيار على جميع المستويات، يعود إِلى ما اقترفته أيادي بعض الحكام من كثرة البطر في سلوكياتهم الشاذة. نعم، في لبنان بشر يسرقون من الطفر، وبشر يسرقون من البطر، والفساد متوارث، في وطني يعيش بشر في عيونهم دموع من الأسى والفقر والجوع إِلى جانب بشر بطرت معيشتهم، لا شيء يملأ عيونهم.

بين السمين والنحيف والرذيلة والعمل بالسخرة

أعتقد جيِّدًا أن الفرق بين الفقير والغني، السمين والنحيف، الناجح والفاشل، هو في استغلاله يومه، وكيفية استخدامه في مصلحته، ولا يعني ذلك أنك إذا ترعرعت في بيئة فقيرة أو غنية، أو إذا كان لديك دراسة جامعية أو أكاديمية تكون بحال أفضل، والأمثلة كثيرة عن جامعيين من دون عمل، في كل يوم لديك ٢٤ ساعة تحت تصرفك، وأن استخدامك لها بمستوى الوعي الَّذي تملكه حاليًّا، هو الَّذي يحدد حياتك في المستقبل.

إنّ السخرية من السمين لن تجعلك أكثر نحافة، والاستهزاء بالقبيح لن يجعلك أكثر جمالًا، فَدع الخلق للخالق، واعمل على تحسين نفسك وتطويرها. ذات مرة، قال تشرشل لبرنارد شو: «من يراك يا برنارد يظن أن بريطانيا في أزمة غذائية»، أجابه ومن يراك يا تشرشل يعرف سبب الأزمة؛ وهكذا الأمر في لبنان، فمن يرى حياة البذخ والبحبوحة والرفاهية الَّتي يعيشها بعض رؤساء الأحزاب اللُّبنانيّة والمختصين بهم، كذلك أصحاب المصارف اللُّبنانيّة، يعرف من هم سبب تعاسة شعب لبنان، وأين هدرت مداخيل الدَّولة، وضاعت أموال المودعين.

وإذا كان الجوع هو أشد الآلام هولًا، والحب هو أكثر اللذات تغلبًا، فإن قوام العالم هو الجوع والحب، كما يقول الشاعر الكبير (شيلر)؛ وأما أنواع اللذة والألم الأخرى فهي عوامل أكثر سطوة وشدة، وقد نكون قد وصلنا إلى التخمة والإعياء من تَكرار نفس المطالب بمراجعة الحكام ضمائرهم، وعدم استغباء الموظفين العاملين في القطاع العام، وفي القوى المسلحة اللُّبنانيّة والمتقاعدين منهم، وذلك بمنحهم نصف راتب إضافي، في حين فقدت قيمة رواتبهم بحسب آخر سعر صرف للدولار تجاه الليرة ١٢ ضعفًا، والمطلوب هو خطة تعافٍ اقتصادي، تبدأ بتصحيح رواتب اللُّبنانيّين الَّذين يعملون في هذه الأيَّام بما يشبه السخرة.

بين إنجاز الأمور المستحيلة، والقناعة الكنز

علمتني الحياة دروسًا كثيرة، منها: أن لا أخاف من المسؤوليَّة الَّتي تأتي نتيجة الاهتمام بالآخرين، وأن الأشياء الَّتي نفعلها من أجل الحب، هي أشياء تدوم حتى لو كان الأشخاص الَّذين نفعلها من أجلهم لا يهتمون بذلك، كما تعلمت أن خير الأمور أبسطها، وأن أسوأ الحلول أسهلها، وأنه إذا كانت العجلة من الشيطان، فإن الكسل من الإنسان، وأن الخط المستقيم هو أقصر الطرق للهاوية.

كما تعلمت أن أظّل ساخطًا في الحياة حتى أنال منها ما أستحق، فلن أتمكن أن أصنع اللحم من القمح مهما ازداد علمي وخبرتي، كما تعلمت أَيضًا أن لا أكون قنوعًا في العمل، وعدم التوقف عن تطوير قدراتي، وأن لا سعادة حين يكون القلب ضعيفًا، وحين تكون الأفكار محدودة، وتعلمت أن القناعة هي كنز الضَّعفاء، وثوب الفقير المتعفف، وحلم اليقين، ونبراس الحياة، رغم أنها كنز لا يفنى، ولكن كما يقال باللُّبنانيّ: «المكتوب ما في منو مهروب».

وتعلمت أن لبنان لا ينقصه أعداء جدد، ففي بعض أبنائه وحكامه «ما يكفي ويوفي»، وتعلمت أن الحكام الَّذين يضحون بحرية شعوبهم من أجل السلطة لا يستحقون لا السلطة ولا الحرية، وتعلمت أن إنجاز الأمور الَّتي قال عنها الآخرون: إنها مستحيلة، هو متعة لي، فإذا كانت القناعة هي كنز الضَّعفاء، والطموح هو روح الأشقياء، فما ذنبي إذا كنت شقيًّا، ولست ضعيفًا.

بين المبادئ والمصالح، مناكفات وفساد

تقوم السياسة على قاعدة تغليب المصالح على المبادئ، أما في لبنان فقد شبعنا مبادئ وخطابات ممزوجة بالكذب من الزعماء، وكرهنا السياسة بسببها، ففي العالم الراقي ترتبط السياسة بالمصالح الكبرى للشعوب والدول والأمم والأحزاب، وربما الطوائف، ومن الممكن العمل بالمصالح على حساب المبادئ، لكن في بلادنا، فإن مصالح الزعماء الصغيرة هي أقوى من كل المبادئ والمصالح، مهما كانت كبيرة.

عندما سئل الفيلسوف جان جاك روسو ما هو الوطن؟ أجاب: هو المكان الَّذي لا يبلغ فيه مواطن من الثراء ما يجعله قادرًا على شراء مواطن آخر، ولا يبلغ فيه مواطن من الفقر ما يجعله مضطرًا أن يبيع نفسه أو كرامته لسياسي أزعر، فالوطن هو رغيف الخبز، والحضن والشعور بالانتماء والدفء والإحساس بالأمان، وهو ليس أرضا فقط، بل الأرض والحق معًا، وإذا كانت السلطة معهم، فليكن الحق معنا لاسترجاع الأرض والقرار، فالوطن هو حيث يعيش الإنسان بكرامته، وبئس الأوطان الَّتي لا كرامة فيها.

بعض زعماء لبنان «حراميي»، سرقوا الأحلام والأموال والحق بالعيش الكريم، وبات مؤكدًا أن الحق ليس عليهم، بل على مناصريهم وأزلامهم، وبعض وسائل الإعلام والإعلاميّين المأجورين. في لبنان لا مبادئ ولا مصالح وطنية، حتَّى إنَّه لا يوجد سياسة ولا احترام للقانون العام، يوجد معرقلات ومناكفات وتقاسم نفوذ وتبادل أدوار فقط، بغية سرقة المال العام، وإفقار الدَّولة، وبيع أملاكها بأسعار بخيسة؛ وإذا كنت لا أزال مؤمنًا أنه فوق كل أرض، وتحت أي سماء، يمكنني أن أجعل منها وطنًا، لكنني سوف أبقى أساند لبنان، وأدافع عن حقوق شعبه المسحوق حتى العظام من الظلم والاستغلال، ومساندًا له حتى يستفيق من مرضه، رغم أنه لم يعد يشبهني .

بين الظالم والمظلوم وغرائب الحياة

لا أدري إلى متى سوف يستمر صمت شعب لبنان على الظلم والكذب والنفاق والنصب والاحتيال الَّذي يمارس عليه على مرأى من العالم؟ وفيما نرى العجب من غباوة القيميين على السياسات الماليَّة والاقتصاديَّة للإمارات اللُّبنانيّة المتحدة، نشاهد وقاحة الظالم الَّذي يرى نفسه مظلومًا، ونرى الغرائب حيث يعيش الظالم في غفلة، وسكرة البطش والاستكبار، وربما يزداد استكباره يومًا بعد يوم؛ لأن موعد سقوطه قد اقترب.

ومن غرائب الحياة أَيضًا في لبنان، أن الإنسان الطيب الآدميّ صار بنظرهم غبيًّا، والظالم صار قويًّا، والحرامي صار عصاميًّا، والكاذب صار رجل دولة، والمنافق صار قريبًا، والقريب صار غريبًا، والأصدقاء صاروا أشد الأعداء، وصار العذاب يأتيك من الَّذي تحبه، وصارت الرجولة في قصائد الشعر، والصادقون صاروا أغبياء، وبات صاحب الحق يمل من المطالبة بحقه، بينما يتمادى الظالم في ادعاء الحق له دون وجه حق.

ومن غرائب الحياة أَيضًا، أنك، أيها المواطن المسكين، إن تكلمت، قالوا: اسكت، وإن سكت، قالوا: لماذا لا تتكلم؟ وإن نصحت، قالوا: أنت تطبل، وإن انتقدت، قالوا: ليس من حقك، وإن مدحت، قالوا: منافق ومصلحجي، وإن دعوت لهم، دعوا عليك، وإن طالبت بحقوقهم، أطلقوا أبواقهم، ودافعوا عن الظالم، وصرت إذا ضحكت، قالوا لك: ألا تحتشم؟ وإذا بكيت، قالوا: ألا تبتسم؟ وإذا سكت، قالوا: أين لسانك؟ والصامت شيطان أخرس، وإذا نطقت، قالوا: كثير الكلام، وإذا حلمت، قالوا: يعيش في العسل.

بين القصاص والتجرِبة، الله لا يعاقب

يرى بعض الأشخاص أن كثيرين كانوا في حياتهم بمنزلة عقاب على هيئة بشر، ويشكرون الله على فراقهم، ويحصد الحكام والمتحكمون برقاب العباد النسبة الأكبر من هؤلاء، ويرى بعضهم الآخر أن عقاب الله لهم كان شديدًا يومَ تركهم لنفسهم يتأدبون، ويؤمن بعضهم الآخر في قول القرآن الكريم، أن «في القصاص حياة»، وأن التقوى هي العمل بطاعة الله، ووجوب مخافة عقابه، وحين سُئِل الإمام علي بن أبي طالب أن يَصف الدُّنيا، قال: »ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب».

ونذكر من التاريخ طلب النبي موسى من اليهود في مصر دهن دم الخراف على أبواب بيوتهم حتى ينجوا من عقاب الله المنزل ضد مصر، ثم عاد الحمل وارتبط لاحقًا بالكنيسة الَّتي رأت فيه رمزية للمسيح الَّذي ضحى بنفسه لأجل الإنسان، وفي أوروبا أَيضًا، وخلال القرن السابع عشر، ضرب زلزال كبير جِدًّا مدينة لشبونة الَّتي تضررت كثيرًا، وقد قام البروتستانت بترويج فكرة أنه عقاب من الله. وفي الصلاة الربانية نصلي «ولا تدخلنا في التجرِبة، ولكن نجنا من الشرير»، وأبعد عنا، يا رب، التجارِب المهلكة الَّتي لا قدرة لنا على تحملها، واجعلنا دائمًا نعمل ما يرضيك.

وفي عقاب الله حواء، جاء في (سفر التكوين ٣: ١٦): (بالوجع تلدين أولادا، وإِلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك)، وهكذا فسر بعضهم ثلاثية عقاب الله لحواء؛ لأنها أغوت آدم من الولادة بالوجع إِلى الاشتياق للرجل وسيادته عليها، وشخصيًّا لم أقتنع في هذا التفسير؛ لأن الوجع في الولادة ليس عقابًا، فكل مخلوقات الأرض تتألم أثناء الولادة حتى الحيوانات، ولا تفسير لاشتياق المرأة إِلى الرّجل؛ لأن الرّجل يشتاق إِلى المرأة أَيضًا، وفي اعتقادي أن الموت هو عقاب الله الوحيد للبشرية بعد خطيئة آدم في كل الديانات السماوية، حيث إن العقوبات مؤجلة إِلى يوم الدينونة.

بين التفسير والتبرير، الصَّمت أفضل

نخلط في أحيان كثيرة ما بين التفسير والتبرير، فالتفسير يتعلق بالأسباب والكيفية الَّتي حدث بها أمر ما، في حين أنّ التبرير يتعلق بالأسباب الَّتي تجعلنا نقبل ذلك الأمر، مثال ذلك: الأسباب النَّفسيَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيّة الَّتي دفعت شخصًا ما إلى القيام بعملية إرهابية تفسر لنا ذلك الحدث، لكن لا تبرره، وهكذا فإن التفسير يجيب عن سؤال كيف؟ والتبرير يجيب عن سؤال لماذا؟

كذلك فإن الأسباب التي تجعلنا نقبل أمرًا ما، فإنها تجعلنا نبرره، وليس بالضرورة أن تكون كافية لتفسير حدوثه، مثلًا: قيام شخص ما بالتبرع بإحدى كليتيه إلى شخص غريب، بحجة أن ذلك من أعمال الخير، والحجة مقبولة وتبرر الأمر، لكنها لا تعطي تفسيرًا كاملًا لحدوثه، فليس من المعتاد أن يقوم الإنسان بهذا النّمط من التّصرفات، كما أن الصَّمت والعزوف عن التبرير والتفسير، فإنهما لا يعنيان القبول دائمًا، ففي أحيان كثيرة نقصد منه أننا تعبنا من فعل ذلك لأصحاب العقول الصغيرة.

والخلاصة: لا تضيع وقتك في التفسير والتبرير، ولا تحاور شخصًا لا يعرف الفرق بينهما، فالنَّاس يسمعون فقط ما يريدون، وكما يقول الكاتب الأمريكي ألبرت هابرد:

Never explain – your friends do not need it and your enemies will not believe you anyway. لا تبرر – صديقك لا يحتاج إلى ذلك، وعدوك لن يصدقك على أي حال، «لذلك حين نصمت نكون أصدق، ولا داعي لحرق الأعصاب مجّانًا، وقد تعلمنا حينَ كُنَّا صغارًا، بأن الصَّمت من ذهب، إلى أن بقي صمتنا، وذهب الذَّهب.

بين الحتمي والجبري، الهزيمة والانتصار

عندما توكل الأمور إلى غير أهلها يكون الانهيار حتميًّا، وسواء كنا نؤيد شخصًا ما أو نختلف معه، لكنه لا يحق لنا أن نختلف أو نتفق على حساب مصلحة الوطن والمواطن، وبانتظار إحصاء عدد الصفقات الَّتي عقدها رئيس حزب المصارف اللُّبنانيّة لاسترضاء أهل السلطة، بغية الوصول إلى سدة الرئاسة، هل سينفعه الندم بعد السقوط الحتمي، وبعد تخلي مشغليه عنه، وحيث لا ينفع الندم؟

في الماضي كان العنصر الحتمي والجبري مثل نكهة أيديولوجية في الفلسفة الماركسية، ويشبه إلى حد ما، الدّين والمخدِّرات، من حيث مفعولُها التخديري للشعوب، وكان هذا العنصر يجد تفسيره وتبريره في القهر الَّذي تتعرض له الشعوب، خاصَّة بعد أن تفقد المبرر في النضال، وتنتهي إلى سلسلة من الهزائم، وتصبح النزعة الحتمية قوة جبارة للمقاومة المعنوية، ولضبط النَّفس وتحقيق الصمود .

وعلى طريقة الكاتب الإيطالي أنطونيو غرامشي (لقد هزمتُ مؤقتًا، لكن اتجاه التاريخ -في النهاية- يعمل لمصلحتي.) فإنَّنا نرى ونراقب أهل السلطة في لبنان الَّذين اقتربت ربما آجال رحيلهم لانتفاء الحاجة إليهم، بعد حلول الأصيل في المنطقة، وبعد أن قدموا خدماتهم لأرباب نعمتهم، وتدمير الوطن، وتقديم مصلحة الخارج على مصلحة لبنان، وها هي التسوية الكبيرة تلوح في الأفق، لكن، يا لَلأَسَف! قد تأتي التسوية متأخرة، بعدما فقدَ لبنان خيرة شبابه الَّذين هاجروا، وربما تأتي بعد أن ذاق شعب لبنان الفقر، وعاش حياة الذل في زمن العثمانيين الجدد، فأين سوف تخبئون روؤسكم، يا ساسة لبنان؟

المرأة الإثيوبية، وقصقص ورق

في العام ٢٠١٨ أجرى «معهد أنواع الديمقراطية» في السويد مقارنة بين حقوق المرأة في لبنان وإثيوبيا، والمفاجأة أن عاملات المنازل في إثيوبيا لديهن من الحقوق أكثر مما للمرأة اللُّبنانيّة، تأملوا معي بين نظرة بعض أبناء المجتمع اللُّبنانيّ إلى العاملة الإثيوبية في بلادنا، وبين خطاب «سهلي ورق زودي»، يوم تنصيبها رئيسة لإثيوبيا حين قالت: «نحن أربع شقيقات، وكان والدي يقول دائمًا: إنه أب للبنات، وكان يردد دومًا بأنهن سيصبحن أفضل من الرجال بعلمهن، وها أنا اليوم أقف لأشكر والدي، وأقول له بأنني وصلت إلى هذا المنصب، وحققت رؤيتك».

وإذا كان تصنيف النِّساء اللُّبنانيّات اليوم يجري على رأس قائمة النِّساء اللواتي يتعرضن للعنف الجسدي بنسبة ٨٢٪، وتأتي المرأة المصرية في المرتبة الثانية، وفيما لا تجرّم القوانين اللُّبنانيّة انتهاكات حقوق المرأة كما ينبغي، إذ تعطي تعريفًا ضيقًا للعنف الأسريّ، والعنف ضد المرأة، وفيما وجهت كل من هيومن رايتس ووتش، انتقادات إلى لبنان، لعدم التزام الدَّولة بوعودها في تحسين حقوق المرأة اللُّبنانيّة، ومنحها حق الجنسية لأولادها، كما هو الحال في الدول الراقية، هكذا، فإن التَّحدِّيات الَّتي تواجه المرأة اللُّبنانيّة المهمشة، هي ليست تحديات مرتبطة بالقانون أو بالواقع السِّياسيّ فقط، بل هي تحديات مرتبطة بالنظام السِّياسيّ ككل.

وفيما لا يزعجنا القول، ولكن يؤلمنا القائل بأن لا دور للمرأة في السياسة، وفيما لا يُؤثر فينا الفعل، ولكن يصدمنا الفاعل، خاصَّة نحن المفعول بهم على أيدي أغبياء السلطة من الذكور، وفيما عدد النِّساء في البرلمان اللُّبنانيّ هو كئيب إلى حد ما، حيث تشغل المرأة اللُّبنانيّة ٦ مقاعد فقط في برلمان ٢٠١٨ الأخير المؤلف

من ١٢٨ مقعدًا، فما يُعزّز غياب التمثيل النسائي هو التفرد الذكوري الموروث في لبنان، وفيما المرأة الأفريقيَّة وصلت إلى مواقع السلطة دون كوتا نسائية، ودون منّة من أحد، دعونا نذكر الناخبين الرافضين لدور المرأة في إشغال المقاعد النيابية أو الوزارية، والمتمسكين بالذكور ببعض كلمات أغنية فيروز: «قصقص ورق، ساويهم ناس، قصقص ورق على اسم النَّاس، سميهم بأساميهن، ونحاكيهن، ويصيروا ناس»، ومساطر بعض هؤلاء أمامكم على شاشات التلفزة، والتعليق لكم.

بين حصان الفلاحة، وحمار السباق، والصَّمت القاتل

يُروى أن أحد الفلاحين كان يرهق «كديشه» في الفلاحة، والكديش هو حصان الفلاحة، أو حصان مهجّن، والده حمار، وأمه فرس، وفي لبنان يطلق لقب كديش على بعض رجال الدَّولة أحيانًا، ممن هم دون الصف الأوَّل، وكان جار الفلاح ينصحه بالرفق بالكديش الَّذي مرض وشارف على الموت، فما كان من صاحبه إلا أن وافق على عدم إرهاقه مجددًا، وبتقديم كمية كبيرة له من الحشيش، رغم أنهم في فصل الخريف، والحشيش لا ينبت إلا في الربيع، عندها ردد جاره: «عيش يا كديش، تا ينبت الحشيش»، والَّذي صار مثلًا شعبيًّا .

في بلادي اليوم أناس يأكلون ولا يشبعون، وليس خشية من الشبع الظاهر الزائد، بل بسبب الفقر، ربما، أو بسبب حمار السباق إلى السلطة الَّذي أدار النظام المالي لثلاثين عامًا، وسهل عملية السطو على أموال النَّاس، وسرقة تحويشة العمر، وفي المقلب الآخر نجد أناسا يرمون من الأكل في الولائم ما يطعم جيوشًا، ثم يسألونك عن النعيم، ولا تتمكن من الإجابة حين ترى تحكم البطون في العقول، والإكثار من الإسراف والتبذير، وبالأخص هذه الأيَّام، بعد خروج الحصان للفلاحة، والحمار للسباق، وهلاك المحصول، وخسارة الرهان، وفهمكم كفاية.

وتبقى إرادة الحياة للبقاء في الأرض هي الأساس للإنسان، وليس العقل فقط، وفي محاولة للتشبيه، وإظهار الفرق بين الإرادة والعقل يقول شوبنهاور: «الإرادة هي الرّجل القوي الأعمى الَّذي يحمل على كتفيه الرّجل الأعرج الَّذي يستطيع أن يرى، وإلى المواطن اللُّبنانيّ الصامت، وربما المستسلم نتيجة خيبات الأمل العديدة، أقول لك: ما فائدة كتابتي إليك إذا كنت لا تنتفض؟ وكيف لي أن أقولها من دون أن أجرح كبرياءك؟ أخبرني: كيف تقال: «اشتقت إلى الحياة» في لغة الصَّمت؟

بين ماضي لبنان اللعين، وحاضره المشين، والتخلي عن الشَّعب الأوكرانيّ المسكين.

الحمد لله، لقد تعودنا على كل أنواع التعاسة في لبنان، والَّتي تمثلت بحروب الإلغاء والتحرير والاجتياح والاغتيال والتهجير والهجرة ولعنة الأوطان، تمامًا مثل المشهد الأوكرانيّ اليوم، لكن ذلك لا يعني أننا خائفون من ذلك، لم ولن نستسلم حتى أن هذه الحرب الاقتصاديَّة سوف نتجاوزها، والَّتي كان حدوثها حتميًّا، وقد كتبت عنها قبل ذلك بوقت. ومن المؤكد أننا سوف نخرج منها بأسرع مما يتوقع الجميع، نعم، الماضي كان مدمرًا، والحاضر كارثيًّا، ولا مؤشرات في المستقبل القريب، بالتخلص من هذه الزمرة الباطشة مع الأسف، ولكن يبقى الأمل بالله، وبتدخل المجتمع الدَّوْلِيّ أن يغير وجهتنا، ويقودنا من الجحيم إِلى النعيم .

يسعى اللُّبنانيّ اليوم إِلى إلغاء الماضي اللعين من ذاكرته، والخروج من الحاضر الميؤوس، وتجنب المستقبل المظلم، هذا إذا كان هناك من مستقبل، كما يظن بعضهم، وهذا الكلام صار لسان حال الشَّعب اللُّبنانيّ المسكين، وطبعًا لا أوافقه الرأي، ومع ذلك يحاول هذا الشَّعب نفض بقايا الأمس والماضي من ثوب الحاضر، والانتقال إِلى بداية جديدة، ونسيان التجارِب السابقة المؤلمة، وعلى طريقة: «اللي فات مات»، لكنه، يا لَلأَسَف! لن يتمكن، وسوف يظل يعيش الماضي في حاضره، ويخاف أن يلاحقه في المستقبل، حتى في تحصيل لقمة عيش أولاده.

أيام عصيبة تمر بها أوكرانيا مع بدء قتال الإخوة مع شقيقتها روسيا الَّذي بدأ في ٢٤ شباط الماضي، وعلى ما يبدو، وبعد أسبوع من بدء العمليات العسكرية، أن الحرب الحقيقية لم تبدأ بعد، وأن الطرفين قد قررا عدم التراجع، والقتال

بين ماضي لبنان اللعين، وحاضره المشين،
والتخلي عن الشَّعب الأوكرانيّ المسكين.

حتى النهاية، أما نحن فإنَّنا نتألم معهم، ونستذكر ديستويفسكي، ونشتاق لكل الشخصيات الَّتي صنعها، ونبكي ونضحك كلما ضحك بطل روايته، ونشتاق أن نقرأ من جديد «ميتيا» بطل «الإخوة كارامازوف» Kو«راسكرلنيكوف» بطل «الجريمة والعقاب»، ونسأل الله نبذ الأحقاد، وعودة السلام .

بين متلازمة الرأس المنفجر، ومتلازمة الرأس المتحجر.

تعـدُّ المعانـاة، ممـا يعـرف بـ «متلازمـة الـرأس المنفجـر»، أمـرًا غريبًـا، وغـير سـارٍ، وهـي منتـشرة بشـكل مدهـش أَيضًـا، وتشـبه عوارضهـا الاختطـاف مـن قبـل كائنـات غريبـة، «حيـث يحـدث صـوت ضوضـاء مفاجـئ ومرتفـع، ثـم انفجـار صـوتي قـوي ومزعـج، وصـوت أزيـز أسـلاك كهربائيـة، ووميضـات براقـة في البـصر، كـما لـو أن شـخصًا أضـاء مصباحًـا أمـام الوجـه»، هكـذا يصـف نيلـز نيلسـون مـا يتعـرض لـه مـع متلازمـة الـرأس المنفجـر، وهـو شـعور كريـه يصل معـه أحيانًـا إِلى حـد الشـعور بالرعب.

يقـول برايـن شـاربليس، أسـتاذ علـم النَّفـس المسـاعد في جامعـة واشـنطن: إذا كنـت تعـاني أي نـوع مـن الاضطرابـات أثنـاء النـوم، مثـل الأرق أو الإرهـاق مـن فـرق التوقيـت، فقـد تكـون أكثـر عرضـة لهـذه الاضطرابـات الَّتـي يسـاهم التوتـر العاطفـيّ والضغـط النَّفـسي بزيـادة احتـمال حدوثهـا، يتابـع: إنـه مـن الطبيعـيّ عندمـا نذهـب إلى النـوم أن تنفصـل أجسـادنا عـن الواقـع أو «تُغلـق»، وتصبـح في حالـة شـلل، لدرجـة أننـا لا نشـعر بأحلامنـا، وأثنـاء الانتقـال مـن مرحلـة اليقظـة إِلى النـوم ينفصـل الدمـاغ أَيضًـا عـن الواقـع، أو «يُغلـق» شَـيْئًا فشَـيْئًا.

وبينـما لا يوجـد عـلاج لهـذه الحـالات حتـى الآن، فـإن مضـادات الاكتئـاب والاسـترخاء، كلهـا تسـاهم في تحسـن حالـة المصـاب بشـكل إيجـابيّ، إضافـة إِلى حصولـه عـلى الطمأنينـة، بأنـه ليـس مـن المجانـين أو ممـن يعانـون مـن أورام في الدمـاغ، أو اضطرابـات دماغيـة خطـيرة، ورؤيـة المصـاب أحلامـا، وهـو مسـتيقظ، وكلهـا مجـرد هلوسـة، أمـا متلازمـة الـرأس المتحجـر فأنـا شـخصيًّا، أعـرف أشـخاصًا مـن أصحـاب الـرؤوس المتحجـرة، وقـد عجـزتُ عـن تغيـير مـا بـرؤوس بعضهـم مـن شـذوذ، وبـأنّ نهـب المـال العـام هـو حـلال، فـما رأيكـم بتغيـير هـذه الـرؤوس المتحجـرة بأكملهـا، وأن نعيـش حياتنـا بسـلام.

بين الاستثمار في المظهر، والاستثمار في العقل، ابتسم، أنت في لبنان.

مما لا شك فيه أن الجمال ليس تهمة، وأن الأناقة ليست جريمة، كما أن التحرر الاجتماعي في المظهر والسلوك هو حق، تمامًا كما هو اللباس المحافظ أو الحجاب للملتزمين دينيًا، وهذا ما يسمى الاستثمار في المظهر والشكل، وصولًا إلى الاستثمار في العقول، وتطويرها للتأثير في المجتمع، علمًا أن هذا التميز يتطلب ثقافة وذوقًا ومالًا، ولكن ما هي قدرة الشباب اللُّبنانيّ في الحفاظ على الشكل اللائق لهم، وعلى الاستثمار في المظهر الخارجي، والتميز وتثقيف عقولهم، ومتابعة دراستهم الجامعية في أزمة مالية أكلت الأخضر واليابس؟

يقول مكيافيللي في الحكم على المظهر: «كثيرون يهتمون لمظهرك، لكن قليلون هم الَّذين يستطيعون إدراك حقيقتك»، وإن كان اللباس من أهم الماركات العالمية المشهورة يبهر بعض الصبايا، لكنه لا يخدع أصحاب الخبرة منهن، كما أن المظهر الأنيق، والكلمات اللبقة للإنسان، لا تدل على شخصيته الحقيقية، فكم نصادف يوميًا أشخاصًا نظنهم من خيرة النَّاس، نتعامل معهم باحترام وثقة، ثم نجد أنفسنا، وقد وقعنا ضحية نصب واحتيال، وبعدها تظهر الابتسامة على وجه المنتصر الَّذي أتقن حيلته بجرأة ووقاحة، ويعلو على وجوه بعضنا تعبير أبله ذو خيبات.

ويبقى أن الاستثمار في العقل هو أهم من الاستثمار في الشكل الخارجي؛ لأن الشكل بلا عقل مثل رسالة بلا مضمون، لذا يجب أن يحرص الإنسان على لياقته الذهنية، والاستثمار بما وهبه الله من ذكاء، وفكر، ووعي، وكاريزما، وصوت جميل، ربما، وما إلى ذلك. ويبقى الاستثمار الأهم هو في تطوير الذات، فكثيرون،

بين الاستثمار في المظهر، والاستثمار في العقل،
ابتسم، أنت في لبنان.

يـا لَلأَسَـف! هـم الَّذيـن كانـت تبهـرني مظاهـر عيشـهم، ولكـن عندمـا تحدثـوا في الاقتصـاد والسياسـة، تمنيـت لـو أنهـم سـكتوا ومـا فعلـوا ذلـك؛ وفي المقلـب الآخـر، يمكنـك أن تجـد أشـخاصًا كثـر، تتشـابه معهـم في الجوهـر والمنطـق، وربـما تختلـف معهـم في اللـون والمظهـر، ولكـن ذاك المختلـف عنـك، قـد يشـبه روحـك وطبيعتـك. اِبتسـم أنـت في لبنـان.

بين إجرام المرأة، وإجرام الرّجل، وآراء علماء الاجتماع ورجال القانون (جزء أول).

كتبت عالمة الاجتماع المغربية فاطمة المرنيسي: «ألا يمكن تصور كوكب يكون فيه قوام الرجولة حنانًا متدفقًا؟ رجال ينتحبون حين نفارقهم فى الصباح»، كما رأت عالمة أخرى: أنه «بالانفتاح على الآخرين، وإدراك أننا نعيش عالمًا متقلبًا، سيجعلنا ذلك قابلين للتكيف، ويجعلنا قأدرين على العيش مع فقدان الأشياء والأماكن والأشخاص، وأنماط الحياة الَّتي نعتز بها، وقأدرين أَيضًا على تحمل الخسارة من أجل التحول، لنكون مجددًا في مكان آخر غير ما نحن عليه.

بدوره يرى سيزار لومبروزو، الطبيب الإيطالي المختص في علم الإجرام: أن المرأة ليس لديها استعداد أوليّ لخرق القانون وارتكابِ الجرائم، كما ترى الجريمة الَّتي تقوم بها المرأة انحرافًا عن فطرتها وطبيعتها الأساسية، وقد ثبت بالإحصائيات الجنائية في مختلف دول العالم، وعلى مدى أجيال متعاقبة: أنّ المرأة هي أقل إجرامًا من الرّجل، وبفارق كبير جِدًّا من حيث الكم والنوع والوسيلة المستخدمة، فمن الناحية الكمية، يبلغ إجرام الرّجل عشرة أمثال إجرام المرأة، ويغلب على المرأة إقدامها على الجرائم الَّتي تحتاج في تنفيذها إِلى ذكاء وحيلة أكثر من المجهود العضلي، واستطرادًا، فإنّ أول جريمة في الأرض ارتكبها رجل ضد رجل، ولا يزال بعض الجهلة يرددون أنّ المرأة هي سبب فساد المجتمع.

ويضيف بعض علماء الاجتماع ورجال القانون: إن الرّجل تنقصه العاطفة منذ الولادة، أما المرأة فهي كاملة العاطفة، لذا فإنه من المنطق أن بذور العدوانية والشر ولدت مع الرجال بالفطرة، لذلك نادرًا ما ترتكب المرأة جريمة مهما كانت ظروفها، وقد يكون من أسباب القتل هو كيد بعض الرجال ومكرهم وحقدهم وحسدهم بحسب قول النبي يعقوب، أما كيد المرأة فهو ناتج عن المبالغة في الغيرة والإعجاب، وهذا لا يشكل خطرًا، وبالنتيجة، فإن كيد الرجال أعظم بكثير من كيد النِّساء.

بين إجرام المرأة، وإجرام الرّجل، فجوة في قوانين التجريم (جزء ثانٍ).

بمناسبة اليوم العالمي للمرأة الَّذي يوافق في الثامن من شهر آذار من كل عام، حذر المجلس الأوروبي العديد من الدول من ارتفاع معدلات العنف ضد المرأة، مطالبًا باتخاذ المزيد من التدابير والإجراءات الأكثر فاعلية، بهدف مكافحة هذه الظاهرة، يضاف إلى ذلك ما جاء على لسان نائبة مدينة إسطنبول غمزة آق قوش إيلجازدي، عن ارتفاع معدلات حوادث القتل في البلاد خلال ١١ سنة الماضية بشكل كبير، ووفقًا لوزارة العدل بلغ عدد حوادث العنف ٧٢ ألفًا و٥١٢ جريمة قتل، أي إن ١٢٧ شخصًا في الأسبوع، اغتيل حقهم في الحياة على يد آخرين».

وأشارت النائبة التركية إلى أن ٩٨٪ ممن دخلوا السجن في العام ٢٠١٩ بسبب جرائم القتل هم من الذكور، وأوضحت أن الجرائم الجنسية زادت خلال المدَّة ذاتها بمعدل ١٠ أضعاف، كما كشفت عن أن ١٥ ألفًا و٥٥٧ سيدة قتلن خلال مدَّة ١٨ عامًا من ٢٠٠٢، حتى العام ٢٠٢٠، والحديث عن حوادث العنف الأسريّ موجود في معظم دول العالم، وبات الحديث بشكل متزايد عن حوادث صادمة تصاعدت فيها حدة العنف ضد المرأة، رغم أن وسائل التواصل الاجتماعي تؤدّي دورًا مهمًّا في تسليط الضوء على تلك الجرائم.

لذلك نجد أنه حان الوقت لتجريم مرتكبي جرائم قتل النِّساء تحت ذريعة الشرف بأشد العقوبات، وحتى ذلك الوقت فإن كل يوم في حياة المرأة في هذه الدول، هو حداد على الغدر الذكوري بحق النِّساء. وفي مسلسل العنف ضد المرأة نرصد صدمة في باكستان، بعد تفاقم الجرائم بحق المرأة، وصولًا إلى جرائم بحق نساء الإيغور في الصين، إضافة إلى الجرائم الَّتي تستهدف النِّساء الإيرانيات،

بين إجرام المرأة، وإجرام الرّجل،
فجوة في قوانين التجريم (جزء ثانٍ).

وآلاف الشكاوى من نساء مصر، ومطالب عديدة بتشريعات رادعة، ومن قال: إن المرأة اللُّبنانيّة تعيش بأمان من التعنيف الأسريّ والقتل في ظل قانون ذكوري، أكل الدهر عليه وشرب.

بين ظلم الأشرار، وصمت الأبرار، مصيبة.

على ما يبدو فإن صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الندامة، بحسب قول ابن المقفع، والمصيبة ليست في ظلم الأشرار، بل في صمت الأخيار، وقد بات مؤكدًا أن السعادة هي من نصيب الأخيار، والتعاسة هي مكافأة الأشرار، لكنه، ويا لَلأَسَف! ومن سوء حظ اللُّبنانيّين، أن نجد دومًا الأخيار في القبور، والأشرار في القصور والمناصب الرفيعة، ولعل هذا الاختبار الإلهي هو معيار، يجعلنا نرى الفرق بين الأخيار والأشرار.

وقد يكون مستغربًا حقًا أنك مهما حاولت أن تكون رائعًا، وتتعايش بسلام، وفي منتهى اللطف والأدب مع جميع الأخيار والأشرار من حولك، حتى يخرج لك من بقعةٍ ما، وغْد محترم، يقدم لك بعض الحقد المجاني، ثم يأتي من يطلب منك التأقلم، وقبول ما يُفرض عليك في زمن الأقزام وموت الأحلام، وأن ترمي أخلاقك في التعامل، وكأنها مجرد أوهام أو أقلام تكتب حياة على أوراق الشجر في خريف الوطن، وبرغم ذلك يأتيك شعور غريب وتساؤل: لماذا الأخيار يرحلون باكرًا، والأشرار يعمرون طويلًا، وأنت لست متأكدًا إذا كان هذا مجرد شعور أم حقيقة؟

وإذا كان قول الإمام علي بن أبي طالب في كتاب ميزان الحكمة في الجزء الأوَّل أن استصلاح الأخيار بإكرامهم، والأشرار بتأديبهم، وأن العاقل يتعظ بالأدب والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب هو خير تعبير، وتبعًا لذلك فإن تأديب الأشرار يكون بالتجاهل، كما أرى أنَّه من الخطأ تصنيف النَّاس إلى طوائف ومذاهب ما يُكرّس الانقسامات أكثر، فيما في الواقع نجد البشر نوعين: أخيارًا وأشرارًا، وكل فئة تجمع أشخاصًا من كل الأديان، ولا أعرف إن كنتُ على صواب أو وهم، ولكنني متأكد أنني سأبقى إلى جانب الأخيار، مهما كان انتماؤهم الطائفي.

بين الأمل بالعمل والموت بالقلق، «كاروشي».

لا فائدة من البكاء على الأطلال، فكل شيءٍ في هذه الحياة مقرون بالعمل، حتى المعجزات، ولا يجب الخلط بين الواقع والخيال إطلاقًا؛ فالواقع هو حقيقة وإنجاز، أما الخيال فهو تأمل وأمل، وكلها متممة ومكملة لبعضها، خاصَّة إذا تمت دراسة القدرات مع واقع الحال، وتحول الخيال إلى علم وابتكار، وتم شد العزم في العمل من أجل النجاح في الحياة.

والإنسان بلا أمل مثل النبات بلا ماء، وكما أن الأرض تعمر بالعمل، فإن النَّفس تحيا بالأمل، وقد صدق من قال: لولا فسحة الأمل... وحده العمل يعيد الأمل للإنسان، ويجعله ينسى أوجاع وهموم وطنه، وظلم ذوي القربى من أبناء جلدته، ولا يجب إغلاق الأمل بالتشاؤم، ويجب الإبقاء عليها مفتوحة بالعمل، اترك التشاؤم والإحباط، وأقبل على الحياة بإيمان وأمل، وعزيمة وصبر، وسوف ترى الحياة أبهى وأجمل وأكثر متعة.

ولكل من يعيش القلق من الموت أذكره بالحكمة القائلة: الخوف لا يمنع الموت، لكنه يمنعك أن تستمتع بالحياة، ولا بد من التصالح مع الموت؛ فالخوف منه يحملك أعباء القلق، والهروب الَّذي هو شكل من أشكال الضَّعف، ولن تعي معنى الاستمتاع الحقيقي بذلك، ومع تفهمي أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش من دون قلق، لكن لا بد لنا من تطويع أنفسنا عبر التقليل من سقف الآمال الكبيرة، والَّتي يقل معها الإحباط والخوف الَّذي هو أصل القلق، والَّذي تتفاوت مستوياته بين البشر، إشارة إلى أن اليابان أطلقت تسمية «كاروشي» على الموت من الإرهاق، أو الموت بسكتة قلبية، للموظفين الَّذين يعانون من ضغط العمل، لذلك اجتهد، لكن انتبه، فالحياة ليست وظيفة فقط.

بين قساوة الحياة، والعودة إِلى الطبيعة.

لا شيء يُضاهي الأمان الَّذي أجده في الطبيعة، حيث إن نمط الحياة اليومية صار مملًّا، بعد أن صرت أستقبل أيامي في الصباح، وأودعها في المساء، وبات الوقت عندي حاجة للاستفادة منه لاعادة تقييم مشاغل الحياة الَّتي أعيشها، بعد أن أخذتني بعيدًا إِلى عالم الأعمال الَّذي لا يشبهني ربما، وابتعدت كثيرًا عن العفوية والبساطة، وفي غضون كل ذلك أسأل نفسي: إذا كان من الممكن بعد أن أعيد تصحيح نمط حياتي، والعودة إِلى الطبيعة والحياة الحقيقية، وأظن أن هذا الأمر هو في غاية السهولة، وقد خطيت خطوات منذ سنوات في هذا الاتجاه.

ما يزيد على ثلاثين عامًا من حياتي المهنية، قضيتها في الأشغال الشاقة في سجن الوطن، ومع الأيَّام ماتت ببطء جميع العادات القديمة الَّتي كنت أختزنها، وتبدلت الأولويَّات في حياتي، وباتت الحاجة لإعادة صقل مهاراتي الشخصيَّة أولوية، وذلك بهدف التمكن من إدارة مصاعب الحياة في ظل تقلبات سياسية واقتصاديَّة حادة وخطيرة، وفي ظل اقتصاد فوضوي، وليس حرًا، وفي دولة لا تشبه الوطن.

ذات يوم، قال لي صديقي، ناصحًا: إنه «من المستحيل أن يعرف الإنسانُ الله، إذا كان لا يعرف الخير»، وهذه العبارة لا تزال تدور في رأسي ليل نهار، وخاصَّة بعد أن صرت أقرب إِلى الله، وعلى نحو متزايد، وصرت أكثر انسجامًا مع قساوة الحياة، وبالأخص بعد أن فقدت العشرات من أصدقائي الواحد تلو الآخر خلال سنتين، ولكنني لا أزال أشكره على نعمه، رغم قساوة الفراق؛ لأن إيماني المسيحي يجعلني أثق أن الله معنا، وهو في الصعاب يركض إلينا، وكما يقول الكتاب المقدس: إنه حتى يمسك دموعنا في زجاجة، الرب قريب منكسري القلوب، ينقذ الَّذين سحقت معنوياتهم». (مزمور ١٨:٣٤)

بين تجار الأوطان، وديمقراطية المجتمع الجاهل.

يروي أهل مصر أنه بعد مقاومة محمَّد كريم للحملة الفرنسية، تم القبض عليه، وأرسلوه إلى نابليون الَّذي صارحه قائلًا: «يؤسفني أن أعدم رجلًا دافع عن بلاده بجرأة، ولا أريد أن يذكرني التاريخ بأنني أعدمت بطلًا، لذلك عفوت عنك مقابل عشرة آلاف قطعة من الذهب، تعويضًا عن قتل جنودي، فرد محمَّد كريم: لكن ليس معي المال، إنما لي دين عند التجار بأكثر من مئة ألف قطعة من الذهب، فقال له نابليون: سأسمح لك الذهاب لتحصيل أموالك، وأنت مقيدٌ في الأغلال، ذهب الرّجل ولم يوفق، ولم يستجب له تاجر واحد، بل اتهموه بدمار الإسكندرية، فعاد مستغربًا إلى نابليون الَّذي أجابه ليس أمامي إلا إعدامك، لأنك دفعت بحياتك مقابل أناس جبناء تشغلهم تجارتهم عن حرية الأوطان.

بدوره المفكر المصري محمَّد رشيد رضا يقول: إن الثائر لأجل وطنه مثل شخص أشعل النار بجسده كي يضيء الطريق لشخص أعمى، لذا لا يجب القتال من أجل الجبناء، ولعل إقناع الذبابة أن الزهور أجمل من القمامة هو أسهل من إقناع الخونة بأن الأوطان أغلى من المال؛ وفيما كنت أقرأ ما كتبه محمَّد رضا عن مصر، تذكرت الحال في لبنان، حيث صار الشَّعب ضحية الجهل والغباوة، وأكثر ما يؤلمني، وربما يستفزّني، هو هذا الكم من المرشحين للمجلس النيابي القادم من الَّذين «كبرت الخسة» في رؤوسهم في طلب السلطة، فيما من يصفق لهم هم من أصحاب البطون الخاوية .

أعان الله لبنان على بعض أهل السلطة الحاليين والقادمين من الأغبياء والجهلاء، ورحم النبلاء والعقلاء، ممن صنعوا عبر التاريخ أمجادًا لهذا الوطن، وصدق من قال: «إذا غضب الله على قوم سلط عليهم حكامًا أغبياء»، وهكذا ما يؤكد النَّظريَّة القائلة بأن الديمقراطية لا تصلح في المجتمعات الجاهلة؛ لأن أغلبية من الحمير تحدد مصير النخبة، كما يقول «جورج برنارد شو»، وهذا ما يحصل، يا لَلأَسَف! في هذه الأيَّام العجاف.

بين المصائب والفرص الضائعة، والخير القادم .

يبدو أن الحرب الروسية الأوكرانيّة قد ألقت بظلالها على دول إقليميَّة مؤثرة بالوضع اللُّبنانيّ، إذ إن الحظر الأميركي لنظام «سويفت» عن روسيا قد أتاح الفرصة للدولة التركية في دعم عملتها الوطنية عبر إجراء العمليات التجارية الخارجية مع روسيا بالليرة التركية، كما أتاحت العقوبات الأميركية الأخيرة على النفط الروسي فرصة للجمهورية الإسلامية في إيران لتجاوز العقوبات المفروضة عليها، والبدء بتصدير النفط من جديد في ظل الحاجة المستجدة في السوق العالمي.

في المقابل يقر معظم اللُّبنانيّين في هذه الأيَّام أنهم لا يستيقظون إلا على مصائب وفرص ضائعة، وفيما يرى بعضهم القليل منهم أنه لا يوجد فرص ضائعة، وكل ما فاتنا لم يكن لنا، وكل شيء مقدر، في المقابل يرى بعضهم الآخر أنه عندما تأتيك الفرصة يجب أن تتشبث بها، فقد تكون هذه فرصتك الوحيدة للنجاة، ومثالًا، هناك العديد من الفرص الَّتي أضاعتها الحكومات اللُّبنانيّة وجهابذة المال، والَّتي كان من الممكن أن تساهم في إنقاذ الاقتصاد الوطني، وعدم الوصول إلى ما نحن عليه اليوم من ويلات في جهنم اللُّبنانيّة.

وعليه أرى أننا لن نحصل على الهناء وراحة البال إلا بالانحناء أمام العاصفة، والتحلي بالصبر والمرونة في التعامل مع مجريات الأحداث، وتسليم أمرنا بالكامل لله وحده، وليس للزعيم السِّياسيّ أو الديني، فلا أحد يستحق التأليه والتمجيد سوى الخالق، ولا تستحق كل تجارِب الحياة وإخفاقاتها التوقف عندها طويلًا، فلا يوجد فرص ضائعة، كلها تعوض، والخير قادم بمشيئة الله، وباب الرزق مفتوح دائمًا، ولا يغلق في وجه أحد، وطرق الوصول إليه متعددة في لبنان أو في الخارج، «رزق يأتيك ورزق تذهب لجلبه»، والعبرة في النشاط والهمة وليس في التكاسل .

بين قوروش الكبير، وقمبيز الصغير، وستاربكس.

قوروش العظيم بحسب ما هو مذكور في كتب التاريخ، هو شاه إيران الأوَّل، وصاحب أول إعلان لحقوق الإنسان في التاريخ، وقد حفظ هذا الإعلان في أسطوانته المكتوبة بأحرف مسمارية، ولا يزال بعض الإيرانيين يعتقدون أن يوم قوروش العظيم، هو ذكرى قيام هذا الملك الفارسي بغزو بابل، وإعلان المساواة بين جميع البشر، وإطلاق سراح الآلاف من اليهود العبيد، كما قام الملك قوروش قبل ٢٥٠٠ عامًا بتأسيس إمبراطورية إيران العظمى، وحدودها من السند وسيحون شرقًا إلى غزة ولبنان غربًا، ويبدو أن إيران الحديثة تتطلع إلى مبادئ قوروش في التوسع مجددًا.

وفي مراجعة لتلك الحقبة نجد أن ملك الفرس قوروش كان له زوجة يهودية اسمها الملكة إيستر Ester ، وهي الَّتي أقنعته بحماية اليهود خلال غزوة بابل، ولا يزال قبرها في همدان في إيران، وإكرامًا لها قام رجل الأعمال اليهودي «هاورد شولتز» باعتماد صورتها في شعار ستاربكس، كما أصدرت الدَّولة الإسرائيلية بمناسبة نقل سفارة أميركا إلى القدس عملة تذكارية فيها رسم الشمعدان في الأعلى، وفي أسفله شعار أمريكا، وصورة الرئيس ترامب، وشعار الدَّولة الفارسية، ورسم للملك قوروش.

أما قمبيز الصغير فهو الابن الأكبر للشاه قوروش الكبير، وقد تولى حكم بلاد الفرس بعد والده، وعرف باسم قمبيز الثاني، وبالرغم من سنه الصغير فإنه استطاع تولي قيادة المقاومة الشَّعبية الفارسية، ويذكر التاريخ أن من أسباب انتصاره على المصريين القُدماء في معركة فرما عام ٥٢٥ ق.م. أنه أمر باستخدام القطط كدروع لهم في المعركة، وبسبب تقديس الفراعنة للقطط ملأ الخوف

بين قوروش الكبير، وقمبيز الصغير، وستاربكس.

قلوبهم، ولم يَجرؤ أحدٌ منهم على رمي السهام على العدو خشيةَ قتل تِلك القطط، كما يذكر التاريخ أن نهاية قمبيز الثاني كانت بإرسال جيشه المؤلف من ٥٠ ألفًا من الجنود لمحاربة الأثيوبيين، لكنهم اختفوا هناك بعد أن حاصرتهم عاصفة رملية، ويعتقد أن كامل جيشه قد دفن تحت الرمال حيًّا.

بين متلازمة ستوكهولم ومازوخية بعض حكام العرب.
Syndrome de Stockholm and the Masochism of some Arab rulers

ظهر هذا المصطلح قبل خمسين عامًا، ويعود تاريخه إلى عملية احتجاز لأربعة موظفين رهائن في أحد المصارف في ستوكهولم في العام ١٩٧٣ من قبل اثنين من الهاربين من السجن، وبعد ستة أيام من المفاوضات أطلقوا سراحهم، وتتميز المتلازمة بتنامي شعور الرهائن بالثقة تجاه خاطفيهم، وتبرير تصرفاتهم، وخلق شعور إيجابيّ لدى الخاطفين تجاه رهائنهم، وإظهار عدائية الضحايا تجاه قوات الأمن، وقد اصطلح على تسميتها لتفسير المشاعر الَّتي يشعر بها الرهائن تجاه خاطفيهم.

وفيما يرى بعضهم أن العبودية هي آفة، يرى بعضهم الآخر أن الأديان هي أفيون الشعوب، وقد وصل الأمر بشعب لبنان إلى التلذذ بهذه العبودية، والإدمان على هذا الأفيون تحت مسمى مازوخية الحكام، حيث يتلذذ الشَّعب بالذل والفقر، فيما حكامه الساديون يتلذذون بتعذيبه وقهره وسرقة أمواله، وهو يصفق لهم مثل الأبله، وعلى امتداد تاريخ العرب برز طغاة كانوا أشبه بالرجال الساديين، وحفظت لنا كتب التاريخ نماذج من أولئك الطغاة الَّذين كان العرب يرونهم من قبيل التابوهات الَّذين يحظر الحديث عنهم، وعن ممارساتهم السادية في المعتقلات ذات السّمعة المرعبة، مثل أبو غريب الَّذي تقشعر الأبدان لاسمه.

وتعد الشعوب العربية الأكثر بؤسًا في التاريخ المعاصر الَّتي ذاقت المر من حكامها لسنوات طويلة، وقد حُفظت شهادات لمعتقلين اتخذت تسمية الفن المرعب في التعذيب، ومن الأساليب الَّتي كانت تمارس عليهم في سجن أبو غريب

بين متلازمة ستوكهولم ومازوخية بعض حكام العرب.
Syndrome de Stockholm and the Masochism of some Arab rulers

مثلًا، الضرب على الرأس لمدة من الزمن من أجل أن يصاب الضحية بأمراض عقلية أو عصبية دائمة، أو نفخ بطنه بمنفاخ عن طريق دبره لحين إغمائه بسبب تمزق بطنه، أو الصعق الكهربائي بواسطة أسلاك يمر من خلالها التَّيَّار الكهربائي بعد جلوس المعتقل في حوض ماء وغيرها، وليست السجون العربية الأخرى أفضل حالًا من سجن أبو غريب السَّيِّئ الذكر، فمتى تستيقظ هذه الشعوب وتصرخ ضد الذل؟

بين القمح والزيوان، ومجيء الوقت.

إلى الَّذين لم يخذلونا في الحياة، نقدم محبتنا وتقديرنا لوفائهم، وإلى الَّذين خذلونا، نقدم شكرنا وامتناننا؛ لأنهم ساعدونا على التمييز بين القمح والزيوان، والزيوان، يا سادة، هو عبارة عن نبات يشبه القمح لكنه رديء، ويردد اللُّبنانيّون كثيرًا المثل القائل: زيوان بلادي ولا قمح الغريب، ويقصد به أن الشيء المصنوع في بلدك أفضل من الشيء المستورد ولو لم يكن بالجودة نفسها ربما، لكن هذا المثل يقصد به أشياء أخرى أيضًا، وهي تفضيل شخص على شخص آخر، ويمكن أن يكون القصد أنه أي شيء من بلدك أنت أعلم فيه، لكن المستورد من الخارج يمكن أن يكون سيِّئًا مثل الزيوان الَّذي نعرفه.

ويبدو أنه من الحسنات الوحيدة لهذه الأزمة الاقتصاديَّة والماليَّة والأخلاقيّة الَّتي يمر بها لبنان رغم قساوتها، أنها كانت بمنزلة «الغربال» الَّذي فصل الزيوان عن القمح، وكشف اللُّبنانيّين على حقيقتهم، وأسقط المنافقين والفاسقين منهم تحت الغربال، وخاصَّة أصحاب المصارف وحكام المال، وبعض أصدقاء المصلحة، ورغم مرارة الحالة الَّتي وصلنا إليها، يستمر المصلحة بدفع فاتورة الطالح مع بلوغ رواتب موظفي القطاع العام والخاص انحدارًا دراماتيكيًا، وفقدانها لقوتها الشرائية، لكن بصيص الأمل يبقى موجودًا، خاصَّة بعد تمايز القمح عن الزيوان، وانكشاف الكَذَبة والمراوغين الَّذين وعدوا الشَّعب بإصلاح كاذب.

وفي الأخير، نجد أنه إذا كان الله نفسه إله الخير هو الزارع للقمح في الحقل، والعدو أي الشيطان هو الزارع للزيوان (زكريا ١:٣)، وبذلك فإن القمح في الكتاب المقدس يرمز إلى الأبرار الملتزمين، والزيوان يرمز إلى الأشرار غير الملتزمين (متى ١٣:٢٨-٣٠)، وقد سمح الله بتعايش الاثنين معًا في الحقل؛ لأن شخصيَّة

بين القمح والزيوان، ومجيء الوقت.

كل مجموعة لم تنضج بعد، وسيكون من الخطر الفصل بينهما، ولا يمكن حصاد الزيوان دون التأثير على نمو القمح، لذلك يجب أن تتعايش كلتا المجموعتين حتى مجيء الوقت، وهذا هو حالنا في المزرعة اللُّبنانيّة، ولا حول لنا ولا قوة إلا بالثقة بالله، كي يكون الخلاص قريبًا .

بين ثلاثية الاستثمار والاستعمار والاستحمار الإلكتروني ضاع لبنان.

لا يعرف العديد من حكامنا في لبنان التمييز بين الجهل والإبداع، وبين الاستثمار والاستعمار، وبين الرحمة والاستعباد، وبات لبنان بلد الفرص الضائعة، وخيبات الأمل المتوارثة، يا لَلأَسَف الشديد. وفيما السبات الشتوي يضرب أهل السلطة لحين إنجاز الانتخابات النيابية المتوقع تأجيلها أو تطييرها، يأتيك الاستحمار الَّذي تقوم به السلطة السِّياسيّة إعلاميًا عبر محاولة الهيمنة على عقول المواطنين، بأن تفقدهم أدنى مقومات الحياة بكرامة، وتستحمرهم أي تجعلهم حميرًا، تتحكم فيهم دون أي مقاومة.

وفيما الاستعمار الجديد يأتينا في صور عديدة، منها استثمارات في العملات الرقمية، أو تطبيقات إلكترونيَّة خادعة، تسرق أموال الشباب، وتساهم في إفقاره، أو استثمارات تقوم على السيطرة النَّفسيَّة والروحية غير المباشرة على المواطن في لبنان من قبل قوى خارجية بأزلام داخلية، ومن أصحاب الكروش الَّتي تستعمر وتستحمر الشَّعب النائم، ثم يأتيك الاستعمار الثقافي الَّذي يحرص على تربية أجيال فارغة، تحركها الغرائز الَّتي تحرك الحيوان، مع قليل أو كثير من المعارف النَّظريَّة الَّتي لا تعلو بها همّة، ولا يتنضّر بها جبين .

كما أن الاستعمار الداخلي يتمثل في تبديل أولويات الشباب، وإماتة الطموح عنده، وجعله تافهًا، بعيدًا عن الله، وهو البوَّابة الكبرى للاستعمار الخارجي الَّذي سلم الشَّعب لقمة سائغة للغزاة الَّذين استولوا على مقدرات البلاد والعباد، وفيما فجوة الغذاء في المنطقة العربية تجاوزت ٣٠ مليار دولار، وفيما أدرجت الدول العربية في خططها الإستراتيجية زراعة أراضيها لتحقيق الأمن الغذائي، وتقليل فاتورة الاستيراد، نجد شباب لبنان يتوسعون خارجًا بالاستثمار الذكي، يقابلهم توسع لنفوذ السِّياسيّين في الداخل بالاستعمار الغبي، والاستحمار، وتزييف ذهن الشَّعب، وجره بعيدًا عن ذاته ووعيه للوجود، وإلى أن يستفيق الشَّعب، نسألك ربِّ، أن تخلصنا من الاستعمار الخارجي، وأن تنجينا من الاستحمار الداخلي، وأن تنجي لبنان.

بين زمن العمالقة، وزمن الأقزام هزلت.

إنه زمن الأقزام في السياسة اللُّبنانيّة بعد تقاسم الأحزاب السلطة، حتى إنّ رواد الصناعة اللُّبنانيّة تلبسوا شخصيَّة جديدة، وأدركوا أن لعنة هذا الوطن تشبه لعنة الفراعنة، وباتت هذه اللعنة تلاحق كل صناعي في كل أرجاء الوطن على يد ذوي القربى من أبناء جلدته، كم أنت مسكين يا لبنان. لأن شعبك بات يعيش تحت رحمة مستشارين فاشلين وأقزام؛ الصناعيون أَيضًا، وأنا منهم، صاروا أقزامًا يتسكعون أمام دوائر هذه الدَّولة المهترئة للحصول على وثائق رسمية، وإجازات تصدير، في وقت يمكنهم الاستحصال عليها من مكاتبهم عبر منصات إلكترونيَّة، خاصَّة إذا كان من ضرورة لها، ولا أعتقد ذلك، كما أنهم باتوا يسترضون شركات المحروقات للحصول على المازوت لاستمرار عمل مصانعهم، ويسترضون أَيضًا المصارف لإجراء عملياتهم المصرفية إلى الخارج .

من زمن العمالقة إلى زمن الانحطاط السِّياسيّ والأخلاقيّ، لبنان الَّذي كان يشبه كامل مروة وغسان تويني وشارل مالك، صار يشبه راوول نعمة وشربل وهبة، واللائحة تطول. أقسم بالله، يا صديقي القارئ، إنك من المحظوظين؛ لأنك جئت في زمن العمالقة – التحفة الَّذين سوف تحسدك الأجيال القادمة على هذه النعمة، وكان من المفروض على اللُّبنانيّين أن يتشبثوا بهم؛ لأنهم بالفعل آخر رجال زمن الرويبضة، وفي زمن قل فيه العمالقة، وكثر فيه الأقزام، التحية واجبة لكل عمالقة الصناعة اللُّبنانيّة الَّذين ماتوا قبل أن يشاهدوا الذل الَّذي يعيشه الصناعي اللُّبنانيّ في هذه الأيَّام.

في زمن عمالقة السياسة اللُّبنانيّة المنصرم، كتبت الصحافة الأجنبيَّة: إن مرتبة لبنان في التطور والتمدن عالميًا، هو الرابع بعد سويسرا وألمانيا وأميركا،

بين زمن العمالقة، وزمن الأقزام هزلت.

مطاره الدَّوْلِيّ كان مصنفًا السادس في العالم، ومصارفه الأولى في قارة آسيا، وكانت تقدم قروضًا لدولٍ مثل الهند باللّيرة اللُّبنانيّة وليس بالدولار، حتى إنّ الرئيس الأميركي جون كينيدي قال عن لبنان يومًا: إنه أجمل نموذج للدولة المثالية، وفي الخلاصة، أرى أنَّه ليس كل من دخل السراي الحكومي، وجلس على طاولة مجلس الوزراء صار وزيرًا، وليس كل من دخل قبة البرلمان اللُّبنانيّ صار مشرعًا. وعلى ما يبدو، فإنَّنا سوف نكون قريبًا أمام تغيير أساسي في قواعد اللعبة، يعكس قرف الصناعيين ورغبتهم بالهجرة الطوعية تدريجيًا، ومبارك البلد عليكم.

بين السعادة والتعاسة، لبنان الطش، بفضل حكامه.

غالبًا ما نرى أن السعادة والتعاسة تجتمعان في جسد واحد، وعقل واحد، وقلب واحد، وربما وطن واحد، ومن الطبيعيّ أن يكون العقل هو المحرك الأساسي لهما، لإرشاد الإنسان كيف يفكر؟ وفكرة السعادة طالما تمناها البشر، فإذا حصلوا عليها، يتمنون دوامها، غير أنه على الإنسان أن يقنع بتعاقب السعادة والتعاسة، واليأس والأمل، فهذه سنة الحياة، تمامًا كما يتعاقب الليل والنهار.

وفي عيد الأم، نقول: إن حنانها وحبها هما أعظم من أن يُختصرا في بضعة حروف؛ لأنهما الرابط بين السعادة والتعاسة، ودائمًا مع الحب يمكنك أن تشعر بمن لا يشعر بك، كما يمكن أن يشعر بك من لا تشعر به، وكلاهما متناقضان كأرجوحة بين السعادة والتعاسة، وقد يصدك الحبيب، ويتقرب منك الشخص الَّذي لا تكترث له، مثل متاهه في الضياع، أو مثل نفقٍ لا نهاية له. وفي احتفالات عقد الزواج يسأل الكاهن العروس: هل تقبلين به زوجًا لك في السراء والضراء، وفي الغنى والفقر، وفي السعادة والتعاسة؟ لتجاوب العروس: «نعم، شو جايين نعمل يا أبونا»؛ وبعد الزواج، عندما تحل التعاسة مكان السعادة، نتيجة الفقر والعوز، ربما يخرج الله من البيت الزَّوجيّ، ويحل الخراب.

وفي الأخير نسأل: كيف يعقل أن بلدًا صغيرًا مثل لبنان، يحمل هذا الكم من السعادة والتعاسة في آن واحد، رغم أن الفرق بين السعادة والتعاسة هي كلمة واحدة القناعة؟ وإِلى متى سيبقى لبنان رهينة ثقافة الموت والفقر والتعاسة؟ ومتى سينال هذا الشَّعب حقّه من الكرامة والسعادة؟ وكل التهاني لنا بالمرتبة ما قبل الأخيرة عالميًا قبل أفغانستان في قائمة الدول الأكثر تعاسة.

بين الناطر والناطور، وشعب لبنان العظيم.

الناطِر والناطور، وفي الجمع نواطير، أي حافظ الزرع والكُروم، وفي اللهجة اللُّبنانيّة «انطر» بمعنى انتظر، والنَّطْرة هي الحفظ بالعينين، والناطور هو الحارس، كما أن كلمة «نطرة» هي تعبير عن طول الانتظار، وليس صحيحًا أن كلمة ناطور أتت من اللغة الإنكليزية للحارس الليلي Night tour كما ذكر، ويعتقد أن أصل الكلمة فارسية، وتم تبديل الطَّاء بالظَّاء ناظور، في العربية، وصارت ناطور، وتستخدم كلمة «نطر» بمعنى انطره، أي احفظه وراقبه.

وفي لبنان الكل ناطر، فهناك من ينتظر المجيء الثاني ليسوع المسيح مخلص العالم، وأنا منهم، وهناك من ينتظر صاحب الزمان والمكان الإمام المهدي (عليه السلام)، وهناك من ينتظر مجيء حاكم عادل يخلص شعب لبنان من جلاديه، وبالعامية: في اللي ناطر تجي الكهربا والمي بالحنفية، والمعاش الشهري الَّذي صار بلا قيمة مع انهيار الليرة اللُّبنانيّة أمام الدولار، واللي ناطر فيزا للهجرة على كندا، واللي ناطر تخلص الكورونا والمتحورات، واللي ناطر يسترد أمواله من حرامية المصارف، واللي ناطر يخلص العهد القوي، واللي من زمان بعدو ناطر على موقف دارينا مع فيروز، وهيك رح يخلص العمر والكل ناطر.

وكمان في اللي ناطر مع مروان خوري في أغنية ناطر بعتم الليل، وناطر حبي ناطر عذابك ناطر، نرحل سوى بها لليل، نسافر عالغيم، نسافر بالحلم نسافر، وفي أنا اللي قاعد ناطر، وفي يأجوج ناطر مأجوج، وفي اللي ناطر الانتخابات للتغيير، وفي اللي ما بيعرف يجاوب؛ لأنه ناطر الجواب من مشغله، واللي ناطر هواكم ناطر، وفي اللي بيحن للغايب الحاضر، وقلبه كله شوق، وإلى متىٰ رح يضل ناطر؟ وفي المواطن اللُّبنانيّ اللي ناطر الفرج، خليك ناطر، وهي ناطرة كمان.

بين مصادر القوة والضَّعف، استغلالٌ للسُّلطَةِ.

مما لا شك فيه، أن لبنان بات بحاجة ماسة إلى مرحلة جديدة من التهدئة والتفكير والمراجعة لجميع القرارات الوزارية الشَّعبوية الَّتي تصدر عن بعض الوزراء، أو الَّتي يتم تمريرها على غفلة في جلسات مجلس الوزراء، والَّتي يخشى استغلالها لمصالح شخصيَّة مناطقية وانتخابية، أو لتصفية حسابات داخل الإدارة بين أحزاب السلطة.

كما أننا بحاجة لتحديد مكامن القوة والضَّعف في الاقتصاد اللُّبنانيّ لتحقيق الأمن الغذائي في لبنان دون توقف انسياب الصادرات لجلب العملة الصعبة.

ومما لا شك فيه، عزيزي القارئ، أن حكام لبنان يعرفون شعبهم أكثر من معرفة الشَّعب لنفسه، ويعرفون أَيضًا أنه خاضع لتنويم مغناطيسي في عبادة النواب والوزراء ورؤساء الأحزاب وبعض الطبقة السِّياسيّة الفاسدة، والمثال أمامكم في برنامج صار الوقت على محطة MTV كل يوم خميس؛ كما يعرف حكام لبنان مكامن الضَّعف لدى المواطن اللُّبنانيّ تجاه العملة الخضراء في زمن الانتخابات، بغض النظر أن من كان يفترض به أن يقوم بواجباته الوظيفية بصمت، ومن دون بروباغاندا إعلاميّة، «بربّحنا جميلة» كل مساء على شاشات التلفزة، وعبر مواقع التواصل، ويتحدث عن إنجازات وهمية، فيما المواطن يصفق له «غاشي وماشي».

وأخيرًا، وجب علينا الإقرار أن سياسة لبنان الخارجية، وأخطاء بعض الوزراء القاتلة، قد تسببت لنا في خسائر جسيمة، تمثلت في رفض بعض الدول العربية استقبال منتجات تحمل شهادات منشأ لبنانية لدخول أراضيها؛ وهكذا نكون قد خسرنا وجودنا في دول مهمة، من هنا ضرورة معالجة مكامن الضَّعف في

بين مصادر القوة والضَّعف، استغلالٌ للسُّلطَةِ.

السيرة الذاتية لبعض الوزراء، وضرورة إخضاع اختيارهم للكفاءة، وليس للسعر الأنسب للمنصب، وصولًا إلى فصل النيابة عن الوزارة، والسياسة عن الاقتصاد، وعدم تداخل الصلاحيات بين الوزارات، ورفض هيمنة بعض الوزراء على صلاحيات بعض المديرين العامين في وزارتهم، أو التمدد إلى وزارت أخرى، أو استمتاع بعض الوزراء برؤية طوابير المواطنين من نوافذ سياراتهم الداكنة اللون عند دخولهم الصباحي إلى مكاتبهم .

بين الإنسان والحيوان والنبات، رحمة وحب.

كما أن الحيوان ممكن أن يصير إنسانًا بأفعاله، فإن الإنسان ممكن أن يصير حيوانًا بأفعاله أَيضًا. حين كنت صغيرًا تعلمت في المدرسة أن الفرق بين الإنسان والحيوان هو العقل، لكن عندما كبرت اكتشفت أن الفرق بينهما هو الضمير وليس العقل وحده، حتى لو كان الحيوان يتصرف على النحو الَّذي خُلق عليه، ولا يخالف فطرته إلا نادرًا، فإن الإنسان قد خلق على صورة الله: «في البدء خلق الله السماوات والأرض، ثم قال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا» (سفر التكوين ١-٢٦)

إِلى ذلك، فإن الإنسان يشبه أَيضًا النبات، فهناك نباتات تنمو في الأرض وتسمم الإنسان والحيوان معًا، وهناك نباتات تنمو وتعطي ثمارها لكل من حولها، وهناك نباتات للزينة وللمظاهر فقط، كما بعض البشر من حولنا، لذا إخوتي القراء، عليكم أن تختاروا ما يناسبكم ويفيدكم، امضوا نحو آمالكم وأهدافكم، والنبات الَّذي أخطأتم في زرعه لا تسقوه بالماء، وكل من يقول: إن المعضلة الإنسانيّة للكراهية لا حلول لَها، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم، هو على حق، لأننا نحن من صنع المعضلة أو المصيبة، وفي أيدينا الخروج منها، إنما الأمر يحتاج إِلى فكر وتخطيط وإرادة.

ولأن الحب هو لغة يفهمها الجميع، والكل يحيا بالحب، فإن الرابط الوحيد الَّذي يجمع بين الإنسان والحيوان، هو الرحمة الَّتي تُنشِئ بينهما مشاعر جميلة، وأحساسيس صادقة، حتى إنّ الحيوان هو على استعداد لأن يضحي بنفسه من أجل صاحبه، في حين أن بعض البشر هم على استعداد لأن يضحوا بأصدقائهم من أجل أنفسهم، ولا يمكن للسماء أن تمطر عليك سعادة إلا إذا عَرفت الرحمة والحب، وما دام الإنسان يملك هذا القدر من الاحتقار لحياة الحيوان، فلا تتوقعوا من العالم احترامًا لإنسانيتنا.

بين النسور والصقور، أمرك معلمي.

إن الطيور على أشكالها تقع، فالصقور لا تعاشر إلا صقورًا، وترفض معاشرة النسور الَّتي لا تأكل إلا الجيف، والفرق كبير بين النسور والصقور في الشكل والنوع وطريقة الطيران، والنسور هي طيور قمامة تأكل الجيف، وهي من أكبر الطيور الجارحة، وأغلب أنواع النسور تتميز برؤوس خالية من الريش، وبنظر حاد، ومناقير معقوفة تساعدها على أكل الجيف، ولكن النسر المصري وسع قائمة طعامه أَيضًا عبر استخدام الحجارة لكسر البيض وأكله، والنسر أبو ذقن متخصص في تكسير وأكل العظام، أما نسر جوز النخيل، كما يوحي اسمه، فإن أغلب غذائه هو ثمار جوز النخيل.

أما الصقور فإنها تتمتع بقدرة استثنائية على الرؤية تعادل ٦ , ٢ مرة، مقارنة بالإنسان العادي، وصقور الشاهين تنقض على الفريسة بسرعة (٣٢٠ كم / ساعة)، ما يجعلها أسرع الكائنات حركة على وجه الأرض، أما أسرع انقضاض مسجل لأحد الصقور فقد بلغ ٣٩٠ كيلو مترًا في الساعة، ويبدو أنه عند صيد الصقر يكون غير معتاد على الأسر، لذلك يقوم الصياد الماهر بتغطية رأسه فقط، ورش الماء البارد على صدره، ووضعه في غرفة مكيفة، خشية موته، وسبب موته هو الخوف من الأسر حتى يهدأ بعد أيام، ثم يقوم بتدريبه.

وفيما النسور والصقور تتخذان من قمم الجبال موطنًا لها، يبحث بعضهم عن قصة وضع صورة هذه الطيور على جوازات سفر العرب ،والعملات العربية، وشعارات الدول، وقد ذكر التاريخ صقر قريش، ونسر صلاح الدين، والأخير هو شعار ذو صلة بالقومية العربية أَيضًا، وهو مستعمل في مصر، وتستخدمه سورية منذ العام ١٩٤٥؛ لأنه يدل على الاكتفاء الذاتي الَّذي تتمتع به، إِلى ذلك، فإن سبب ما وصلنا إليه في لبنان، هو أن أصحاب الكفاءة مستبعدون في كل المجالات، فيما الفاشل المتزلف المطيع «أمرك معلمي»، يتصدر المشهد، حيث نجد نخبة من صقور

بين النسور والصقور، أمرك معلمي.

الفساد تبحث عن الغنيمة والثروة وتجارة القيم والمبادىء، وما بينهما شعب صامت أضنته المآسي والويلات، وصفقات صقور الشهرة والمناصب الَّتي يدفع ثمنها شعب لبنان من معاناته.

بين ثلاثية الغباوة، والارتهان والحقد، ضاع الوطن.

تعودت منذ طفولتي البائسة أن لا أحد يستطيع إجباري على تبني الخداع والحماقة، وكنت أقول لبعض رفاقي: استمتعوا بجنونكم وحدكم، كما تعلمت أنه إذا استطاع إنسان خداع صديقه فلا يعني أن الأخير أحمق، بل يعني ذلك أنه وثق به أكثر مما يستحق، لذلك وجب علينا التأكد عما إذا كانت الغباوة قدرًا، أم الارتهان خِيارًا؟ وعليه، فإن الشعوب الَّتي تملك الغباوة والارتهان، هي شعوب جاهلة، خاصَّة إذا أضيف إليهما الحقد ليصبح ثالوث الغباوة والارتهان والحقد بصمة تطبع شخصيَّة البلدان الَّتي امتهن شعبها الخداع والتضليل.

وفيما الارتهان هو مقامرة في كازينو السياسة والخسارة في لعبة الأمم، شبه حتمية، نرى أنه كلما ازداد بعض زعماء لبنان غباوة، زاد يقينهم أنهم أفهم من غيرهم في قطف ثمار ارتهانهم، وعلى ما يبدو فإن الخداع والتضليل والكذب، لم يعد ينطلي على أحد، والجميع يعلم حجم معاناة أهل السِّياسيّة اللُّبنانيّة، بعد ثلاثين عامًا من الجهل والحماقة، وكلنا نعلم أن كل مرض له دواء يشفى منه المريض إلا الحماقة أعيت من يداويها.

«وإذا كان الوهم هو نصف الداء، والاطمئنان هو نصف الدواء، والصبر هو أول خطوات الشفاء، «كما يقول ابن سينا»، فعلى ما يبدو أن آخر الداء هو الكي، ومن الضروري اللجوء إلى حل، وربما قد يكون هذا الحل على نار حامية وموجعة، ما دامت الوسائل كلّها لم تفلح حتى الآن في إصلاح ما فسد، بفعل استهبال أهل السياسة في لبنان الَّذين لا يزالون يظنون أنفسهم أنهم كالهواء، بالنِّسبة إلى شعب لبنان الَّذي لا يستغنى عنه، أو كالدواء الَّذي لا يمكن العيش من دونه، أما بنظري، فإنهم الداء الَّذي لا دواء له.

بين الرأي والرؤية، والتجرِبة اللُّبنانيّة

بات من المؤكد أن حب الأوطان ليس خِيارًا، بل واجبٌ، والشرط أن يحب بعضنا بعضًا داخل هذا الوطن، كما أن الله الَّذي أحبنا، على الرغم من خطايانا، قد افتدانا كي يخلصنا، وإذا كان الإنسان يحب الله الَّذي لا يراه، فكيف له أن لا يحب أخاه الَّذي يراه؟ أنا شخصيًّا أشفق على حكام لا يحتضنون خلافاتهم، ولا يستثمرون ذكاء الشباب في الإبداع والإنتاج، بل يهجرونهم إلى الخارج، كما أنني أرفع القبعة احترامًا لبعض هؤلاء من أهل السياسة الَّذين لا أتفق معهم في الرأي والرؤية، لكنهم، رغم ذلك، قادرون على قبول أفكاري والتعايش معها، لأنهم وجدوا فيها حبًّا للوطن، رغم الاختلاف بيننا، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل، ربما، على رقي عقولهم، أما الآخرون فيبدو أن الصفقات والسلطة قد أعمت بصرهم وبصيرتهم، وباتوا فاقدي الإحساس.

لا يحتاج المواطن اللُّبنانيّ إلى الشتيمة والإهانة خلال إبدائه الرأي، ومعارضة ولعنة حكامه عبر منصات التواصل، أو إيصال «قرفه» إلى جلاديه؛ لأن معظمهم لا يقرأون اللغة العربية، على الرغم من أن هذه اللغة تتميز عن باقي اللغات، أنها تتضمن كلمات عديدة ملطفة، تُمكن المواطن من التعبير عن رأيه دون ذم أو تجريح أو شتيمة، والكلمة المحقة، حتى لو كان من الصعوبة بمكان تقبلها، فهي وسيلة جيدة للضعفاء في مواجهة الظلم، وتاريخيًّا استطاعت إسقاط حكومات وأنظمة عديدة.

وأخيرًا، بئسَ الأخ الَّذي يُحرِّض على قتل أخيه، لمجرد اختلافه معه في الرَّأي والرؤية، ويا لَلأَسَف! يبدو أن قايين وهابيل استنسخا من جديد في لبنان، وبئس الزمن الَّذي لا يتقبل فيه الإنسان اختلافه عن أخيه، رغم أن في الاختلاف رحمةً وجمالًا، لا يتذوقه إلا أصحاب الذوق الرفيع، فلو أن أفكارنا وسلوكيات حياتنا هي واحدة ومتشابهة، وشخصياتنا موحدة، لكنا سئمنا الحياة.

بين حراسِ الوطن، وبناة الأوطان، لصوصٌ محروسة

حراس الوطن في الكِيان اللُّبنانيّ هم جيشٌ لا ينامُ فوق أرضه وشهداءُ نائمون تحت ترابه، وبين الَّذين ينزفون فوق الأرض من العوز والفقر ومن يرقدون تحت هذا التراب اللُّبنانيّ يعيش لصوص السياسة اللُّبنانيّة بالنعيم بعدما أكلوا الأخضر واليابس وبعد أن هَربوا أموالهم إِلى الخارج . نعم شهداء لبنان هم حراس الوطن وهم في قلوبنا وبيننا لا يزالون أحياء وبهم نقتفي الأثر، إشارة إلى أنه في كل دول العالم يوكل إِلى القوى الأمنية حراسة الأرض والوطن والمؤسف في لبنان أنهم أوكلوا إِلى هذه الاجهزة حراسة اللصوص وناهبي خيرات الوطن .

والأمهات هنّ بُناة الأوطان بل هنّ الأوطان ولطالما آمنت أن الأمهات هن بناة الأوطان وفي داخل كل أم وطن نابض بالحب والأصالة وواحة إبداع وابتكار وعطاء إنساني لا ينضب ومما لا شك فيه أن الله أنعم بالخير على لبنان العظيم أرض القداسة، كما أنه كان كريمًا معنا حيث منحنا العديد من القديسين من شربل إِلى الحرديني ورفقة ونعمة الله وبشارة أبو مراد والعشرات من الطوباويين والطوباويات، وأهدى هذه الأرض الطيبة أبناء مخلصين وكما الأمهات كذلك المعلمون لأن من يبني الإنسان يبني الأوطان ومن أراد تدمير مجتمع وتحويله إلى مجتمع متخلف يقوده إعلام خارجي مأجور أو غبي فإنه يستهدف أولًا قلب المجتمع وهو التعليم والمعلم.

لذلك فإن خراب الأوطان بدأت بعد احتقار العلم والمعلم والتقليل من شأن العلم والمعرفة وزرع أيديولوجية الجهاد في عقول الشَّعب وتحويله إِلى شعب جاهل أحمق. فالجهل والحماقة عاملان أساسيان للهدم. فالمعلمون هم بناة الأوطان الَّذين يبنون الإنسان بإيمانهم به وثقتهم بقدرته على صنع التغيير، لذلك

أجد أن الأمهات والمعلمين هم المؤهلون لبناء الأوطان إلى جانب الجيش اللُّبنانيّ والأجهزة الأمنية اللُّبنانيّة وكل هؤلاء الأبطال هم الَّذين يعول عليهم لاستعادة الدَّولة القوية من خاطفيها في الداخل والخارج ليعود لبنان منارة الشرق ويعود إلى لوطن الأمن والأمان والاستقرار، والعدل والمساواة في كل ربوعه.

بين طمأنينة الهجرة والخوف في لبنان وفيروز

عندما سأل أحدهم يومًا السيدة فيروز: لماذا لا تتركين لبنان؟ أجابت: «لا أستطيع ومن أجل ماذا أتركه؟ فلو خُيرت بين طمأنينة الخارج والخوف داخل وطني أختار الخوف، هذا لبنان صحيح أننا لا نستحقه ولسنا مُجبرين عليه لكنني ومع ذلك لم أستطع الرحيل»، وفي أحد أغانيها تقول فيروز: «لا قدراني فل ولا قدراني إبقى» ثم نسمعها في أغنية ثانية تقول «من أرض الخوف منندهلك يا شمس المساكين من أيام المظلومين من لفتات الموعودين عم اندهلك خلي يضوي صوتك عليي وأنا عالوعد وقلبي طاير».

أتابع معكم البحث عن الخوف عند فيروز في أغنية: «أنا خوفي من عتم الليل» وصولًا إلى أغنية «لا تيجي اليوم ولا تيجي بكرا خوفي لا تضيعني بالعيد وما تقشعني تعا لما بيندە الحنين موسم النَّاس المنسين» كذلك غنت فيروز «أنا فزعانة تكون عن جدّ تنساني» وعشرات المرات سمعنا وشاهدنا فيروز غارقة في ظلام الفزع والخوف والرعب، والمؤكد لكل لبناني أنه ليس هناك أجمل من كلمات أغاني فيروز والاستعارة ببعض المقاطع منها يزيد حياتنا أحيانًا ألمًا وأملًا. فيروز أبدعت في الغناء فرسمت على شفتيها في هذه الأغاني لوحة ماضٍ جميل ووجع نعيشه وغدٍ نحلم به لكنه قادم.

ويبقى الخوف الكبير والحقيقي في لبنان هو على عقولنا بعد كل هذه النكبات المتتالية وعما إذا كانت هذه العقول لديها القدرة على إكمال رحلة العمر لآخر يوم معنا أم أنها سوف تخذلنا وتتخلى عنا في منتصف الطريق. يمكن نعم ويمكن لا. وأختم بسؤال لك عزيزي القارئ هل تؤمن أن هناك قضايا حقيقية ووجودية مشتركة بين الإمارات اللُّبنانيّة الَّتي يخنقها الخوف والاستبداد والظلم والتخوين؟ وهل الجيل الجديد في هذه الإمارات اللُّبنانيّة سوف يكبر على أغاني فيروز مثلما كبرنا نحن. الوقت كفيل بالإجابة عن هذه الأسئلة، وسلام من قلبي لبيروت وقومي من تحت الردم، أن الثورة تولد من رحم الأحزان وربما من الخوف أيضًا، دعونا ننتظر القريب القادم.

بين الرئيس المجنون والأم الحنون

هل قرأتم يومًا عن رئيس جمهورية مجنون؟ قد يكون الأمر غريبًا وقد لا يحدث ذلك سوى في الدول العربية ولكنك إن فتشت في تاريخ رؤساء فرنسا فإنك سوف تكتشف أن رجلًا مجنونًا اسمه بول ديشانيل حكم البلاد في العام ١٩٢٠ لمدة ٢٦١ يومًا وقد اعتبر معاونوه بداية ما يحصل مع الرئيس «كوارث بروتوكولية» وتم تشخيص بمتلازمة Elpenor المرض فقدان الوعي يرافقها مشاكل في الارتباك المكاني، وقد بدأت حالة الرئيس تتطور بعد تنصيبه رئيسًا من خلال تصرفات غريبة وغير لائقة، ففي مدينة نيس عندما رأى الرئيس أن الجمهور سعيد بخطابه أعاد الخطاب مرة ثانية وفي مينتون أرسل قبلات للحشد والتقط زهورًا موحلة ورماها إلى الحشد وفي يوم آخر ترك نوابًا حضروا لزيارته وراح يتسلق الأشجار، وذات يوم وقّع أوراقًا رسمية باسم نابوليون كما استقبل سفيرًا وهو عار، ومرتد وشاح وسام الشرف فقط.

وصولًا إلى الحادث الشهير الَّذي لا يصدق، ففي أحد الأيَّام استقل الرئيس قطارًا للذهاب إلى مدينة مونتبريسون لتدشين نصب تذكاري للحرب العالمية الأولى وخصصت له مقصورة خاصَّة فيما ينام جميع مرافقيه في المقصورات الأخرى، ابتلع الرئيس حينها مهدئًا للنوم ولكنه لم يتمكن من النوم ففتح النافذة وخرج منها إلى سكة الحديد فيما كان القطار يسير بسرعة بطيئة وقبل محطة مونتارجي ١١٠ كلم من باريس لمح الحارس خلال جولته رجلًا في ملابس النوم وحافي القدمين يمشي على خط السكة الحديدية فاقترب منه وسأله ما تفعل هنا فأجابه الرّجل: أنا رئيس الجمهورية فيما الجميع كان يعتقد أن الرئيس نائم في القطار.

بعد هذه الحادثة أصبح الرئيس موضوع سخرية لرسامي الكاريكاتور الَّذين

وصفوه بالمجنون كما أنشد فنانو الأغاني الساخرة عن الرئيس وكتبت جريدة لوموند في عدد١ أيار ١٩٤٨، عن الحالة المرضية الَّتي يعاني منها رئيس الجمهورية وتحت الضغوط الشَّعبية وافق الرئيس على توقيع استقالته في ٢١ ايلول ١٩٢٠، وتوفي في ٢٢ نيسان من العام ١٩٢٢ في باريس ولم يبال أحد بوفاته.

بين الإفلاس المادي والأخلاقيّ دولة منتهية الصلاحية

نسي بعض رؤساء الإمارات اللُّبنانيّة المتنازعة أن سياساتهم الاقتصاديَّة الفاشلة قد أوصلتنا إلى الانهيار بسبب المبالغة في الهدر وسوء إدارة البلاد وفقدان الروح الوطنية والولاء للخارج وتفضيل الخاص على العام، والعجب كيف لهؤلاء أن يتحدّثوا عن الفساد فيما تُهم فسادهم تنخر عظام معظمهم تزامنًا مع انحدار لبنان نحو الإفلاس المادي والأخلاقيّ والديني والإنسانيّ دفعة واحدة وبالتزامن أَيضًا مع انهيار اقتصادي ومالي كان متوقعًا والَّذي لم يشهد تاريخ لبنان الحديث مثله نتيجة فشل المنظومة الحاكمة من العام ١٩٩٠ حتى اليوم في الجلوس على طاولة مستديرة لتدارك الأخطار.

أخجل من نفسي عندما أكتب عن دولة ضرب حكامها بالمبادئ والقيم عُرْضَ الحائط وفوق ذلك «هبل مستشرٍ» وعدم احترام النعمة الإلهية بأنه كان عندنا جنة على المتوسط اسمها لبنان فهل الانتخابات القادمة كفيلة بزوال بطشهم كما يشاع؟ ما يبدو نحن أمام خِيارين: أن يحتفظوا بمقاعدهم النيابية أو نكون أمام تطيير للانتخابات والله أعلم، واسمحوا لي أن أستخف بكلام بعض الأطفال في السياسة اللُّبنانيّة حين يحدثونك عن تغيير متوقع وقلب طاولة كلها أوهام. فالمكتوب مكتوب والتغيير لن يأتي إلا من الخارج وربما ينجح بعض الأحزاب في زيادة مقاعدهم في البرلمان، ولكن مع دولة منتهية الصلاحية لا أعتقد أن الشَّعب سوف يتمكن من تغيير حذائه وإلى «النصف نعل» نعود بسبب الفقر والعوز والإذلال بوجود حكام لا يستحقون أن يكونوا قدوة لأبنائنا بسبب توريثهم السلطة بشكل مقزز.

بكل الأحوال ومهما حصل فلن يكون هنالك «لبنان جديد» سوى بالحوار والتلاقي وربما بوصاية جديدة مغلفة بتسميات عديدة منها صندوق النقد الدَّوْلِيّ أو غيره من المؤسسات الواهبة مالًا والغانمة ثروات في المياه الدافئة شئنا أم أبينا ذلك. والمطلوب واحد وهو الاستماع إلى هواجس شباب لبنان ومخاوفهم وأحلامهم، وهم ثروة هذه البلاد الحقيقية والخروج من الدكاكين الضيقة صوب لبنان الغد. كلنا يعرف أن أحلام اللُّبنانيّين كبيرة وهي مع اقتلاع الفاشلين من جذورهم ورؤية وجوه جديدة في الإدارة مع القناعة التامة أن من يخرب لا يمكنه أن يعمر من جديد .

بين العالم المادي والعالم الروحي
Between the material world and the spiritual world

في العالم المادي تختبر الروح الولادة والمرض والشيخوخة وموت الجسد، لكن الأمر يختلف في العالم الروحي حيث لا طاقة مادية جسيمة ولا ولادة وشيخوخة ولا مرض وموت، فالعالم الروحي يتكون من طاقة الله الروحية ولا مكان لمعاناة الوجود المادي، وبمجرد دخول الروح إلى العالم المادي تبدأ المشاكل على الفور ولكن لماذا تترك الروح العالم الروحي وتأتي إلى العالم المادي؟ لذلك وجب فهم طبيعة روح الله الَّتي هي جزء لا يتجزأ منه حيث نرى الله يخدم كل واحد بشكل طبيعيّ، ويمكن مقارنة ذلك بنفس الطريقة الَّتي يخدم فيها أعضاء الجسم المجتمع حيث مشيئة الله، إنها عملية طبيعيّة لخدمة مصلحة الكائن الحي بأكمله.

وفيما العالم المادي يحتوي على آلية فريدة للخروج منه وهذه الآلية تسمى «خيبة الأمل والمعاناة». ففي الوجود المادي لا توجد سعادة حقيقية تطمح إليها الروح كثيرًا، ولا يمكن للروح أن تكتفي بالملذات العابرة لأن طبيعتها الحقيقية هي الخلود، وعندما تصل الروح إلى خيبة الأمل الكاملة فإنها تختفي أَيضًا من المفهوم المادي للحياة وهذه اللحظة المؤاتية للغاية من أجل البدء بالاهتمام بما هو أبعد، لكن على الرغم من حقيقة أن طبيعة أرواح البشر وأرواح الملائكة تشبه طبيعة الانبثاق الإلهي، فإن جوهرهم ليس نسخة طبق الأصل من جوهر الإله، لأنهم لا يتمتعون بالقدرة على تحويل «لا شيء» في «شيء». وحده الله هو القادر على ترجمة «لا شيء» إلى «شيء»، في حين أن الارتباط بين هذه الفئات لن يكون سهلًا.

وبعد أن نفهم الفرق الكبير بين العالم المادي والعالم الروحي فإنَّنا سوف

بين العالم المادي والعالم الروحي

نـدرك كـم نحـن بائسـون في هـذا العـالم، وأعتقـد أن الهـدف النهائـي لـكل عمـل فنـي هـو الاتحـاد بـين المـادي الروحـي والإنسـانيّ والإلهـي وهـذا هـو سـبب رقـي الفن، ولعـل إيجـاد التـوازن بـين العـالم المـادي والعـالم الروحـي يجعلنـا نميـل إِلى العـالم الروحي لمسـاعدتنا مـن خـلال العديـد مـن الأشـياء لإيجـاد هـذا التـوازن ولـن تصلـح الحلـول الروحيـة كل شيء بطريقـة سـحرية بالنِّسـبة إلينـا، كـما أن الحلـول المادِّيَّـة لـن تصلـح كل شيء أَيضًـا لكـن إيجـاد تـوازن بينهـما سـوف يسـاعدنا في الوصـول إِلى أهدافنـا.

بين رواد جلبوا الخير لبلادهم ورواد جلبوا الويل لشعوبهم

من نِعم الله على بعض الشعوب أن يتولىٰ القيادة فيها رواد يستشرفون المستقبل والحصيلة تكون نهضة وازدهارًا اقتصاديًّا، ومن غضب الله علينا أن يتولى إدارة بلادنا حكام تعاقبوا على السلطة من العام ١٩٩٠ حتى اليوم والحصيلة تهجير ربع شعب لبنان واقتصاد متهالك وحدٌّ أدنى للأجور لا يتجاوز الثلاثين دولارًا شهريًّا .

وفيما بات مؤكدًا أن العالم يفتح الطريق لمن يعرف أين يريد الوصول، يروي الشيخ محمَّد بن راشد حاكم دبي «أنه قبل ٢٠ عامًا في عام ١٩٩٩ أسس في صحراء دبي مدينة للأنترنت والتجارة الإلكترونيَّة. شكك الكثيرون في الفكرة يتابع سمو الأمير واليوم بيعت شركة كريم لأوبر بمبلغ فاق ١١ مليار درهم وقبلها شركة سوق الأمازون، شركات خرجت من صحراء دبي». ومئات الأمثلة عن نجاحات هنا وهناك في دول قفزت إِلى العالمية بفضل حكامها ودول قفزت إِلى جهنم الَّتي لا قعر لها بفضل حكامها أَيضًا.

وحين يتحوّل الحوَل إِلى عمى تختلط على بعض المحللين السِّياسيّين الأشكال والألوان خاصَّة في موضوع انتماء لبنان إِلى محيطه العربي لكن الاستنجاد بالأشقاء العرب لا يكون عند الحاجة فقط وعلى القطعة، وإِلى المتوهمين بسلخ لبنان عن محيطه أسألهم قراءة جديدة للموضوع لأن تاريخ لبنان حافل بالأحداث والاستعمار لكن صخور نهر الكلب تبقى شاهدة على حرية الشَّعب اللُّبنانيّ وكرامته .

بين الربوبية والعبودية وشعب لبنان

في الحياة نعبد الله كما يريد هو لا كما نريد نحن وإلا نكون جعلنا من أنفسنا آلهة وخلطنا بين الربوبية والعبودية، فالرب ربٌّ والعبد عبدٌ ولا نقاش في ذلك، وهناك حقيقتان ثابتتان عليهما يدور هذا الكون الربوبية لله والعبودية لآخر سواه، والعبودية قسمان عبودية قهر وإجبار، وعبودية حب واختيار .

يقول بعضهم إن ما فُقد من العبودية وُجد في الربوبية وما خُفي في الربوبية أُصيب في العبودية وبين الأسرار والحس والمعنى نجد الأسرار ما خفِي من المعاني والحس ما يُدرك بحاسة البصر، والمعنى ما يُدرك بالبصيرة ومن فتح الله بصيرته استولى نورُ بصيرته على نور بصره.

وإذا كان فرعون طاغية زمانه قد وصل به الأمر أن يدعي الربوبية، ومن معه يطبلون لما يقول رغبةً بمصالحهم، وفي لحظة ما أنهى الله كل شيء وإن شاء الله سوف تأتي اللحظة الَّتي ستنهي فرعون زماننا هذا وأظن أنها باتت قريبة.

بين صناعة الأمل وزراعة الخير صانعو الفرح يدعون

إن صنع الأمل ومنح السعادة لمن حولك يمنحانك سعادة أكبر مما تعتقد وهي مَهمة ليست صعبة وهي من عادات وصفات الإنسان الصادق فلا وجود للإنسانية الحقيقية إلا بتقديم السعادة للآخرين ومهما كانت ظروفك فإنه يمكنك أن تقدم لغيرك ما يسعده فالكلمة الطيبة والابتسامة الصادقة تدخلان السرور على قلوب النَّاس ولا تكلف أصحابها شَيْئًا لكنهما قد يغيران من حياة الآخرين، كما أن صناعة الأمل وإدخال الفرحة على قلوب المحيطين بك هما من أسرار السعادة الَّتي تمنح للفرد مكانة في حياة المحيطين فمن يفعل ذلك تكون سعادته أكبر عندما يجد ما صنعه قد بدل حياة غيره وهذه هي قمة الإنسانيّة الحقيقية.

يروى أن فتاة صغيرة أصيبت بمرض خطير، وقدر لها الأطبَّاء أياما قليلة تعيشها، وفيما هي على فراش الموت في المستشفى نظرت من النافذة وشاهدت شجرة في جوار غرفتها وقالت لأختها: إنني سأموت عندما تتساقط أوراق تلك الشجرة، لترد أختها دعينا نستمتع بالأيَّام وظلت الفتاة تراقب أوراق الشجرة تتساقط الواحدة تلو الأخرى حتى بقيت ورقة واحدة فنظرت الفتاة إلى أختها قائلة: لم يبق على الشجرة إلا ورقة واحدة وسأموت غدًا لتجيبها دعينا نستمتع بهذا اليوم وفي الغد ننظر ما سيكون وحل الصباح ووجدت الفتاة الورقة على الشجرة ومر يوم آخر وانتهى الخريف والشتاء وجاء الربيع والورقة لا تزال على الشجرة وبدأت حالتها تتحسن وبدأت تتعافى حتى شفيت تمامًا، وعندما أصبحت قادرة على الحركة توجهت نحو الشجرة ولمست الورقة الَّتي لم تسقط فإذا بها ورقة من أشجار الزينة البلاستيكية فعلمت أن أختها هي من وضعتها لإعطائها الأمل وإبعاد اليأس عنها.

بين صناعة الأمل وزراعة الخير صانعو الفرح يدعون

إن قيمة الإنسان ليست في ما يملكه بل في ما يقدم لغيره من أمل وتفاؤل، وهؤلاء الَّذين اعتادوا على العطاء هم أسعد النَّاس لأنهم صانعو الفرح يدعون . فلو فكر كل منا في صناعة الأمل وزراعة الخير في نفس إنسان بائس كما فعلت هذه الفتاة مع شقيقتها المريضة لتغير العالم من حولنا، لذلك وجب علينا الحرص على فعل ذلك، ولن تخلو الحياة من فاعلي الخير .

بين المال المنهوب والمال المحجوب واللامبالاة

يُشخص العديد من المحللين الاقتصاديين الكارثة الماليَّة اللُّبنانيّة بالمزدوجة فالأولى هي أزمة سياسية داخلية مسؤولة عن المال المنهوب والثانية هي أزمة سيادية إقليميَّة مسؤولة عن المال المحجوب . وقد قالها بوضوح رئيس سابق لجمهورية الموز اللُّبنانيّة ذات يوم «إنّ مشكلة لبنان العميقة لا تكمن في المال المنهوب فحسب بل في المال المحجوب أَيضًا «وقد تسبب ذلك في فجوة اقتصاديَّة وصلت إِلى ستة وثلاثين مليار دولار أمريكي يحتاجها الاقتصاد اللُّبنانيّ إلى الخروج من جهنم .

وفيما ننتظر حاليًّا عودة الخليج إِلى لبنان بعد وساطة فرنسية مع سلة معونات تربوية واستشفائية وإنسانية قدرت قيمتها في حدود الستة والثلاثين مليون دولار أميركي مما يعطي إشارة لطريقة التعاطي مع حل أزمة لبنان الَّتي لم يسبق في تاريخه أن مر بمثلها بحيث يظهر بشكل واضح النقص في تشخيص مأساة شعب لبنان وعدم الاهتمام واللامبالاة تجاه إخراجه من جهنّم؛ وتبعًا لذلك فإن مطلب إنهاء خدمات الحاكم بأمر المال قد يكون مشروعًا ولكن لا قيمة له إذا لم يترافق مع إقصاء كل الَّذين سخّروا لثلاثين سنة مضت الاقتصاد في خدمة السياسة من جهة والمسؤولين عن المال المحجوب من جهة أخرى .

وفي الأخير كل التهاني لأهل بلادي حيث بات بعض المسؤولين منهم يملكون حاسة سادسة وسابعة وثامنة ويستطيعون رؤية المحجوب والتنبؤ بالحاضر ورسم المستقبل كما يظهر لي وأنا أتابع برامجهم الانتخابية والَّتي يبتغون منها العودة إِلى السلطة عبر التوريث السِّياسيّ من المنية وتنورين إِلى العمارة، ومن زحلة وزغرتا إِلى المختارة والحارة، وقد أذهلني مقدار معرفتهم الدقيقة في تفاصيل **بين المال**

المنهوب والمال المحجوب واللامبالاة

حاجة المواطن الشهرية من المال لسد مستلزمات الحياة والعيش في كرامة وما أثار حشريتي للتساؤل هل لديهم عصافير تنقل إليهم كل ليلة أخبار المواطنين قبل أن يناموا؟ أم أنهم خارقون؟

بين الخادم الأمين والعبد المصلحة والثراء الفاحش

في الكتاب المقدس وحده القديس يوسف النجار هو الحارس والأمين على سر التجسد الإلهي والَّذي عاش حتى بلغ عمر المسيح بالجسد ١٦ عامًا على أقصى تقدير، لم يتكلم كلمة واحدة بالإنجيل لكن حياته وأفعاله تكلمت، وما زالت تتكلم فهو الخادم الأمين المطيع الصامت الَّذي لم يشك ولم يتضجر ولم يجادل، بل قال نعم في كل ما أُمِر به.

لا أدري لماذا أتذكر دائمًا مَثَل الوزنات في الإنجيل والعبد المصلحة الَّذي كان الأمين والوفي والكبير بعظمة تضحياته، ولماذا أعيد الترداد دائمًا مع يسوع المسيح: «أَحسَنتَ أَيُّها الخادِمُ المصلحة الأَمين؛ كُنْتَ أَمينًا على القليل، فسأُقيمُك على الكثير: أُدخُل نعيمَ سيِّدِك.» (متى ٢٥: ٢١) لكني سأعود وأسأل عن مصير الخادم غير المصلحة الَّذي قام بتحويل مبلغ ١٥ مليون دولار إلى قبرص في بداية الأزمة الماليَّة، وكم هي ثروة هذا الرّجل منذ العام ١٩٨٠ ومن أين مصدر أمواله وفي الأساس يفترض به أن يكون الخادم المصلحة الأمين لهيكل الرب ولرعيته.

وحدها السلطة تجعل الإنسان ينسى الإنسانيّة فإذا ما أحس الإنسان بقوته استطال على بني جنسه ظلمًا وقتلًا لأن اختيار الربوبية يعلو في قلبه على العبودية الَّتي خلق من أجلها فينحرف عن فطرته (أنا ربكم الأعلى)، وإلى أن نعود ونرى في رجل الكنيسة ذلك الخادم الأمين الَّذي ينفذ رغبات الله ويطبعه دون أن يكون له الحق في الاعتراض نسألك ربي أن تنير عقله وتحنن قلبه على الفقراء ونسأل الله الرحمة والمغفرة من رجل الكنيسة .

بين العدالة والقانون آخ يا بلدنا .

العدالة شيء والقانون شيء آخر فالقانون هو أداة لضبط المجتمعات واستتباب الأمن داخلها، أما العدالة فإن مفهومها أوسع ولا يمكن أن تتحقق من دون الاستعانة بالقانون . وقد حسم أفلاطون أي جدل حول هذا الموضوع بقوله: «إن قواعد العدل ثابتة ومطلقة وقائمة قبل وجود هذا العالم بمعنى أن قواعد العدل موجودة في عالم آخر يمثل الخير والحق والمثل والأخلاق والقيم، وأن دور العقل السليم هو اكتشاف تلك القواعد «.

ولطالما اعتقدت أن العدل والقانون أمر واحد عندما كان ذلك مجال دراستي الجامعية لكنني اكتشفت لاحقًا أن القانون لا ينطبق على العدل، والعدل لا يطابق القانون الَّذي بات لا يحقق العدل في لبنان، فكم من قوانين صاغها الطغاة لزيادة طغيانهم وكم من تشريعات أصدرها الظالمون لزيادة ظلمهم، مثالًا لو قُبِض على مواطن بتهمة سرقة صغيرة، ربما فعلها لإطعام عائلته بعد فقدان راتبه قيمته الشرائية، وهنا هل سيحكم القاضي بالعدل أم بالقانون؟ في المبدأ إن القاضي مجبر أن يستند لمواد قانون العقوبات اللُّبنانيّ في عقوبة السرقة، وقد يكون رحيمًا فيطبق روح القانون بدلًا من النص لتخفيف العقوبة لكنه لن ينصف المظلوم ولن يحقق العدل ولو أراد فعل ذلك، لكان عليه استدعاء كل الَّذين تسببوا في هدر أموال النَّاس والأصح أكلها حتى انتفخت بطونهم.

في الأخير أرى أن القانون هو محصلة التوازن بين قوة السلطة ومصلحة النَّاس في حين أن العدالة هي محصلة الإنصاف الَّتي لا تلقي بالًا للقوة، وفي الحالة اللُّبنانيّة لن يقوم العدل إلا بسقوط السلطة الَّتي تسببت في أكبر جريمة ابتزاز لشعب لبنان بأكمله وصولًا إلى تجويعه، وهنا يقف القانون عاجزًا أمام هذه الجريمة لأنه مملوك من هذه السلطة الَّتي تعاقب على الجرائم الصغيرة فقط لأن الجرائم الكبيرة هي سلوكها اليومي.

بين حياة الأرنب والسلحفاة والتبول اللاأرادي

ثلاثون عامًا عاشها شعب لبنان من حياة البحبوحة والرفاهية إلى أن جاء الزمن الَّذي صار فيه المال يأتي مثل السلحفاة ويذهب مثل الأرنب. ولا زلت أذكر منذ الصغر قصة «الأرنب والسلحفاة» كما أحاول أن أعيش خلاصة هذه القصة وأنصح صديقي السِّياسيّ أن لا يتكلم كثيرًا ويفعل قليلًا وأن لا يعتقد أنه قادر على أن يسبق غيره وأذكره بمثل الأرنب. والمعروف عن الأرنب أنه رياضيٌّ بامتياز يقفز دائمًا للأعلى وينزل يا لَلأَسَف! ولا يعيش كثيرًا بينما السلحفاة تعيش ٤٠٠ عام، ولا تمارس الرياضة على الإطلاق.

ليته شعب لبنان يتعلم من معاني تفوق السلحفاة على الأرنب في السباقات لأنها عدَّت هذا السباق مسألة حياة أو موت وتقدمت بخطى ثابتة ، عكس الأرنب المستهتر، وبالطبع تعرفون القصة جيِّدًا . أما في أيامنا هذه فإنَّنا نجد بعض اللُّبنانيّين قد أعجبتهم قصة الأرنب والسلحفاة وقد تقمص بعضهم شخصيَّة الأرنب وضحك بعضهم الآخر على بطء حياة السلحفاة فيما راح العديد من حكام لبنان يأكلون لحم الأرانب بعد نصيحة الدميري لهم في كتابه «حياة الحيوان الكبرى الدنيوية» بعد أن استحضر المستشارون الحكوميون هذا الكتاب والَّذي يقول «إن علاج التبول اللاأرادي يكون بأكل لحم الأرنب».

والعبرة المستخلصة من حياة الأرنب والسلحفاة هي أنه يجب على صديقي السِّياسيّ أن لا يكون مغرورًا بما يملك من سلطة زائلة وأن لا يسخر من أصدقاء الماضي لأن لكل رجل يوم يصنعه بجهده وكفاءته وسوف يميزه عن غيره وربما بات قدوم هذا اليوم قريبًا جدًّا. والتكبر والغرور لا يجلبان إلا الفشل؛ أما التواضع فهو من سمات الناجحين ومن تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه.

بين عبدة السلطة والكراسي ومرضى النَّفس

يقولون إن عبيد السلطة والنفوذ والكراسي تتغير شخصيتهم بسرعة هائلة عندما يشغلون منصبًا ويتحولون إلى أشخاص آخرين نكاد لا نعود نعرفهم، وفي الحقيقة قد يكون صديقي على حق حين اقنعني أننا لم نكن نعرفهم من قبل وما ظهر عليهم من تغيرات بعد توليهم المناصب أظهرتهم على حقيقتهم وكشفت القناع المزيف الَّذي كانوا يضعونه على وجوههم، وأمثال هؤلاء استبدلوا عبادة الله بعبادة الكراسي من دونه، وإن أظهروا للآخرين أنهم أتقياء الله، فعبادة القلب هي الأساس ولا يفيد الإعلام في تسويقهم وخداع النَّاس .

عبدة الكراسي لا يشترط بهم أن يكونوا من كبار الموظفين بل تجدهم في الوظائف البسيطة أَيضًا وهم أناس قلوبهم قاسية على من دونهم وجبناء أمام من هم أعلى منهم يخافون من ظلهم، إذا استفردوا بمن دونهم بطشوا وظلموا وإن وقعوا تحت أقدام من فوقهم سجدوا وقبلوا الأيادي والأقدام وتنازلوا عن كرامتهم، إن بقيت لهم كرامة وراحوا يستجدون العطف والشفقة ويقسمون الإيمان بالطاعة والولاء، غالبية هؤلاء لا يغادرون كراسيهم إلا مضطرين وإن فعلوا فإنهم سرعان ما يعودون إليها وهم لا يجدون أنفسهم إلا جلوسًا عليها وإن غادروها يشعرون بالمذلة والدونية لأنهم في الحقيقة ظلال وهمية والكراسي هي من تمنحهم الوجود والمكانة.

وقبل الختام، لا بد من الإشارة إلى أن كثيرين من أصحاب المناصب لا يألون جهدًا في خدمة المواطنين وتسهيل أمورهم وتقديم كل مساعدة لهم، ولا يهمهم مناصب ولا ألقاب ولا كراسي فهؤلاء تكبر بهم المناصب وتعلو بهم الكراسي، وهم أصحاب همم عالية ونفوس طيبة، يستحقون كل الحب والتقدير والاحترام وهم ليسوا موضوع مقالتي هذه لأنهم شرفاء وكما يقال الكبار يولدون كبارًا.

بين الأم الأرمنيَّة أناهيد أم الطهارة والميثولوجيا

أناهيد هي واحدة من الآلهة بعد آرامازت في زمن الملك تردات الثالث أرشاكوني الَّذي أعلن المسيحية دينًا رسميًّا لدولة أرمينيا في العام ٣٠١ بعد المسيح، وكان يمدح السيدة العظيمة أناهيد مجد الأمّة الأرمنيَّة وحيويتها بأم الطهارة، يشار إلى أن الأرمن كانوا يطلقون على أناهيد اسم «ماير أناهيد» أي الأم أناهيد وكان اسم «آني» أَيضًا هو مصغر لأناهيد الَّتي كانت تعدّ الأم الحامية لأرمينيا.

وأناهيد أو أناهيت (Անահիտ) كانت تعدّ إلهة الخصوبة والشفاء والحكمة والماء في المترولوجيا الأرمنيَّة وكانت بمنزلة إلهة الحرب، وفي القرن الخامس قبل الميلاد عُدَّت أرامازد أَيضًا من الآلهة الأرمنيَّة الأساسيين مع أناهيت والَّتي صارت وقتها أَيضًا من الآلهة الإيرانية وكان اسمها في إيران أناهيتا، وعبادة الإله أناهيت كان ذات أهمِّيَّة قصوى في أرمينيا ونصبوا لها تماثيل عناحيت، وأمروا بعبادتهم.

خلال الاحتفال السنوي لشهر نافاسارد يقام على شرف أناهيد احتفالات خاصَّة يتخللها المسابقات والموسيقى والرقص، وفي الماضي كان المرضى يحجون إِلى المعابد من أجل طلب الشفاء وكان رمز الطب الأرمني القديم هو رأس برونزي مذهب للإلهة أناهيد ولا يزال يوجد ذلك الرأس في المتحف البريطاني لتاريخ اليوم، وقد خصصت أرمينيا يوم ٧ نَيسان للاحتفال بيوم الجمال والأمومة والَّذي يرتبط بشكل وثيق بأم الشَّعب الأرمني أناهيد. (في الصورة عملة ورقية أرمنية تحمل صورة أناهيد من فئة الخمسة آلاف درام تعادل العشرة دولارات).

بين عمل كان وأخواتها من الأفعال الناقصة وعمل الوزراء في الحكومات اللُّبنانيّة

تعلمت على مقاعد الدراسة أن السيدة المتربعة على قلوب الطلاب لتاريخه «كان وأخواتها» هي أفعال ناقصة تحدث تغييرًا في الإعراب عند دخولها في الجملة الإسمية، فهي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، فيما هما في الأصل مرفوعان ولا يتغيران أبدًا إلا عند دخول المحفوظة بالله «كان وأخواتها» عليهما وقد تم تسميتها بالأفعال الناقصة لأنها دائمًا تحتاج إلى خبر حتى يكتمل معنى الجملة ومن دون الخبر لا تكون للجملة أي فائدة، والأفعال هي: كان، أصبح، أضحى، أمسى، ظل، بات، صار، ما زال، ليس، ما دام، ما فتئ، ما برح، ما انفك.

ويمكن تقسيم «كان وأخواتها» من حيث الأوجه الَّتي تعمل بها الأفعال الناقصة أربعةَ أوجه: أولًا أن تكون ناقصة وفي هذه الحالة لا يمكن أن تكتفي بالمبتدأ ويجب أن يأتي خبر حتى يكملها، وثانيًا أن تكون تامة وأن تكتفي بالمبتدأ وتكون الجملة كاملة وتكون مثل باقي الأفعال لا يوجد أي اختلاف فيها، وثالثًا أن تكون زائدة غير عاملة ولا تعمل عملها ولا تحتاج إلى جملة، ورابعًا وأخيرًا أن تكون بمعنى صار ويتم فهم ذلك في سياق الجملة، وتم ذكر هذا الشيء في القرآن الكريم «إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وكان من الكَافِرِين».

ولكن أيها الأصدقاء ماذا لو استبدلنا «حكومات لبنان وأخواتها» مكان «كان وأخواتها» فيما ورد أعلاه، وتحدثنا بصراحة عن أفعالهم الناقصة غير التامة لأن سيرتهم الذاتية تحتاج إلى «خبر» يومي عن استعراضات وهمية ومواكبة أمنية مبالغ فيها ومستفزة في بعض الأماكن، يبيعون النَّاس الكلام والأوهام والوعود الكاذبة فيما هم فاشلون . ولست أدري لماذا الإصرار على إعادة التجرِبة الفاشلة في تشكيل

بين عمل كان وأخواتها من الأفعال الناقصة وعمل الوزراء في الحكومات اللُّبنانيّة

حكومات الوحدة والأخوة، وهل تمكنت حكومة واحدة من حكومات الإمارات اللُّبنانيّة أن تعالج مصيبة واحدة من مصائب شعب لبنان، والَّتي هي من صنيعة غبائهم وتكاد لا تعد ولا تحصى؟

وهل أصحاب المعالي من أعضاء الحكومات السابقة والحالية يعملون لخدمة المواطن ولمصلحة لبنان الوطن أم أنهم كانوا ولا يزالون يعملون لمصلحة أحزابهم ومذاهبهم وتنفيذًا لأوامر أسيادهم في الداخل والخارج؟

بين التاء الطَّويلة والتاء المربوطة وسيبويه

كيف تعلم يا صديقي القارئ أن العديد من المتفاصحين (وليس المتصفحين) على مواقع التواصل الاجتماعي هم جهلة وأغبياء ولا يملكون العلم والمنطق، وأن معظم كتاباتهم تتضمن الشتيمة والألفاظ المعيبة فضلًا عن الأخطاء الإملائية فلا يفرقون بين الضاد والظاء ولا التاء الطَّويلة والمربوطة وأصلًا لم يسمعوا عن واو الجماعة ولا الألف المقصورة.

يروى أنه في قديم زمان وقع رجل أرضًا وأصيب بالإغماء وكان اسمه «أبو علقمة» وقد تجمهر النَّاس حوله وراحوا يصلون عليه وعندما استفاق من غيبوبته قال بهم بيت شعر مشهور: »مالكم تكأكأتم عليَّ كتكأكئكم على ذي جِنة، افرنقعوا عني» أما النَّاس الَّتي تجمعت حوله فأصابهم الذهول مما رأوا واعتقدوا أن الجن لبس هذا الرّجل وراح يتكلم لغة جديدة، ولا أعرف لماذا تذكرت أبو علقمة اليوم وهل لأن الآلاف من أتباعه يعيشون بيننا ويكتبون أشياء غير مفهومة ولو كان سيبويه لا يزال حيًّا لكان مات من جديد حزنًا على اللغة العربية .

ويعد كتاب سيبويه أول كتاب ينسق قواعد اللغة العربية ويدونها وقال عنه الجاحظ «لم يكتب النَّاس في النحو كتابًا مثله» سمي بالكتاب لأن مؤلفه سيبويه تركه دون عنوان في حين كان العلماء يضعون لكل كتاب اسمًا، وقد يكون سبب عدم تسميته بأنه مات شابًا فلم يتمكن من معاودة النظر فيه وإتمامه وقد سماه النَّاس قديمًا قرآن النحو، وكان لكتاب سيبويه شهرة كبيرة وفضله كبير على اللغة العربية، فكان يقال في البصرة: قرأ فلان الكتاب فيُعرف الجميع أنه كتاب سيبويه.

بين الاختلاف والخلاف وفائض القوة

التباينات السِّياسيّة حتى الاختلاف في الرأي والخلاف في نمط العيش هما سنة الحياة وطبيعة البشر، ويبقى أن مصير كل الخلافات هو تغليب لغة العقل والحكمة حتى حصول اتفاق جديد بين الأحزاب اللُّبنانيّة لمصلحة الوطن قبل سقوط الهيكل فوق رؤوس الجميع، ويبدو انه لا خِيار أمامنا نحن اللُّبنانيّين سوى أخذ زمام المبادرة والشروع في التفاهم والحوار من أجل استعادة وطن مسلوب الإرادة من الخارج خاصَّة وأن جميع الخِيارات الأخرى تبدو كارثية علينا جميعًا.

كلام في الصميم، علينا أن نساعد أنفسنا في التغلب على كل المعضلات الَّتي تمنعنا أن نكون أقوياء والَّتي تحول دون حصولنا على أبسط حقوقنا كشعب، وقبل أن نطلب مساعدة الآخرين لأنه عندما نكون أقوياء فإنَّ الجميع يحترموننا لكن عندما نتفاوض من موقع ضعف سندفع الثمن غاليًا من سيادة لبنان عبر تقديم تنازلات تلو الأخرى حتى يرضى عنا من يفرض علينا الوصاية، فالعالم لا يعترف بالضَّعفاء وإنما القوة هي الَّتي تمكنك من فرض الأمر الواقع وتثبيت لبنانية البلد وتوفير الاستقرار والأمن لشعب ثابت في أرضه.

ومع اقتراب الانتخابات النيابية في لبنان تزداد الحساسيات ويزداد التشرذم وتظهر النفوس المشحونة والحركات الهادفة لإقصاء الآخر، وفي الوقت الَّذي ازدادت فيه الكراهية والعنف اللفظي بين رؤساء الأحزاب ومناصريهم حتى المرشحين الَّذين يرفعون سقف المواجهة ما يهدد السلم المجتمعي ويؤسس لمرحلة جديدة من الانقسامات وهنا يأتي السؤال: هل أصبح الحوار والمصالحة ضرورة مجتمعية؟ وهل تطهير النفوس من الكراهية والمواقف السَّلبيّة بات حاجة ملحة؟ وهل نستطيع أن نعيش الاختلاف دون أن يؤدي ذلك إلى الخلاف مستقبلًا مع

فائض القوة لدى أفرقاء لبنانيين يستقوون بالخارج؟ الإجابة نعم لكن يجب أن تتضمن العَلاقة بين المتنازعين قبول الاختلاف والحفاظ على المساواة فلا يحق لأي فريق إلغاء الآخر مهما تعاظمت قوته بفعل ارتهانه للخارج.

بين الموظف الحكومي العاطل والسَّيِّئ والأمر لله

يبدو أنني أدركت تمامًا أنه ليس لدي المزيد من البال الطَّويل لأتعلم أن أكون أفضل نسخة من نفسي بالنِّسبة إلي ومن ثَمَّ للآخرين، والأهم من ذلك هو أنني أعلم أنني سأفعل ذلك وأعلم أنني سأجعلها جيدة حقًّا، رغم أنني أشعر بالاستنزاف إلى حد كبير لكنه يتعين علي أن أكون صلبًا حتى أفعل ذلك، حتى إنّ رغبتي في قبول الواقع هي في تزايد وقد مر وقت طويل وأنا رهين هذه الحالة، كما تأكدت مؤخرًا أن ثقتي بأهل الحكم كانت مخيبة للآمال وغير آمنة ولكنني مضطر الاستمرار في العيش في لبنان مع هذه الطغمة الحاكمة إلى أن يقول الله كلمته.

في بعض الأحيان يكون من السهل نسيان كل ما يأتي من العَلاقات بين الحاكم والمحكوم ولكني استمتعت فعلًا في الحكومة الأخيرة في اكتشاف حقيقة غباوة بعض هؤلاء الأشخاص من خلال توليهم السلطة ولو لوقت قصير، ونأمل أن يكون الحظّ حليفهم في الانتخابات القادمة وأن يستمتع المواطن اللُّبنانيّ بمواهب من رغب منهم ركوب السلطة من جديد والَّتي بات بريقها يخف يومًا عن يوم، إلى أن يختفي ويصبح من الماضي وكم جميل قول «العقل العاطل هو ورشة عمل للشيطان».

ويبدو أنه من أشد أنواع جلد الذات والظلم الاجتماعي هو تجديد المواطن في الانتخابات القادمة الثقة بالموظف الحكومي السَّيِّئ والعاطل، ورحم الله أيام الموظف الجيد والممتاز، وليس الموظف العاطل هو من لا يؤدي عملًا فقط بل الموظف العاطل هو من يؤدي عملًا كان في وسعه أن يؤديه بطريقة أفضل وربما ليس لنا أن نسأل الموظف الحكومي العاطل برتبة وزير مثلًا متى صرت هكذا؟ ولماذا؟ ومتى تعود لك إنسانيتك؟ ولا نسأل المواطن الذليل على أبواب الأفران والمصارف ومحطات المحروقات ومكاتب الوزراء مؤخرًا عما ينتظره لأنه لو كان بيده غير الانتظار لفَعل. لكنه يبدو أنه قد قرر تركهم وشأنهم فأمره بيد الله لا بأيديهم. عساهم يقرأون ويفهمون؟

بين الخطأ والخطيئة وقوة الاعتذار

إنّ الأخطاء هي الطرق الَّتي تكشف للإنسان ما كان خافيًا عليه، ومبهمًا بالنِّسبة إليه، والأخطاء ليست كلها متساوية أو متشابهة بل تتفاوت بحسب الظروف والطبيعة والأشخاص، ثمة أخطاء بريئة، أخطاء لا تكسر كرامةً ولا تخسرك صديقًا، ولا تخدش مروءة ولا تجرح قلبًا . فما من إنسان كاملٍ لا يخطئ أو لا يتعثّر ولا عصمة لأحدٍ على أحد سوى من اختاره الله.

وهناك خطايا لا يمكن السكوت عنها أو حتى الصفح عنها وإلا أصبحت شرعةً بين النَّاس، لكن الأمر الَّذي من شأنه أن يزيد المخطئ رفعةً ومكانة، ويزيده محلةً وقربًا على ما كان عليه من خطأ هو الاعتذار الَّذي يحتاج إلى تربية النَّفس على التواضع والأخلاق منذ طفولة الإنسان ونشأته ورغم أن الاعتذار لا يمكنه أن يرد الزمن إلى الوراء ولا يمكنه أن يعود بالزمن إلى ما قبل وقوع الخطأ لكنه يبلسم النفوس الحزينة ويقف على خواطرها وينادي جبينها بنقاء القرب والمحبة والصحبة، ويرفع المرء ولا يدنيه، يعزّه ولا يذِله، يقرّبه ولا يبعده ويلبسه تاج المروءة والكرامة والوقار.

وإذا كان الخطأ يسهل التجاوز عنه فإن الخطيئة يصعب محو آثارها، فإذا لم يتوفر القصد يكون الفعل خطأ، أما إذا توفر القصد فتكون خطيئة، والخطأ هو زوج الخطيئة بالحرام، ولعل أجمل كلام سمعته حول الخطأ والخطيئة هو من البطريرك بشارة الراعي حين قال: «ما من أحد معصوم عن الخطأ والخطيئة، إنّ التائب الحقيقي يختبر أنّ محبّة الله ورحمته أكبر بكثير من خطاياه» والله لا يريد منا أن نكون أناسا مثاليين لأن هذا لن يحدث ولكن يريد منا أن نقلل من الخطأ والخطيئة قدر الإمكان ويبقى الأهم هي التوبة والرجوع إلى الخالق، وأخيرًا يمكن أن تكون الكثير من أعمالنا هي أخطاء مشروعة تحدث بسبب تشتيت انتباهنا أو إهمالنا، لكن الخطيئة هي أكثر من خطأ، إنها اختيار متعمد لفعل شيء نعرف أنه خطأ، فهل من يوافقني الرأي أصدقائي؟

بين السجود لله والسجود للزعيم

لا بد من التفريق بين أنواع السجود الديني والسِّياسيّ، فالأوَّل هو سجود العبادة والأصح سجود الصلاة، أما الثاني فهو سجود المصلحة للأشخاص والزعيم تعبيرًا عن طاعتهم له، وفيما الشيطان في الأديان السماوية كان ملاكًا وسقط لأنه رفض السجود لآدم لكنه كملاك نوراني كان يعرف أن السجود لله وحده ولو سجد يكون قد سقط في الاختبار ويستحق العقوبة لكنه بمنطق إبليس رفض السجود ونجح بالاختبار وعاقبه الله ظلمًا، أما الكتاب المقدس فإنه يذكر أن الشيطان سقط بسبب الكبرياء لأنه أراد أن يصير مثل الله.

والسجود في الكتاب المقدس تعني الانحناء تقديرًا واحترامًا لصاحِب الفضل، أما الانحناء لرؤس الكنائس في بعض الأعياد فهو دليل على الطاعة لهم وليس عبادتهم، والسجود يكون للمسيح «نسجد لآلامك أيها المسيح نسجد لجراحك نسجد لحبك العظيم لنا «والسجود للصليب المقدس في الأحد الثالث من الصوم الكبير، حيث نسجد ونركع أمام الصليب الكريم المحي ونسأل الله قائلين: «خلص يا رب شعبك وبارك ميراثك، وامنح ملوكنا المؤمنين الغلبة على البربر واحفظ بقوة صليبك جميع المختصين بك. لصليبك يا سيدنا نسجد ولقيامتك المقدسة نسبح ونمجد «وكذلك السجود للقربان المقدس حيث نعترف أنّنا غير مُستحقِّين هذا السِّرّ الإلهي.

سمعت بعض المستوزرين في لبنان ذات يوم يقول: «قسمًا عظمًا لو كان يصح السجود لغير الله سبحانه وتعالى لكنت سجدت للزعيم إكرامًا واحتراما وتقديسًا لهذا الرّجل الشجاع الَّذي ضحى من أجل قضية شعب كامل هكذا الرجال وإلا فلا»، ويتحدث تاريخ لبنان الحديث عن عودة زمن السجود لرؤساء الطوائف والأحزاب من قبل المستوزرين الجدد وبعض نواب الأمّة فاقدي الأهلية وبعض القضاة ورجال القانون من كل الطوائف اللُّبنانيّة دون استثناء (الصورة من السجود للزعيم فى تركستان الشرقية).

بين المتدين والمؤمن والإيمان المزيف

يبدو أن الفرقَ كبيرٌ جِدًّا بين المتدين والمؤمن، فالمتدين هو شخصيَّة مريضة مليئة بالعقد والخوف، أما المؤمن فهو شخصيَّة مليئة بالمحبة والطمأنينة فهل يتساوى يومًا الخوف والحب بين المتديّن والمؤمن؟ فالمتديّن يؤمن ويعبد دينه، والمؤمن يؤمن ويعبد الحق والنور الحقيقي، والمتدينون في لبنان صاروا كثر، أما المؤمنون فإنهم قلة، والمتدينون في بلادي يراقبون النَّاس صبحًا ومساء ويكفرونهم بالجملة والمفرق. يكثرون من الاستهزاء، يسيئون الظن بهم ولا يثقون بالله، يخافون على عقائدهم فيما المؤمنون نراهم متسامحين يحسنون الظن بالنَّاس ويلتمسون الأعذار لهم، واثقين بالله ومتكلين عليه، ولذلك نجد المؤمن كثير الانشغال بإيمانه يسبح الخالق، فيما المتدين كثير الانشغال بإيمان غيره.

السؤال الأهم لماذا المؤمنون لديهم امتيازات ليست للملائكة؟ والجواب أن الملائكة لا يدخلون بيت الأب مثلنا وهم لا يفهمون محبة الله لأنهم لم يكونوا خطأة (عب٢:١٦) حتى اليهودية في زمن يسوع كانت قائمة حَرفيًّا على نظامٍ يقول إنَّه مِن خلال أخلاقك وأعمالك يمكن أن تقدم لله ما يكفي لشراء خلاصك، وقد كانت رسالة يسوع هي: «أنتم جميعًا على خطأ» وقد قَتلوه بسبب ذلك لأنَّ رسالته لم تكن رائجةً ولا سِيَّما لدى المُتدينين.

وفيما الوعي والمعرفة يصنعان اليقين فإن الجهل والخوف يصنعان الإيمان المزيف، كما أن الإيمان الَّذي لا يؤدي بصاحبه إلى حياة الجنة على الأرض لا يعوّل عليه أن يؤدي به إلى جنة في السماء لأنه لا يمكن الوصول إلى جنة السماء من دون أن تعيش وتمر بجنة الأرض، والإيمان الَّذي لا يجعل صاحبه يساهم في جعل الأرض التي يعيش عليها جنة يشعر بها من حوله قد لا يخوله من التنعم بجنة السماء. وفي الأخير لا أتمنى أن أكون أكثر حظًا في هذه الحياة الفانية إنما أريد أن أكون أكثر إيمانًا وأسأل الله أن يغفر لأصحاب الإيمان المُزيف وأن يغفر لي ويعلمنّي.

بين الساكت عن الظلم والشريك فيه

كل ما فعلته في حياتي أنني كنت دائمًا على الحياد وربما كان في الحياد ركون واستسلام غير مبرر ولّما أكن أدرك في حينها أن السكوت عن الظلم ظلم، ونتاج ذلك أنني كنت أول من غادر مثقلًا بخيبة أمل مريرة، وتعلمت أن السكوت على فعل الظالم هو شراكة في الظلم، وفي قراءة لتاريخ الظلم رأيت أن أبشع النهايات كانت من نصيب الظالمين وأنه كلما زاد الظلم زادت عقوبتهم.

وفي لبنان أجد الظالمين هم أكثر النَّاس تلبسًا للدين ولا أرغب التوسع في هذا الموضوع حفاظًا على ما تبقى لي من أصدقاء من رجال الدين، وفيما الأديان كلها تحدثت عن الظلم قرأت عن مظلومين كثر لم يستطع القانون حمايتهم وفتشت في الكتاب المقدس (سفر أيوب ٨-٢٢) عما إذا كان أيوب قد عانى من الظلم؟ وهل أيوب بلسانه تحدث عن ضعف طبيعته حين قال «أبَحر أنا أم تنين؟» (٧: ١٢) «وهل قوتي قوة الحجارة؟» (٦: ١٢) وما هي حياتي؟ «فإنني لا أحيا إلى الأبد فأحتمل بصبرٍ» (٧: ١٦). رغم أن أيوب عرف خطاياه «لماذا لا تغفر ذنبي (٧: ١٢) وفي القرآن الكريم: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا».

وتاريخيًّا في العام ١٦١٢ قامت الفنانة الإيطالية ارتميسيا جنتيلشي Artemisia Gentileschi بالانتقام من مغتصبها من خلال رسم «لوحة الظلم» الَّذي كان شائعًا جِدًّا آنذاك بحق الفنانين النِّساء، وهذا ما حدث لها في التحفة الفنية «جوديت تقطع رأس هولوفيرن» وقد تعرضت هذه المرأة للظلم مرة جديدة على يد أوغستين تاسي الَّذي تمت إدانته بجريمة اغتصابها مثل هولوفيرن، وتمت إدانته أَيضًا لتخطيطه قتل زوجته وارتكاب زنى المحارم مع أختها، ومحاولة سرقة أعمال والد أرتميسيا، لكنه لم يقض عقوبته وألغي الحكم عليه وفرَّ بفعلته.

(لوحة الظلم جوديت تقطع رأس هولوفيرون).

بين الاعتدال في التطرف والتطرف في الوطنية

بعد استثماراتي الصناعية والتجارية والزِّراعيَّة ومحتواها منذ أكثر من ثلاثين عامًا، قررت منذ أعوام قليلة أن تكون استثماراتي الجديدة فكرية بحته وليست ربحية وأرجو عدم النظر إليها على أنها مشاريع استثمارية أبدًا، ولا غايات سياسية من ورائها على الإطلاق، إنما لبنان الوطن بحاجة إلينا، الوطن يعيش أزمة أخلاق كبيرة وحرب مع الفاسدين لذا يجب أن تكون معركتنا فكرية، وأن يكون سلاحنا الوعي واستثمارنا محصنًا لحفظ هذا الفكر لأمن وسلامة لبنان.

تخيلوا أيها الأصدقاء أن متطرفًا أهوج يسهل عليه إيجاد آلاف المنابر لإيصال صورته وترويج أفكاره، في حين أن صاحب صوت الاعتدال والتسامح قد يكابد ليجد منصة توصل رأيه، وفي تصوري أن معظم القنوات اللُّبنانيّة والعربية هي قنوات تجارية بمعظمها تبحث فقط عن الربحية المادِّيَّة ولا يهمها المحتوى الإعلاميّ والفكري ولا حتى الانتماء إلى الوطن والدفاع عنه.

ورغم كل ما عاصرت من أزمات منذ العام ١٩٧٥ حتى اليوم لم أسمع يومًا عن تطرف طائفي من منشأ لبناني ولا مكان له في المجتمع اللُّبنانيّ المعتدل. واعتقادي أن كل الحروب الطائفية الَّتي مر بها لبنان من معركة قنات إلى تهجير الدامور ومذابح الشوف وعاليه وحروب التهجير مرورًا بمذابح المخيمات الفلسطينية وصولًا إلى مجازر القاع وحروب زحلة الأولى والثانية ومعركة المئة يوم في الأشرفية، كلها من تخطيط الخارج وأن كل ما شاهدناه من تطرف كان مؤقتًا وقابلًا للزوال، وها هم تجار التطرف ورواد الغرف السوداء ينتقلون إلى الخطة (ب) والَّتي تضمنت حربًا جديدة وهي تجويع النَّاس وحجز أموالهم بهدف هجرتهم . وها هو شعب لبنان يوحده الفقر على رقعة الوطن ولا مكان فيه للتطرف ورغم ذلك أنا متطرف في حب لبنان والبقاء فيه ولن أهاجر.

بين ميشال ضاهر وجورج عقيص والحب الحلال

لا يخفى على أحد من منطقة زحلة والبقاع أنه تربطني عَلاقة صداقة وثيقة بالرّجلين حالهما حال معظم المرشحين من كل الطوائف والتَّيَّارات السِّياسيّة، ولكن بدرجات متفاوتة من الصداقة إِلى الاكتفاء بالمعرفة مع بعضهم والَّتي لا يمكن تسميتها صداقة . وبحث اليوم محصور بالحديث عن صديقين مرشحين للانتخابات النيابية عن المقعدين المخصصين لطائفة الروم الملكيين في زحلة وجاراتها من القرى.

ميشال ضاهر الصناعي الأحب إِلى قلبي وهو الَّذي ثبت زعامة كاثوليكية لمدينة الفرزل بسرعة البرق وفي ولاية نيابية أولى، وهو الَّذي نخوض معه مقاومة اقتصاديَّة شرسة في وجه منظومة سياسية غبية لم تعرف للرحمة بالفلاح والصناعي مكانًا، وهي مستمرة منذ ١٩٩٢ بضرب الصناعة والزراعة وكل مقومات صمودهما، والسؤال الَّذي يطرح نفسه لماذا تسهيل الحرام وتصعيب الحلال؟ لماذا لا يوجد قرار سياسي بتكليف الأجهزة الأمنية اللُّبنانيّة منع التهريب وضبط المعابر الشرعية وغير الشرعية؟ ولماذا تم توقيع اتفاقات تجارية مذلة بحق الصناعة؟ والحديث يطول لكن موضوعنا اليوم هو ميشال ضاهر الشريك في النضال الاقتصادي والتنموي لمنطقة البقاع من خلال مصانعه ومؤسساته الاجتماعيَّة وصولًا إِلى شخصيته المحببة إِلى قلوب أهل البقاع وأنا منهم وانتهاء بكفاءة هذا الرّجل ورؤيته الاقتصاديَّة والماليَّة بعد أن صحت كل توقعاته وليتهم سمعوا منك ميشال ضاهر.

أمَّا أَنت يا صديقي جورج عقيص يا سليمان القانوني ووارث أوغست باخوس رحمه الله، ونقولا فتوش أطال الله عمره، لقد أخذت الآدميّة من إيلي

سكاف والذكاء من سعيد عقل والحنكة من نجيب حنكش، أهل زحلة أحبوك كما القضاء كيف لا وأنت من نقل زحلة إلى البرلمان اللُّبنانيّ وليس إلى مكان آخر كما يدعي بعضهم زورًا، ولا أحد ينكر أن تنامي دور الأحزاب في المدينة يعود سببه لفشل المجتمع الزحلي لمدة من الزمن في الإضاءة على وجوه جديدة بسبب احتكار تمثيل المدينة بالعائلات السِّياسيّة الَّتي تيتمت برحيل زعيم زحلة إيلي سكاف أو أقفلت أبوابها السِّياسيّة بعد نهاية كل استحقاق انتخابي أو انتهى دورها بانتهاء ولاية الرئيس إلياس الهراوي رحمه الله، وسؤالي الأخير لماذا لا يتكامل الرّجلان في التشريع والقانون والإدارة من جهة وفي الأعمال والإنماء من جهة أخرى؟ ولماذا لا يقتربان لما فيه صالح أهل المنطقة مع عودة الأمل بالنهوض بالبلد من جديد بعد الانتخابات المرتقبة؟ ومبارك لكما أصدقائي ولاية نيابية جديدة أما أنا فإنني رضيت لنفسي الابتعاد مع ورقة وقلم وراحة بال .

بين السِّياسيّ الأزعر والعاهرة ربطة عنق.

المدينة الفاضلة الَّتي حلم بها أفلاطون والتي ظن أن الفلاسفة في زمانه سوف يحكمونها بالحكمة والعلم ووفق معايير إنسانية راقية تجعل منها قطعة من الجنة على الأرض بقيت في مخيلته حلمًا بعيدًا من الواقع، ولو كانت موجودة بالفعل لعاشت البشرية سلامًا ورخاءً، لكن الشعوب ابتعدت عن القيم والأخلاق وتبعت الشهوات وملذاتها وانتهى بها الأمر إلى ما هي عليه الآن من تخلف وانحطاط وفقدان للعقل وربما الهُوِيَّة «وضرب الهبل».

ومع احترامي الكامل للسياسيين الأوادم وهم قلة قليلة في لبنان لكنه من حقي أن اسألهم هل صحيح أن الفرق بين السِّياسيّ الأزعر والعاهرة ما هو إلا ربطة عنق فقط؟ كما يقول المثل الشَّعبي المتوارث . وهل صحيح ما يشاع أن العاهرة إذا أرادت شَيْئًا دفعت ثمنه من جسدها؟ في حين أنّ حكام لبنان يدفعون ثمن ما يريدون من أجساد الفقراء وأموال اللُّبنانيّين وودائعهم وجنى عمرهم المنهوب، وإذا صح ذلك فإنني أرى أن العاهرة هي أشرف من السياسي الأزعر والحاكم بأمر المال طبعًا وجميع المطبلين له في الإعلام وأكرر اعتذاري من السِّياسيّ الآدميّ والصحافي الشريف وهؤلاء خارج هذا البحث.

ثم إن زواج السِّياسيّ من السلطة في لبنان أنجب طفلًا غير شرعيٍّ اسمه الفساد، ولأن الحمار لا يحس بالكرامة فيعتقد أن الأمر طبيعيّ. ويريد من الآخرين أن يكونوا حميرًا مثله، كذلك العاهرة تتمنى أن تكون كل النِّساء عاهرات مثلها كي لا يعيب عليها أحد، وأنت أيها الإعلاميّ المأجور إذا لم تستطع أن تكون حرًا ومحترمًا فلا تتوكل بالدفاع عن الفاسدين في السلطة والَّذين على ما يبدو قد أينعت رؤوس بعضهم وحان قطافها كما قال الحجاج بن يوسف ذات يوم على أرض العراق، وإلا فلن يحترمك أحد وأنت تنقل بندقيتك من كتف إلى آخر .

بين وطن بلا سيادة وفضائل حكام لبنان

دخل الزوج فوجد زوجته تبكي سألها عن السبب فقالت إن العصافير على الشجرة تجاه النافذة تنظر لي حين أبدل ملابسي وقد يكون هذا معصية لله، حينها غمر الزوج زوجته على عفتها وخوفها من الله وقطع الشجرة، وبعد أسبوع عاد من العمل مبكرًا فوجد زوجته نائمة في أحضان عشيقها. لم يفعل شَـيْئًا سوى أنه أخذ ما يحتاجه وترك المدينة إلى مدينة أخرى حيث وجد الناس يجتمعون قرب قصر الملك فأراد أن يعرف السبب فأجابوه إن خزينة الملك قد سُرقت.

في هذه الأثناء مر رجل يسير على أطراف قدميه سألهم من هذا؟ قالوا هو شيخ المدينة ويمشي هكذا خوفًا أن يدعس نملة فيعصي الله. قال الرجل لقد وجدت السارق أرسلوني للملك ولما وصل إليه قال: إن شيخ المدينة هو سارق خزنتك، فأحضر الجنود الشيخ وبعد التحقيق اعترف الأخير بالسرقة فسأله الملك كيف عرفت أنه السارق؟ قال الرّجل حين يكون الاحتياط مبالغًا فيه والكلام عن الفضيلة مبالغًا به أعلم أنه تغطية جرم ما.

أما في لبنان حيث الوطن بلا سيادة والدَّولة بلا حدود والشَّعب بلا وطن والحكومة بلا قرار وخيرات الأرض بلا استثمار والفساد بلا إصلاح والجريمة بلا عقاب والإرهاب بلا رادع والأزمات بلا حلول والقانون بلا تنفيذ والقرارات بلا تطبيق والمستقبل بلا تخطيط والقتل بلا سبب وبعض أهل السياسة والإعلام باتوا بلا شرف . هكذا يعيش شعبي وهكذا يستعد لاستقبال الحبر الأعظم بابا روما الَّذي سوف يعرف في حَزيران القادم أن لبنان الَّذي سوف يراه من فوق من مقر أقامته في السفارة البابوية في حريصا غير لبنان من تحت، حيث يعيش أكثر من نصف شعب لبنان تحت خط الفقر، وأن الحاكم بأمر المال ليس فاضلًا لا هو ولا ساكني القصور من أصحاب المعالي والسعادة، وليس لدينا اقتصاد حر ولا حرية للمواطن ولا كرامة له أَيضًا، وخِيار شعب لبنان واحد أما أن يعيش حياة الذل أو الهجرة .

بين طيور اللقلق والإفخارستيا في المسيحية

طائـر اللقلـق اسـمه العلمـي Ciconiidae وهنـاك ١٩ نوعًـا منـه تتميـز جميعهـا بالأرجـل الطَّويلـة والأجنحـة الواسـعة والَّتي تسـتطيع بطيرانهـا الوصـول إِلى ارتفاعـات عاليـة، وهـي تنتشر في معظـم أنحـاء العـالم أبرزهـا اللقلـق الأبيـض الَّـذي مـا إن ضربتنـا الطبيعـة بـأسراب الجـراد في لبنـان العـام المنصرم حتـى أرسـلت لنـا الحـل بقـدوم أسراب طيـور اللقلـق الَّتي التهمـت كل الجـراد تقريبًـا وليتهـا أكملـت معروفهـا وخلصتنـا مـن «جرادنـا البلـدي» الَّـذي لا يشـبع.

والمعـروف عـن طيـور اللقلـق مـن نـوع (Pelican) البجعـة أنهـا في سـاعات الخطـر وعندمـا لا تسـتطيع توفـير الغـذاء لفراخهـا تقـدم دماءهـا طعامًـا لهـم وتضحـي بنفسـها بعـد أن تثقـب صدورهـا حتـى يسـيل الـدم وتتغـذى فراخهـا فـلا تهلـك مـن الجـوع، ويعـد هـذا الطائـر أحـد الرمـوز الَّتي اسـتخدمت للتعبـير عـن الإفخارسـتيا منـذ القـرون الأولى للمسـيحية ORTHODON أرتـون وفي ذلـك صـورة ذبيحـة الإفخارسـتيا حيـث يضحـي المسـيح بنفسـه في سـبيل أحبائـه بـاذلًا جسـده ودمـه ليغتـذي بـه المؤمنـون روحيًّـا لينالـوا الحيـاة الأبديَّـة.

ومـع مـرور أسراب ضخمـة مـن اللقلـق فـوق لبنـان في شـهر نيسـان الحـالي وشـهر أيـار القـادم نسـأل الصيادين عـدم اعتراضهـم وعـدم تصويـب فوهـات بنادقهـم نحـو هـذه الطيـور المهاجـرة وقتلهـا لأنهـا تحمـي أرضنـا وتحافـظ عـلى التنـوع البيولوجـي، ومـن العـار وقـف مسـيرتها تجـاه بلادهـا في أوروبـا.

خاصَّـة أنـه مـن المعـروف عنهـا أنهـا تحمـي المحاصيـل الزِّراعيَّـة مـن الجـراد في الـدول الَّتي تزورهـا خـلال ترحالهـا وتكـون هـذه الطيـور لهـا بالمرصـاد. وهـل هـذا مـن الحكمـة الإلهيـة؟ وهـل مـن يتعـظ؟

بين قرطاجة الفينيقية وقرطاجة الزحلية صمود

يقول الصحافي والروائي إدواردو غاليانو: «إن التاريخ لا يقول وداعًا أبدًا بل يقول أراك لاحقًا» فهل تصح مقولة رجل الأرغواي في التاريخ وبأن قرطاجة الفينيقية الَّتي شيدت حوالي عام ٨١٤ ق.م لتكون صلة الوصل بين صور والمستعمرات الفينيقيّة قد استنسخت في قرطاجة الزحلية كما يحلو للصديق بدري عبد الدايم تسميتها ، والَّتي شيدت في العام ١٩٨٩ لتكون صلة الوصل بين زحلة والانتشار اللُّبنانيّ حول العالم؟

قرطاجة الزحلية الَّتي قصدها الصديق بدري من حيث رمزيتها وصمودها هي مجموعة غاردينيا غران دور الاقتصاديَّة بمبانيها الجميلة وأقسام مصانعها الَّتي تنتج مئات الأصناف من المونة اللُّبنانيّة والمأكولات الشرق أوسطية والَّتي تتوسطها كنيسة القديس نيقولاوس العجائبي وخلفها تم تشييد دار سكن الموظفين «الأوبرج» وتحتها كهف وطاولة الرحمة الإلهية والسوق العتيق، أضف إليها أكاديمية العلوم التطبيقية وقاعة اختمار ومطعم نللي في المباني الملاصقة للمصانع الَّتي تعد واحدة من أرقى المصانع اللُّبنانيّة والَّتي تستحق بنظره ونظر الكثيرين من الأصدقاء والزائرين والاقتصاديين أن تصنف بدرجة «الخمسة نجوم» بين المصانع اللُّبنانيّة الَّتي تورد منتجاتها إلى دول الانتشار اللُّبنانيّ حول العالم إضافة إلى خدمتها للأسواق المحلية .

وتاريخياً ذكر أن قرطاجة الفينيقية العظيمة قد خاضت ثلاثة حروب، وبعد حربها الأولى صارت أقوى، وهذا ما حدث معنا بعد حروب الإلغاء والتحرير، وبعد الحرب الثانية ظلت قرطاجة صامدة، وأَيضًا هذا ما عشناه من العام ٢٠٠٥ وحرب تموز حتى اليوم، وبعد الحرب الثالثة لم يعد لقرطاجة الفينيقية من وجود

وهـذا مـا نخشـاه أن تكـون نهايـة الصناعـة اللُّبنانيّـة هـي عـلى أيـدي حكامنـا بعد الفشـل في إدارة البـلاد والوصـول إِلى ديـن عـام يفـوق١٠٠ مليـار دولار ومحاولتهـم الأخـيرة تمريـر قانـون الكابيتـال كونـترول خلسـة في البرلمـان اللُّبنـانيّ وتحويـل جميـع أمـوال المودعـين والحـوالات المصرفيـة القادمـة إِلى مصـارف لبنـان إِلى العملـة الوطنيـة ودفعهـا للصناعيـين باللـيرة اللُّبنانيّـة وهـذه معركتنـا الأخـيرة مـع هـذه الطغمـة الحاكمـة.

بين البلاء والابتلاء والولاء والتجرِبة

لا فرق بين الابتلاء والبلاء وامتحان الله لشعبه أو اختبار إيمانهم بأمورٍ قد تكون مؤلمة لهم والعبرة في كلتا الحالَّتين تكون باستجابة المؤمن لذلك الأمر، فإن استغلّ البلاء أو الابتلاء فيما يقرّبه إِلى الله كان في ذلك تكفيرًا عن ذنوبه ورفع مرتبته عند الله، وأمّا إذا حدث العكس كان ذلك عقوبةً له، ويكون قد فوت فرصة الاقتراب من خالقه الَّذي لا حدود لنعمه وكرمه إذا أحسن الإنسان طاعته.

وفيما الولاء يكون للأوطان وحب ترابها فإن انتماءك لها يكون في مساندة أبناء الوطن للصمود في وجه الفقر والجوع والابتلاء سواء أكنت تعيش بينهم أم في دول الانتشار اللُّبنانيّ حول العالم وتشارك من بعيد في التكافل الاجتماعي في سبيل تحقيق العدالة بين طبقات المجتمع، لكن السؤال المهم متى سينتقل حب الأوطان من القلوب إِلى السلوك؟ خاصَّة وأن قلوب اللُّبنانيّين الَّذين يعيشون في الانتشار كما في الوطن فرقتهم أَيضًا المصالح الشخصيَّة وصارت قلوبهم قاسية بحسب قول دبلوماسي لبناني في الخارج وجمع بينهم الولاء للأحزاب وليس الأوطان وصاروا بلا قضية ولا مشروع وطني ولا هدف إنساني بل مجرد دمى تحركهم رؤساء الأحزاب حيث تكون مصالحهم.

وفيما يقر القرآن الكريم في (سورة الأحزاب:٤) «ما جعل الله لرجُلٍ مِن قلبين فِي جَوْفِه» عدم إمكانية التعبد لربين، يقابله الكتاب المقدس حين يقول «لا يمكن للمرء أن يخدم سيدين» (متى ٦: ٢٤) والمسيح في الكتاب المقدس أخلى نفسه من مجده صائرًا في شبه النَّاس وجاءت رسالته لخلاص البشرية وليس لطلب التعظيم من النَّاس، وإذا المسيح لم يطلب ذلك لنفسه فكيف بكم أيها اللُّبنانيّون في الوطن والانتشار تعظمون أشباه الآلهة الأرضيين؟

بين أغنياء طرابلس وفقرائها والوزير المخمور

سألني صديقي يومًا أن أصف له مدينة طرابلس اللُّبنانيّة وهي واحدة من أجمل المدن على الساحل اللُّبنانيّ، حيث الأغنياء فيها يعيشون في القصور فيما الفقراء يدفنون في القبور ظلمًا، ورحت أخبره عن أجمل وأفقر مدينة على حوض البحر المتوسط إذ يعيش أكثر من ٨٠٪ من سكانها دون خط الفقر فيما يعيش إلى جانبهم في الأحياء المقابلة أكبر أغنياء الشرق الأوسط ربما ويرأس حكومة لبنان اليوم دولة الرئيس نجيب ميقاتي وهو من أكبر أغنيائها، ولكن التكافل الاجتماعي يبدو أنه غير موجود في قاموس ما يسمى «دولة لبنانية» وقد يكون بحر طرابلس أحن على أبنائها من حكام لبنان، وهذا ما حدث البارحة حيث ابتلع بحرها أكثر من أربعين جثة هاربة في قارب الموت الَّذي انطلق من مدينة الميناء، وكما يقول فريدريك نيتشه: «لم يترك الأغنياء للفقراء سوى الله «الَّذي نسأله الرحمة على شهداء قارب الموت الهاربين من الفقر.

ومن معرفتي بأهل طرابلس الطيبيين بحكم عملي والزيارات المتكررة إلى المدينة من مطلع التسعينيات حتى اليوم والَّتي عرفت هجرة كبيرة وخاصَّة إلى أستراليا، لاحظت هوة كبيرة في مستوى حياة أهل المدينة ؛ فالفقير فقير حتى العدم والغني غني حتى الفحش وربما صحت الحكمة القائلة «ما اغتنى غنيّ إلّا بفقر فقير» ولا أدري إذا كان هذا القول ينطبق على أغنياء طرابلس حيث الفقراء «لا شيء» هم مجرّد أرقام فقط، هم أرقامٌ في سجلات النفوس ولوائح الشطب وسجلات الوفيات وإحصائيات البطالة وإحصائيات الهجرة أو المهاجرين قسرًا.

أخيرًا أفهم أن الدستور اللُّبنانيّ قد كفل الحرية الشخصيَّة للمواطن اللُّبنانيّ، أما أن تكون وزيرًا في حكومة لبنانية أعلنت الحداد الرسمي على شهداء قارب

الموت وتقوم ليلًا باحتساء الخمر في ملاهي بيروت فيما فرق الإنقاذ تبحث عن مفقودين في بحر طرابلس هم مواطنون لبنانيون من أبناء وطنك كفروا بالأرض وحكامها وكفروا بكذبكم وكذب أسلافكم، فإن ذلك يبدو مستفزًا ولا طاقة لك على فعل شيء كي تضيء ظلمة بحر الموت مع اعتراضي على الطريقة الَّتي تم التعامل بها مع معاليك من شباب يتحرك بعضهم على الروموت كونترول، اِقبل مني اعتذارًا شخصيًّا نيابة عن الإعلاميّة الَّتي أرشدت الجاني للوصول إليك، وهي نفسها الَّتي أرشدت السلطات الإمارتية لتعقب طبيب لبناني لا يزال قيد الاحتجاز هناك منذ أسابيع.

بين مقال من دون مضمون وقارئ مغفل

علق أحد الأصدقاء على مقالة الأغنياء والفقراء في طرابلس بعبارة «مقال من دون مضمون» واحترامًا لشخصه ولعمره عمدت إِلى مسح التعليق لأنني لا أرغب في خسارته لأنه لم يقرأ من المقال إلا عنوانه، وإذا كان صديقي قد أخطأ في فهم المقالة من دون معرفة مضمونها فلا حل عندي إلا بالاتكال على الله عساه أن يكون لي معينًا على بعض الجهال الَّذين نسوا من شَتم الصليب في طرابلس والَّذي لم أتطرق إِلى موضوعه لتجنب المزيد من التعليقات والتشنج وراحوا يرجمونني ولم يميزوا بين حياة وزير في السلطة وحياة مواطن عادي يعيش حياته بسلام.

وفيما رأى بعضهم أن المقال هو من الواقع ويضع الأمور في نصابها إلا أن بعض القراء لا يزالون يفهمون مضمون الحرية خطأ لأنها في بعض الأوطان لا تزال تمارس من دون قاعدة، وفي لبنان يبدو أن إعطاء حرية النقاش لجاهل مثل إعطاء بندقية لمجنون، منذ مدة تابعت برنامجًا يحمل اسم «C'est mon choix «هذا خِياري» البرنامج عبارة عن حوارات مع أشخاص قرروا أن يعيشوا بطريقة غريبة لا تؤذي أحدًا لكنها تناسبهم، أعجبتني الفكرة وكم نحتاج أن نعيش مثلها في لبنان ولنعتاد على احترام خِيارات بعضنا والتوقف عن الحكم على الآخرين والتدخل في حياتهم الخاصَّة.

وفيما الحريات تقوم على احترام خِيارات النَّاس الَّتي لا تنتقص من خِيارات مخالفيها، فإذا انتخبت مرشحًا لمواقفه وانتخب غيرك مرشحًا آخر بحكم النسب فهذه حرية وهذا طبيعيّ حيث إن أفكار النَّاس تختلف عن بعضها وليس الجميع على مستوى واحد من الوعي والثقافة، وفيما يخص إبداء الرأي بحادثة طرابلس البارحة فلا يجب أن نصم آذاننا عن مطالب أهلنا هناك وفي كل لبنان

وحقهم في حياة كريمة حتى لو كان أغنياء المدينة لا يبالون بأوضاع أهلها أو من الممكن أنهم يفعلون ما في استطاعتهم لكنه غير كافٍ.

في الحياة كل منا مسؤول عن أخيه الإنسان ومساندته وإلا نصبح مثل قايين الَّذي قتل أخاه هابيل والَّذي أجاب عند سؤاله عن أخيه «وهل أنا حارس لأخي» يقول خادم رعية سيدة الزلزلة الأب جورج معلوف في إحدى عظاته «نعم كل إنسان هو مسؤول عن أخيه ولا يمكنه التنصل من مسؤوليته وإذا كان أغنياء طرابلس متنصلين من دورهم تجاه أبناء مدينتهم فسوف تكون دينونتهم عظيمة».

بين رائحة الكلمة ورائحة الكرامة

بعد عملي لسنوات طويلة في قطاع البهارات والتوابل صرت أملك حاسة شم طغت على جميع الحواس الَّتي لا أزال أملكها، وصرت أشتمُ رائحة الكلمة قبل قراءتها، وربما رائحة الأحداث قبل حدوثها، وها أنا اليوم أشتم رائحة كريهة قبيل الانتخابات النيابية المزمع عقدها منتصف شهر أيار القادم وهي رائحة الصفقات وشراء الأصوات والرشوة واستقدام الأحزاب اللُّبنانيّة لناخبين من الاغتراب واسترجاع هؤلاء لثمن بطاقات سفرهم سوف يكون مرهونًا بالاقتراع للائحة الَّتي يبيعونها أصواتهم.

وإلى صاحب الإطلالات التلفزيونية اليومية والَّذي يعرف نفسه؟ أشتم في إطلالاتك رائحة الغرور والتعالي . أرجوك فالكلمة أمانة لذا أسألك أن تكون لخلطة أحرف كلماتك رائحة شهية مثل خلطة الكاري في طعام الأمهات على سفرة رمضان. وأرجوك أن تجفف دموعك فعربة المغادرة في انتظارك صبيحة يوم. وأسأل الله أن يفتح قلبك لسماع كلمة الحق، وأن يهب لك عيونًا مفتوحة حتى تستطيع رؤية أخطائك وأن يهب لك أنفًا لكي تشتم رائحة النتانة الَّتي أنت فيها.

وفي الأخير أسأل حكامنا أن يشتموا رائحة الرحيل القريب في أنوفهم الَّتي أنفت منها الأنوف؟ والاستعارة من «ابن الرومي» والاكتفاء بهذا القدر من الجلد والتنكيل بشعبهم، رغم أنني ألمس لديهم الكثير من الأحلام الَّتي لم يستطيعوا تحقيقها والثروات الَّتي لا يزالون يطمحون لجمعها وأتخيل جيِّدًا الشعور المرعب المخيف القاتل الَّذي يشعرون به، وكلهم يقولون لا نريد الرحيل دون أن تكون لنا الآخرة المصلحة والتعظيم والتمجيد من شعب مخدّر. لا نريد الرحيل باكرًا.

بين أندره عطا وجوزيف شعنين والمعشوقة زحلة

ما أجمل وأرقى وأعذب عشق هذين الرّجلين لمدينة زحلة .إنه عشق أصيل يقابله من أهل المدينة شكرٌ كبيرٌ لهما بحجم الكون. فكلما زار الأستاذ أندره أولاده في الولايات المتحدة الأميركية الشاسعة المِساحات كبرت زحلة في عينيه، والحال ذاتها بالنِّسبة إلى ساكن إسطنبول المؤقت المخرج جوزيف شعنين الَّذي يعيش جسدا على ضفاف مضيق البوسفور، ولكن قلبه لا يزال يرفرف فوق أحياء زحلة في أحلامه كما في يقظته، وفي كل جلسة مع زائريه الزحليين مؤامرة، والحديث زحلاوي بامتياز .

أبناء زحلة أوفياء لمدينتهم، وحين يبتعدون منها يعيشون غربة حقيقة قل نظيرها مقارنة مع أي مهاجرين آخرين من باقي المدن والقرى اللُّبنانيّة. كثيرون منهم يخططون للعودة إليها والتقاعد في تلالها وربوعها، وربما جمدت الأزمة الأخيرة مشروع عودتهم لمدَّة من الزمن. وفيما الزحليون يجوبون العالم من أميركا وكندا والبرازيل وغيرها من دول الانتشار، حيث تتركز الهجرة الزحلية وحيث نجد أبناء زحلة هناك يعيشون عشقًا من نوع آخر للمدينة ويظلون يشتمون رائحة مأكولاتها وطعم القربان والمازة الزحلية وحنان وذكريات شوارعها، ويظلون يقارنون بين أبنيتها الأثرية وبين باقي الأبنية الأثرية في العالم، وقد قابلت زحليين كثر في كل أنحاء العالم واكتشفت أن أعظم حنين إنسان لمدينته هو للزحالنة.

تاريخ أندره عطا حافل بالعطاءات ولم يبخل «أبو بيتر» كما تحب رفيقة عمره السيدة بريجيت مناداته يومًا عن العطاء المجاني، وهو الَّذي أسهم بشكل كبير في إنجاح أكبر النشاطات الفنية الَّتي جرت على مسارح المدارس والأندية ودعم في كل النشاطات الفنية لأبناء المدينة، وصولًا إلى آلاف الألحان الموسيقية والأغاني

التسويقية لمنتوجات زحلية ومنها غارديني‍ا، إستديوهات أندره عطا هي الوحيدة في مدينة زحلة وجوارها وربما في البقاع، والأحدث من حيث التقنيات المتطورة، ولا ننسى خبرة وبصمة الفنان أندره عطا، أمَّا أَنت يا صديقي جوزيف شعنين لست أدري بماذا أصفك؟ عاشق زحلة أنت وسفيرها أينما حللت، ولا أذكر أن زحليًا زار إسطنبول حيث مقر عملك المؤقت في محطة تلفزيون ليبية إلا وزار دارك أو التقى بك في فنادق المدينة وكأنك أنت سفير زحلة هناك أو القائم بأعمال هذه المدينة، مع فائق تقديري للبعثة الدبلوماسية اللُّبنانيّة هناك، وتاريخ جوزيف حافل منذ بداية شبابه وصولًا إلى تأسيسه تلفزيون زحلة ونقل زحلة بالصوت والصورة إلى العالم .

أخيرًا أرى أنَّه بات من الواجب ومن الضرورة الإضاءة على هؤلاء المبدعين الزحليين وتكريمهم من قبل السلطة المحلية والمجلس البلدي ومجلس زحلة الثقافي، كيف لا وأمثال هؤلاء كثر، وقد كرموا من سبقهم من مبدعين زحليين وعملوا بصمت وبالسخرة لخدمة زحلة فهل حان موعد تكريمهم؟ وهل من آذان مصغية؟

بين الجوع العاطفيّ الانفعالي والجوع الحقيقي

يعد الجوع العاطفيّ أو التنفيس الانفعالي في الطعام من أخطر أنواع التنفيس النَّفسي، وهو رغبة تنتاب الكثيرين وخاصَّة النِّساء اللواتي يتميزن برقة المشاعر والحساسية المفرطة تجاه المواقف والأشخاص، وغالبًا ما يتم كبت المشاعر إلى التنفيس عنها بطرق ذات أضرار بالغة على الصِحَّة العامة مثل الانعزال أو تناول الطعام بشراهة.

وفيما يعيش المواطن اللُّبنانيّ يوميًّا كل مشاعر الإحباط وأحاسيس الغضب بسبب متابعته للأخبار «الزفت» أو بسبب ما وصل إليه وضعه بسبب أخطاء حكامه من تردي في مستوى معيشتة مما ساهم في انخفاض طاقته الإيجابيّة وزيادة طاقته السَّلبيّة الَّتي أثرت ربما سلبيًا على سلوكه وتحول إلى شخص سريع الانفعال، ورغم أن الله قد أوجد فينا الطاقة الإيجابيّة لكن اللُّبنانيّ يبدو أنه اعتاد على الطاقة السَّلبيّة الناتجة عن التلوث السِّياسيّ المحيط به، والتعامل مع طرق عيشه ونوع طعامه والأحداث والمواقف الَّتي تثير غضبه وحزنه مثل التوتر والقلق، والكثير من الأمور الَّتي تزيد طاقته السَّلبيّة وتخفض طاقته الإيجابيّة وأصبح كثير التردد حيث جلب الطاقة السَّلبيّة لذاته، ومن ثمَّ أصبح جسده عرضة للأمراض بسبب إفراطه في الأكل بكميات كبيرة «فشة خلق».

إن الأكل الانفعالي «الأكل اللاواعي» يدمر الجسم حتمًا وهو السبب وراء اكتنازه للشحوم كلها، وفي علم النَّفس كما قرأت فإن هذه الطريقة من الأكل تدل على خواء روحي وعاطفي في القلب ربما ناتج عن الشعور بالوحدة أو الخوف أو عقدة الذنب والأرجح أنك تعرضت لظلم مثل غالبية اللُّبنانيّين من حكام لا يعرفون الله أو أنك تتعرض للذل في وطنك أمام أبواب المصارف والأفران ومحطات الوقود أو ربما أنك قلق أو متوجس من أمر ما أو أمر مستقبلي، كل هذه الأمور تدفع بعض اللُّبنانيّين إلى الأكل كتفريغ للشحنة العاطفيّة الَّتي بداخلهم وهذه من سلبيات التفاؤل الانفعالي للطعام، وهو أحد أكبر أسباب عدم السيطرة على النَّفس أمام إغراء الطعام .

بين الثقة في النَّفس وتقدير الذات البشرية

منذ سنوات طويلة والمواطن اللُّبنانيّ يمر في ظروف صعبة وقاسية جِدًّا تؤثر في نمط حياته وتنعكس على نظرته الشخصيَّة لذاته ومدى ثقته في نفسه وإدراكه لقيمته الذاتية، ولكن لماذا نراه يشكك في قدراته وفي كل عمل يقوم به؟ ولماذا يتفاصح في إطلاق أحكام على ذاته؟ مثل أنا غير واثق من نفسي، أنا لدي مشكلة في تقديري لذاتي؟ مع أن هذا الأمر قد يكون لا أساس له من الصِحَّة لأن إيمانه المطلق بقيمته تجعله قادرًا على تجاوز مشاكله وعدم الوقوع في الخطأ وربط هُوِيَّته وكينونته بإنجازاته لأنه في هذه الحالة يعرض نفسه للضياع وخسارة إنجازاته.

وبحسب اعتقاد العلماء فإن بناء الثقة في النَّفس مسألة ليست شائكة ويتطلب تشجيعها كلمات إيجابيّة رغم أن الشعور بالخوف يلازم أي قرار لدخول تجارِب جديدة وهذا شعور طبيعيّ إذا تمت مواجهته بشجاعة وبحسب خبرتي هو خوف مطلوب لأنه يحميك من اتخاذ إجراء أو خطوة لا تكون مستعدًّا لها، أما فيما يتعلق بتقدير الذات فقد يكون لديك مستوى عالٍ من الثقة بالنَّفس ولكن تقديرك لذاتك يبقى منخفضًا . مثال ذلك المشاهير الَّذين تجدهم ناجحين جدًّا، ولديهم ثقة كبيرة في التمثيل أو الغناء أمام آلاف الجماهير ومع ذلك نرى العديد منهم يموتون انتحارًا، ومن هنا يجب الفصل بين كون الشخص فاشلًا وبين خسارته شوطًا واحدًا من مباراته في الحياة .

والثقة في النَّفس كما تقدير الذات البشرية لم تكن يومًا مواهب موروثة أو قدرًا، وإن ولدت هذه المواهب مع الإنسان فإن اكتسابها يبقى مرهونًا بما يمر به من تجارِب وما يتخذه من قرارات، ويمكن بالتأكيد تنميتها بالتفكير الإيجابيّ، كذلك فإن تقدير الذات هو من السلوكيات المستمرة ونمط خاص في التفكير والتحكم في الشعور والَّتي تمكن الإنسان من تطوير مهاراته والإيمان بقدراته الشخصيَّة.

بين الخوف من الغربة والغربة في الوطن.

في أحد الأيّام قال لي صديقي ممازحًا: «لدي رغبة في تذوق مرارة الغربة خارج البلاد فقد أصابني السكري من حلاوة الوطن»، ومن دون تردد استعرت من جبران خليل جبران مقولته الشهيرة: «شَيْئان يغيران نظرتك للحياة المرض والغربة» ورحت أخبره عن حياة اللُّبنانيّين الَّذين التقيتهم في الغربة والتكريم الَّذي حصلوا عليه هناك فيما نحن في لبنان ينكل بنا، وهكذا وبعد ثلاث سنوات من حرب تجويع اللُّبنانيّين في وطنهم اقتنع من حولي أنه انتهى الزمان الَّذي كان فيه الأهل يخافون على أولادهم في الغربة وأصبح الأبناء في غربتهم يخافون على أهلهم في الوطن.

في روايته «الجهل» كتب كونديرا أن «عوليس التائه» فضّل العودة إلى المنزل رغم حلاوة الحياة الَّتي كان يعيشها في الغربة ويضيف: «العودة هي المصالحة مع الحياة والنهاية الَّتي يجب أن تكون في الوطن عكس المغامرة الَّتي لا تطمح لأي نهاية». وبدوره الإمام علي بن أبي طالب قال: «لا تفرح بسقوط غيرك فإنك لا تدري ما تضمر لك الأيَّام»؛ وهذا الكلام برسم بعض اللُّبنانيّين الَّذين يعيشون في الغربة وغير مهتمين بمساعدة أهلهم في لبنان والَّذين يرون الغنى في الغربة وطنًا والفقر في الوطن غربة، وكثيرون منهم ربما لا يفهمون أن اللُّبنانيّين المقيمين ومن خوفهم على خسارة الوطن فإنهم يعيشون الذل في لبنان ويرفضون حياة الغربة ويرددون في صلاتهم الصباحية والمسائية ليسمع «راكبو الكراسي» أن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ولك يوم يا ظالم .

شخصيًّا لقد داهمتني الغُربة في حضن الوطن بعد وفاة والدي مطلع السَّبعينيات، وحينها لمسني جمرُ الصقيع في دهشة وكأنه عالم الغربة ولكن أحساسي

بـدفء أمـي في طفولتـي جعلنـي أشـعر بـأن الـدفء الَّـذي كان بـين أصابـع يديهـا هـو دفء احتضـان الوطـن لي ولم أهاجـر. وفيـما علمونـا ونحـن صغـارٌ «يلعـن أبـو الغربـة « أقـول لهـم ونحـن كبـارٌ: «يلعـن أبـو الأوطـان» الَّتـي لا تحتضـن أبناءهـا بسـبب سـوء مـا أنجبـت مـن حـكام.

(الصورة من مشاريع غارديـنيا الزِّراعيَّة في أرمينيا)

بين اللُّبنانيّ المظلوم والرسالة الإلهية

قد تكون قلوب بعض اللُّبنانيّين قد أصبحت بعيدة من الله وبات الاهتمام اليومي للمواطن ينحصر في الاعتراض والتذمر من جلد الحكام له وذلك عبر شاشات التلفزة ومواقع التواصل الاجتماعي فقط من غير أخذ استراحة وتساؤل عن الرسالة الإلهية الَّتي تحملها له هذه التجارِب اليومية . وبات من الضروري أن نسعَى لمعرفة ملابسات ما وصل إليه شعب لبنان من فقر ومستقبل مجهول على يد هؤلاء الجلادين الَّذين لا يعرفون الله، كما أنه بات واجبًا المطالبة بمعرفة حقيقة ما يجري من أحداث يومية بدءًا من حرائق الجبال في العام ٢٠١٩ إِلى حرائق قلوب اللُّبنانيّين على أموالهم وجنى العمر، والسؤال: هل لنا أن نستوعب الرسالة الإلهية وأن نركع ونصلي ونتضرع إِلى الله أن يُحول ما يحدث لنا إِلى معاني تقود حياتنا نحوه بقوّة أكبر؟

عندما قتل هيرودس يعقوب بالسيف، ووضع بطرس في السجن استعدادًا لملاقاة المصير نفسه، اجتمع أبناء الكنيسة وصَلُّوا (أع١٢: ١-٥). وبالصلاة صارت قلوبهم فوق، حيث أَمكنها أن تستوعب ما حدث، وتلقت قوّة ودفعًا أكبر لإعلان ملكوت الله مهما كلّفها الأمر، لذا فإن المواطن اللُّبنانيّ ومع ما تبقى لديه من إيمان بأن الله لن يتخلى عنه يجب عليه أن يستقبل ما يحل عليه من مصائب يومية بثبات وقناعة فهي سوف تزيده قوة، وما هي إلا تجرِبة وامتحان من الله، على أن ارتفاع قلبه مع ارتفاع تلك الأرواح الَّتي يموت أصحابها على أرض الوطن قهرًا وذلًّا كل يوم سوف تجعله يرى في كل ذلك الرواية الخلاصيّة الَّتي تحياها الكنيسة.

نعم يبدو أن قدر اللُّبنانيّ هو المزيد من الآلام لكن يجب عليه أن يردَّد في قلبه دومًا «المسيح قام»، فلا يكون للموت سلطانٌ عليه ليرهبه لأن قلبه دائمًا مرتفعًا إِلى العلى، والقيامة آتية لا محالة.

بين الخوف من الموت والموت من الخوف «مش ذات الشي»

يقول الروائي والكاتب المصري نجيب محفوظ أن الخوف لا يمنع من الموت ولكنه يمنع من الحياة، ما يعني أن الخوف من الموت هو أسوأ من الموت نفسه، لذا يقر العديد من علماء النَّفس أن من يخاف من الموت يموت من الخوف، بدوره القديس كيرلس الأورشليمي حسم الموضوع حين قال: «بقيامة المسيح خاف الموت، ومات الخوف، فأصبحنا لا نخاف من الموت ولا نموت من الخوف، والحر بين الأموات حرّر الأموات «.

في هذه الأيَّام يعيش المواطن اللُّبنانيّ شتى أنواع الخوف من الولادة حتى الموت، وصولًا إلى أن حكامنا جعلوا شعبهم يعيش الممات في الحياة، وفي تفصيل لأنواع الخوف ابدأُوا العدّ معي: الخوف من العقاب، الخوف من الجوع، الخوف من المرض، الخوف من الفقر، الخوف من الموت، الخوف من الهجرة، الخوف من الخيانة، الخوف من البقاء في الوطن، الخوف من فقدان الغذاء، الخوف من فقدان الاستشفاء، الخوف من الفلتان الأمني، الخوف من الفشل «وشماتة» الأقارب . واللائحة لا تنتهي، وهكذا أرى أن الخوف هو مؤثر ومهيمن على حياة المواطن اللُّبنانيّ الَّذي تحول من ميسور إلى فقير الحال، يا لَلأَسَف! بسبب تآمر حكام المال وحزب المصارف اللُّبنانيّة عليه الَّذين نهبوا جنى عمره وسرقوا منه فرح المستقبل.

لكن النوع الأخير من الخوف وشماتة النَّاس قد يكون دافعًا كبيرًا قد يتحكم في تصرفاتنا ومشاعرنا ويجعلنا ننجح، وشخصيًّا لدي تجرِبة في ذلك في بعض مشاريعي . وأخيرًا لا بد من المرور على بعض أفكار أبقراط حول الموت حين يقول: «إن هدف الحياة هو تحقيق أكبر قدر من المتعة سواء أكانت معنوية أم حسية، وتجنب كل أشكال الألم، فالخير المطلق هو المتعة والشر المطلق هو الألم، كما أنه لا يجب الخوف من الموت لأنه لا حياة بعده « ولا أدري إذا كان كلام الفيلسوف اليوناني يخالف آراء الكنيسة ومعتقداتها لذا أنا مع فكرة أن نعيش اللحظة الحاضرة بحلوها ومرها؛ لأن الموت حق وقد يكون حاجة أحيانًا وخلاصًا لآلامنا ولأوجاع شعبنا ووضع حد للظلم.

بين ضجيج الانتخابات والبطون الخاوية

على مسافة أيام قليلة من حصولها المتوقع يوم ١٥ أيار الحالي شرذمت الانتخابات النيابية المجتمع اللُّبنانيّ المشرذم أصلًا وقسمت المقسم ورفعت منسوب الحقد والكراهية بين الأحزاب والطوائف اللُّبنانيّة وصولًا إلى انقسام العائلات على بعضها بعضًا، ورغم أن الجميع يعرف مسبقًا أن هذه الانتخابات محسومة النتائج سلفًا مع تغيير بسيط في بعض الوجوه والأسماء والأرجح أن يبقى الحال على حاله وهنا الربح لدى بعضهم إذ يرى بعض رؤساء الأحزاب أن الحفاظ على مكاسبهم السِّياسيّة هو ربح أكيد.

ووفق رأيي الَّذي لن يعجب بعضهم طبعًا أنه إذا لم تنعكس نتائج هذه الانتخابات إيجابًا على المشهد اللُّبنانيّ وعلى حياة النَّاس في إنجاب حكومة فاعلة قادرة على وقف الانهيار والنزيف المالي والاقتصادي في البلاد فلا معنى لها، والمطلوب التوجه لبناء الثقة مع الَّذين تم تجويعهم وإفقارهم عمدًا فهناك بطون خاوية وقلوب موجوعة هي الَّتي يجب أن تشعر بذلك إيجابيّا، فالواقع الحالي والحالة الراهنة بائسة للغاية، البداية يجب أن تبدأ من تثبيت سعر صرف الدولار ووقف الانهيار في سعر العملة الوطنية، وأقترح تخصيص لكل نائب فائز في الانتخابات ملفًّا من ملفات الخدمات الحكومية كل حسب اختصاصه وذلك لتحديد مزاريب الهدر وضبطها وتحسين أداء الإدارة وفصل السياسة عن الاقتصاد وصولًا إلى الملف الشائك والأكثر جدلًا وهو ملف الدفاع الَّذي يتم التفاهم عليه إقليميًّا على الأرجح .

وفيما نرى بطون حكام لبنان ممتلئة وعقول بعضهم خاوية نرى في المشهد الآخر شريحة كبيرة من الشَّعب اللُّبنانيّ بطونها خاوية وعقول شبابها راجحة ولكن لا أحد يريد أن يستمع إليهم. العالم جاعوا، يا ساسة لبنان، لذا يجب الانتباه ووقف مهزلة اللعب في لقمة عيش اللُّبنانيّين، وليس صحيحًا أن كل من يتظاهر ويرفض حياة الذل أو يرفض الهجرة هو من قطاع الطرق أو من المدسوسين، كفاكم تخوينًا للنَّاس، نعم هناك أناس جاعوا وأصوات صرخاتهم محقة ويجب الاستماع إليهم، كما يجب محاسبة حكام المال وحزب المصارف اللُّبنانيّة يا قضاة لبنان ولو اضطر الأمر لإعلان العصيان المدني قبل فوات الأوان، بطون الفقراء خاوية فأين البطاقة التموينية أو التموينية، وعلى أي كوكب تعيشون؟ وهل أنتم على علم بذلك، يا سكان القصور الرئاسية والحكومية؟

بين التوريث السِّياسيّ والتوريط السِّياسيّ

يتحدث شعب لبنان العظيم عن الظلم وعن المظلومية الَّتي تلحق به مقارنة مع باقي شعوب العالم ويصرف أوقاتًا كثيرة في الحديث عن واقعه المزري وهو محق في ذلك لأن الوضع بات لا يطاق، ولكن هل سأل الشَّعب نفسه يومًا: لماذا واقعه هكذا؟ ولماذا لم يحدث أي تغيير في حياته؟ ولماذا تتحول أحواله من سيِّئ إِلى أسوأ؟ والجواب طبعًا هو التوريث السِّياسيّ وأعرف مسبقًا أن مقالة اليوم سوف تلاقي اعتراضًا من بعض أصحاب البيوت السِّياسيّة اللُّبنانيّة المنتهية الصلاحية مثل الكثير من المقالات الَّتي تناولت فيه بعض الأحزاب السِّياسيّة المنتهية الصلاحية يا لَلأَسَف! بعد أمجاد صنعها الأجداد وبدّدها الأحفاد بسبب عناد بعضهم وتعرفونهم جيِّدًا دون حاجة للتسمية.

والنائب في القانون هو مواطن ينتخبه الشَّعب ممثلًا عنه في دائرته الانتخابية ليصبح عضوًا في البرلمان ويمارس سلطة التشريع والرقابة، وفي لبنان مثل الكثير من الدول يتمتع النائب بحصانة نيابية تحميه من المساءلة عن أعماله المشروعة وغير المشروعة طَوال الدورة البرلمانية، وينتخب اللُّبنانيّون النائب على أساس أنه من الشَّعب وإِلى الشَّعب وليس على أساس أن الشَّعب هو ملك النائب كما يظن بعض رؤساء الأحزاب وزعماء الإقطاع السِّياسيّ وورثة البيوت السِّياسيّة الَّذين لم يستمعوا يومًا لنصيحة من أحد على أساس أنهم الأفهم، وهذا غير صحيح. في المقابل استفزتني فكرة حجب بعض رؤساء اللوائح الانتخابية عن المرشحين على لائحته التعريف عن أنفسهم أمام الحضور في احتفال إعلان اللائحة، علمًا أن كثيرين منهم يملكون مؤهلات علمية ممتازة.

في الأخير لا بد من الإقرار طوعًا أننا في جمهورية الموز اللُّبنانيّة نعيش نظامًا ديكتاتوريًّا وليس ديموقراطيًّا، نعيش ديكتاتورية التوريث السِّياسيّ الطائفي حيث يعمل كل زعيم سياسي على توريث زعامته لأبنائه وأحفاده على حياته لضمانة حكم العائلة ضاربًا بعُرض الحائط استغلال موارد الدَّولة الماليَّة والسِّياسيّة والأمنية لمصلحته، لذلك اسمحوا لي استبدال كلمة «توريث» بكلمة أصح وهي «توريط» لأن «الوارث أسوأ من المورّث»، وعليه، فإِنَّ الوضع السِّياسيّ والاقتصادي في لبنان يتجه من سيئ إِلى أسوأ، وهذا من أهم أسباب الانهيار الاقتصادي وسبب عيش المواطن بالذل والظلم وتدهور

مستوى معيشة شعب لبنان، رحم الله بعض الزعماء وأصحاب البيوت السِّياسيّة الَّذين باعوا بعضًا من أملاكهم للاستمرار في خدمة النَّاس وهم الآن من فوق ينظرون إلينا بشفقة، رحم الله الآدميّ إيلي سكاف.

بين جنازة حامية والميت كلب وذبابة الشاعر فرجيل

بعد الاعتذار من الكلاب على هيئة بشر الَّذين عاشوا معنا لسنوات طويلة ودمروا اقتصادنا، ونهبوا كل مقدرات البلاد على مدى ثلاثين عامًا جنبًا إلى جنب مع الكلاب الأوفياء من الحيوانات الأليفة، يبدو أن حالنا في كل محطات الأزمة الماليَّة والاقتصاديَّة والسِّياسيّة الَّتي نعيش أوزارها ينطبق عليها القول: «النَّاس بالنَّاس والجنازة حامية والميت كلب». ومن المؤسف جِدًّا أن شعبًا مثل شعب لبنان العظيم كما كانوا يصفونه بات يتلهى بالقشور ويتجاهل اللب في مشكلته وهي أن النظام السِّياسيّ اللُّبنانيّ هو أساس البلاء، وهو مثل شجرة ثمارها ضارة، لذا وجب اقتلاعها من جذورها ودفنها ودفن معها النظام السِّياسيّ اللُّبنانيّ على طريقة الشاعر الروماني فرجيل في دفن ذبابته هذا إذا أردنا أن نبني وطنًا نعيش تحت سمائه وندفن في أرضه.

وقد حدث في التاريخ أن أقيمت جنازات للخيول والكلاب مسايرة لأهمِّيَّة أصحابها وكثيرًا ما أوصى أناس بثرواتهم لكلابهم، إما لأنهم بلا ورثة وإما لأن ورثتهم لا يستحقون هذه الأموال. وقد حدث في التاريخ أن امتدت جنازة مسافة طويلة وكان النَّاس فيها في غاية الحزن والأسى يجهشون بالبكاء ليس حزنًا على الميت ولكن مجاملة للشاعر فرجيل الَّذي أقام جنازة لذبابة كانت حبّه الوحيد وحشرته المفضلة، ويقال: إنه تعهدها بالعناية والرعاية حتى كبرت وتدللت وماتت، أو ربما هو قتلها لا نعرف، وأقام لها ضريحًا فخمًا وسط حديقة وزهور في أرضه الشاسعة .

أما الحزن فكان واضحًا جِدًّا على وجه الشاعر فرجيل الَّذي نظم «للمرحومة» أبياتًا من الشعر خلال العزاء، وكذلك ساندته عدد من الشعراء والمطربين بأغنيات وكلها تحدثت عن مآثر هذه الذبابة الَّتي يكفيها شرفًا أن النَّاس أحبوها واجتمعوا حولها مع أهل الفقيدة «الشاعر فرجيل» بينهم وزراء وأعضاء مجلس الشيوخ وحكام الولاية؛ أما سبب هذه الجنازة فلا يخطر على بالكم، ففي ذلك الوقت كانت الحكومة تصادر أملاك الشَّعب من أجل المجهود الحربي وبسرعة اخترع فرجيل حكاية موت الذبابة ومقبرتها لأن القانون يمنع الحكومة من مصادرة أي أملاك تحتوي على مقابر ولم ينص القانون إن كانت المقبرة لإنسان أو حيوان أو حشرة. واللبيب من دفن الذبابة يفهم.

بين التضحية بالقيم والتضحية لأجل القيم وانعدام المسؤوليَّة

تعلمت في صغري أن التضحية لأجل القيم والمبادئ والأوطان هي قدر الأحرار وهنيئًا لكل وطن ولكل شعب بأحراره، ولكن عندما كبرت شاهدت الفساد والرُّخص يستشري في بعض المجتمعات اللُّبنانيّة الَّتي لا يشبه بعضها بعضًا، والسبب بالطبع يعود إلى ممارسات بعض المواطنين تجاه المال العام وممتلكات الدَّولة على أنها أموال سائبةٌ ووصف نهبها حلالًا، على الرغم من أن عَلاقة اللُّبنانيّين مع بعضهم داخل هذه الأقاليم اللُّبنانيّة الَّتي لا تتشابه من حيث الانتماء للوطن أو الولاء للخارج ليست عاطلة تجاريًّا وكلّهم رابح، لكن عندما يكون صغار القوم هم الأكثر تأثيرًا في النَّاس، وحين يوكل لجاهل الأمر والنهي في شؤونهم فهنا يكون الاستهداف فوريًّا للمبادئ والقيم.

وعلى ما يبدو في لبنان صار كل طرف يبحث عن حقوقه عند الطرف الآخر، وصار الجميع سريعي التأثر بكل المغريات على حساب القيم، وصار كل شيء معروضًا للبيع. نعم كل شيء للبيع حيث يمكنك شراء ضمير أو قيم أو أخلاق ويا لَلأَسَف! حتى الكرامات والأعراض تعرض لأجل مكسب مادي رخيص، وهكذا صار بعضهم بلا كرامة ودون مبادئ، وهذه ليست عادات شعب لبنان الأصلي الَّذي عرفناه، بل هذا نتيجة التزاوج الحرام بين شعوب لا تشبه بعضها هي خليط من شعوب المنطقة العربية الَّتي اجتمعت في لبنان وصارت تتقن تحدث اللغة اللُّبنانيّة باحتراف وهم بالأصل ليسوا لبنانيين ولا يعرفون أنه صار قدرنا معًا واحدًا وحقوقنا واحدة وكياننا واحدًا.

وهكذا فإن التضحية الَّتي عُدَّت لمدَّة طويلة أنها من أروع القيم البشرية الَّتي تدل على سمو النَّفس الإنسانيّة ونبلها في كثير من جوانبها، فالأب والأم يضحيان لأجل الأسرة والصديق لأجل صديقه والجندي لأجل وطنه... إلخ، ومن فقد هذا الجانب استولت عليه الأنانية وأصبح يرى الحياة بنظرة مادية ويعيش وحيدًا يعاني الانعزال وانعدام المسؤوليَّة تجاه المجتمع، وربما أصبح عديم التأقلم في الحياة مع الواقع وكأنه يعيش في العالم الافتراضي.

بين الخجل والحياء وملوك إضاعة الفرص

أذكر عندما كنت طفلًا أنني كنت خجولًا جِدًّا لا بل يمكنكم القول منكمشًا على ذاتي، وقد تسبب هذا الخجل لي في خسارة الكثير من حقوقي وإضاعة الكثير من الفرص المتاحة أمامي وقتها لدرجة أنني كنت أمتنع عن قبول مساعدة من أحد بحجج متنوعة، وفي الحقيقة كان ذلك خجلًا مبالغًا به. وفي قراءة هادئة اليوم أرى أنَّه إذا زاد الخجل عن حده أصبح مقبرة الفرص وإضاعة الحقوق.

والفرق كبيرٌ بين الخجل والحياء الَّذي يمكن وصفه بمنزلة اتزان في الشخصيَّة والأخلاق الحسنة والأرجح أنه يولد مع الإنسان بالفطرة وقد يختلف من شخص لآخر، أما الاستحياء هو امتناع الشخص عن فعل شيء من تلقاء نفسه إما خوفًا أو ترددًا، ويروي البروفسور في علم النَّفس Crozier أن الخجل الاجتماعي موجود في اللغة العربية بوجهين: الخجل والحياء، وأن الخجل مذموم، والحياء محمود وهو امتناعك عن فعل القبيح وهو ما ليس موجودًا باللغة الإنجليزية.

وفيما يعيش اللُّبنانيّون جنبًا إلى جنب تحت سقف وطن واحد مع ملوك إضاعة الفرص في العالم أرى مثل كثيرين أن حكام لبنان باتوا قليلي الحياء وبارعين في إضاعة الفرص ويستحقون دخول موسوعة «غينس» للأرقام القياسية، لذا نصيحتي لكم يا حكام العار كفاكم إضاعة الفرص لأن لبنان لا يحكم بالقوة بل بالحكمة والشورى، كما أنه لا يمكن لما يسمى الدَّولة اللُّبنانيّة أن تطلب من مواطنيها التضحية قبل أن تستعيد الثقة الَّتي انعدمت بينها وبين مواطنيها.

أخيرًا، آنَ الأوان لتتنحّى هذه السلطة بكاملها خجلًا من التاريخ واحترامًا لأوجاع النَّاس، وأن كل وكالة تعطى للنواب في الانتخابات القادمة هي لوقف الهدر في المرافق العامة والوزارات وضبط المعابر الحدودية ولتيسير أمور المواطنين وعودة الثقة بالوطن وتحسين معيشة المواطنين وانتشالهم من جهنم اللُّبنانيّة.

بين إطاعة الحيوانات للقديسين وتمجيد الله.

ورد في الكتاب المقدس ذكر الضأن أو الخروف أربعمِئة مرة، وذكرت البقرة أربعمئة وخمسين مرة في العهدين القديم والجديد، وهو ما يفوق مرات كثيرة ذكر أي حيوان آخر سواء كان بريًّا أو أليفًا، كما ورد في سيرة القديسين انتصارات على الحيوانات مثالًا القديس جاورجيوس الَّذي علم يومًا أنّ تنّينًا هائلًا يخرج كلّ يوم وينقضّ على النَّاس والبهائم فحملته شجاعته على التصدي له، كما يذكر تاريخ الكنيسة حيوانات عاشت مع القديسيين ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعضهم والاجتهاد محبب من الإخوة الكهنة في هذا الموضوع، مرقس الرسول ارتبطت أيقونته بأسدٍ وبقوة الصلاة حصل معه معجزة أنقذ فيها والده منه، والقديس بطرس الرسول ارتبطت قصة حياته بالديك لأن الرب يسوع قال له قبل أن يصيح الديك مرتين تكون قد أنكرتني ثلاث مرات.

أما النبي نوح فقد ارتبطت قصته بحمامة حيث أطلقها من سفينته ليرى هل مياه الطوفان قد انحسرت أم لا؟ فرجعت إليه الحمامة بغصن زيتون فاطمأن، كذلك القديس يونان النبي الَّذي ابتلعه حوت حين ألقي في البحر، ثم أعاده الحوت خارجًا ولم يؤذه، والقديس روكز وكلبه، كما أن القديس أندرونيقوس ارتبطت قصة استشهاده بالأسد الَّذي شمه ورفض أن يفترسه عرفانًا بجميله له، أما القديس أغناطيوس الأنطاكيّ فإنه استشهد بعد رميه إلى الأسود المفترسة، وكان للقديس دون بوسكو كلب كذلك القديس فيليب نيري كان لديه كلب وقطة في شيخوخته، بدوره القديس فرنسيس من باولا كان عنده سمكة وقد تمّ طهوها في أحد الآيام دون علمه، لذا أعادها القديس إلى الحياة بقوة الله.

القديسة بريجيتا روّضت حيوانات بريّة ويروى أن خنزيرًا بريًّا دخل الكنيسة بعد مطاردته من الصيادين، فأرادوا دخولها للإمساك به وقتله، كون أن قانون الاحتماء بالكنيسة لا ينطبق على الحيوانات لكن بريجيتا قالت: إن القاعدة تنطبق على جميع مخلوقات الله لذا انكفأ الصيادون، ثم أعطت الخنزير ماءً وعاش في مزرعتها، بدوره القديس أنطونيوس البدواني وعظ الأسماك وأطاعته، كذلك القديس فرنسيس الأسيزي تفاوض مع الذئب ووعظ الطيور طالبًا منها أن تمجّد الله، كما كان للقديس جيروم أسد

بين إطاعة الحيوانات للقديسين وتمجيد الله.

وللقديس البابا سيلفتر ثور، وللقديس جايلز غزال، وللقديسة جرترود قطة، كذلك كان للقديس كولومبا حصان، أما القديس مارتن دي بوريس فكان يعيش معه كلب، وقطة، وحمامة، وفأر؛ أما القديسة تريزيا الطفل يسوع كان لديها كلب يدعى توم وعندما توفي أهلها جرى نقل الأثاث إلى دير الكرمل حيث كانت تعيش مع الراهبات، لحق الكلب بهن حتى وصل إلى الدير وعلى الرغم من أن الراهبات يسترن وجوههن بالوشاح عند دخول الغرباء إلى الدير إلا أن توم عرف تريزيا وقفز مختبئًا تحت وشاحها.

بين القديسين والحيوانات والسماء ٢/٢

هل هناك مكان للحيوانات الأليفة في السماء؟ وهل ستذهب إلى السماء؟ وللإجابة عن هذا السؤال يجب أن نفهم أن الحيوانات وُضعت تحت سيطرة الإنسان، ولم يكن لديها خِيار التوبة عن الخطيئة والإخلاص، كما يفهم البشر الخلاص، كما أن مفهوم السماء في المسيحية يرتبط ارتباطا وثيقًا بالخلاص والفداء والقيامة.

وهكذا نجد الكتاب المقدس واضحًا بأن الفداء ضروري للبشر لأن لديهم إرادة حرّة وقدرة على فعل الخطيئة أو عدمها، والخلاص اختياري لمجرد قبول يسوع أو رفضه، ومع ذلك لم تسقط الحيوانات مطلقًا، ثُمَّ إن الفداء ضروري لها ولا يمكن للحيوانات الاختيار بين الخير والشر (الخطيئة أو عدم الخطيئة) وعندما تتصرف بشكل سيِّئ يكون ذلك بسبب التعارض بين طبيعتها الَّتي وهبها الله ومتطلباتنا البشرية.

في رسالة بولس الرسول إلى رومية ٨: ١٩ -٢١ يقول: «لأن انتظار الخليقة يتوقع إستعلان أبناء الله إذ أخضعت الخليقة للبطل ¬ليس طوعًا، بل من أجل الَّذي أخضعها على الرجاء لأن الخليقة نفسها ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله؛ ولأن الحيوانات تتصرف بشكل غريزي ولا يمكن لومها إذا عضّت أو خدشت أو حتى قتلت بسبب غريزتها للبقاء على قيد الحياة وكأصحاب حيوانات أليفة، يجب أن نكون مسؤولين عن تربيتها ورعايتها من خلال توفير احتياجاتها ومنحها الحب والرعاية حتى لا تتعرّض للإيذاء أو الإهمال، وقد ندان بكيفية معاملتنا لها وليس العكس. لذا السؤال الأهم هو ليس إذا ما كان هناك مكان للحيوانات في السماء أم لا؟ بل هل سنذهب نحن إلى السماء أم لا؟ وقد لا نجد جوابًا عن السؤال حول نفس وروح الحيوانات.

وهنا أستعرض بعض آيات الكتاب المقدّس عسى أن يجد القارئ الإجابة فيها: «عدلك مثل جبال الله وأحكامك لجة عظيمة، النَّاس والبهائم تخلص يا رب». (مزمور ٣٦: ٦) «ولكل حيوان الأرض، وكل طير السماء، وكل دبابة على الأرض، فيها نفس حية، أعطيت كل عشب أخضر طعامًا». وكان كذلك. (تكوين ١: ٣٠) «فاسأل البهائم فتعلمك وطيور السماء فتخبرك، أو كلم الأرض فتعلمك ويحدثك سمك البحر، من لا يعلم من كل هؤلاء أن يد الرب صنعت هذا؟» (أيوب ١٢: ١٠-٧) «وكل خليقة مما في

السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر وكل ما فيها، سمعتها قائلة: للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إِلى أبد الآبدين». (رؤيا ٥:١٣)
«واقطع لهم عهدًا في ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء ودبابات الأرض، اكسر القوس والسيف والحرب من الأرض واجعلهم يضطجعون آمنين. (هوشع ٢:١٨)

بين أشخاص يفهمون ويحبون، يكرهون ويحقدون هذا أنا

مع مرور الأيَّام اكتشفت في الحياة أن كثرة العَلاقات الاجتماعيَّة تضر ولا تنفع لأنها تبعدك عن الأشخاص الَّذين تحبهم، لذا عليك أن تختار منهم من هو الأقرب إلى قلبك وعقلك في آن واحد ومن يفهمك ويحبك وليس أصحاب المصالح العابرة، على أن وجود أشخاص يفهمونك ويحبونك كما أنت من دون تغيير وتلميع وتحفظ هو بحد ذاته نعمة من الله.

يحصل أحيانًا أن أحد المقربين من أصدقائي يتصل بي قائلًا: احذف من مقالتك اليوم العبارة الآتية، ولا تكن شفافًا ولا تجعل النَّاس يفهمونك خطأً أو حتى لا تكتب كل الحقيقة. وجوابي لهم؟ أنا لست من كوكب المريخ أو المشتري، وأن كل ما يمر في بالي من آراء ومواقف أعبّر عنه بصراحة، وهذا شي طبيعيّ يمر على أبناء جنسي من البشر فلا غرابة في قولي أو كتابتي وهذا أنا، وأن كل ما أكتبه ضمن سلسلة كتب «عن لبنان لماذا أكتب؟» ليس لغاية الشهرة ولا بهدف دخول المعترك السِّياسيّ لا قدر الله رغم أن الفرصة كانت ولا تزال متاحة، أما الرغبة فهي معدومة وهذه الحمد لله بحد ذاتها نعمة أيضًا.

وما دام اللُّبنانيّ يخفي شعور الكراهية نفسه، والحقد عن شريكه في الوطن من أبناء مدينته أو قريته أو طائفته، فلماذا لا نخلع القناع ونعلن مواقفنا صراحة بدلًا من المجاملة والرياء على بعضنا البعض؟ أو ليس كل منا وصل لنفس القناعة، فلماذا علينا إخفاء ما تبوح به أنفسنا؟ ولماذا يجب أن نخفي مشاعرنا عن أحد سواء أكان حبًّا، أم حقدًا أم ما شابه ذلك؟ الجواب عندكم.

بين معاشرة النَّاس في الماضي والحاضر

اعتدت في السنوات القليلة الَّتي قضيتها من عمري في قريتي الجميلة في بداية حياتي على معاشرة النَّاس الطيبين البسطاء الَّذين كانوا يفاخرون بأخلاقهم وكان همهم الوحيد محصورًا بالسّمعة الطيبة وإرضاء الله، وكم كان ذلك جميلًا، وحين توسعت أعمالي التجارية تعرفت على صنفين جديدين من النَّاس الأوَّل يهمه المظاهر، وماذا يقول النَّاس عنه، والثاني يهمه كسب المال والعملة الخضراء تحديدًا، ولم تكن معرفتي بهؤلاء صادمة بقدر ما كانت المفاجأة والصدمة حين رجعت أتردد إلى معاشرة بعض أصدقاء الطفولة ووجدتهم قد تغيروا وصاروا يشبهون من أحدثكم عنهم، زد على ذلك فقدان المحبة فيما بينهم حال كل القرى والمدن اللُّبنانيّة «وكل واحد يقول أنا».

رُوِيَ عَن الإمام علي بن أبي طَالِب قَوله: «إيّاكَ ومعاشرة متتبعي عُيوبِ النَّاس فإنه لَم يَسلَمْ مُصاحِبُهُم مِنهُم»، وبالطبع أنا هنا بعيد كل البعد من مناقشة عيوب النَّاس ومن متابعة أخطائهم إنما هدفي هو الإضاءة على التصنع والنفاق الَّذي يعيشه بعضهم، ونسأل الله أن يشفي مرضى العظمة فإنهم ورغم الانهيار شبه التام لمعيشة النَّاس لا يزالون يملأون صفحات مواقع التواصل الاجتماعي بأخبار زيارتهم الخيرية وتبرعاتهم السخية للكنائس والمساجد ورجال الدين وعرض صور موائدهم وسخافاتهم وقد فرضوا أنفسهم على رقاب النَّاس بسلطة المال وعاشوا العظمة والتقديس بالطول والعرض، فأفتوا في كل شيء حتى في أصول معاشرة الجن تحت الأرض.

ويبقى السؤال الأهم برسم كل واحد منا وهو: بعد معاشرتك للنَّاس ما هي العبرة الَّتي أخذتها؟ والحقيقة بالنِّسبة إلي أنه إذا كان الكلام أعمق من أن يُفهم فالصَّمت أفضل. وإذا كانت المشاعر أكبر من أن تُعرف فإن إخفاءها أفضل فهناك أمور؛ إما أن تُفهم كاملة أو لا تفهم نهائيًّا، وصدقًا فإنه في هذا العالم المتحور نحو النرجسية لدى البشر فقد تعلمت القليل من الكلام مع الغشيم وعدم الإفراط في الأحلام مع العاقل وعدم الإجابة عن الشخص السفيه والإصغاء التام والاستماع إلى الشخص الحكيم، وهكذا تختلف العبرة باختلاف الشخصيَّة.

بين أصحاب الكفاءات وأصحاب الحظوظ

رغم أنني شخصيًّا لا أؤمن بما يسمى «الحظّ» إنما أسأل نفسي دائمًا لماذا أصحاب القلوب الطيبة حظوظهم سيئة؟ وهل مصادفة أن الحظّ السَّيِّئ للشخص قد يكون به ابتلاء؟ وبنظري لا وجود لأناس يملكون حظوظًا سيئة فهم يملكون أكثر بكثير من الحظّ، يملكون قلوبًا طيبة متناهية، يتفانون في العطاء وخدمة الآخرين دون مقابل، همهم سعادة النَّاس، وهؤلاء لا وجود للأنانية في قاموس حياتهم، لأنهم يعيشون من أجل الآخرين، لا يهتمون بمصالحهم الشخصيَّة، يسامحون لا يحقدون، ابتسامة من النَّاس ترضيهم لأن قلوبهم مليئة بالحب.

اشتهر جون مورفي وباول سميث بأفضل وأشهر مدربين لتعليم مدراء الشركات للوصول إلى النجاح، وفي النهاية جرى طردهما من حفل لأنهما ليسا رجلي أعمال. ومات الرّجلان من الفقر داخل ملجأ عجزة. وفي دعاء والدة الإسكندر المقدوني له حين ولدته: قالت: «اللهم اجعل ابني من ذوي الحظوظ الَّذين يخدمهم أصحاب العقول ولا تجعله من أصحاب العقول الَّذين يخدمون أصحاب الحظوظ». وهكذا كان حاله وحال أرسطو أَيضًا، وكأن كلامها هو اختصار لأطروحة جامعية عن أصحاب العقول وأصحاب البطون الَّذين يأتيهم كثير من الأشياء في الحياة دون عناء.

ومن دون شك فإن كل شيء مقدّر ومكتوب من عند الله وما قول المتنبّي: «ذو العقل يشقى بالنعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم» إلَّا أصدق تعبير عن أنّ هناك رزقًا يأتيك، ورزقًا تسعى لجلبه، وأنا امتهنت مهنة السعي لجلبه ولا أدري إذا كان في ذلك حظ أو جهد أو كفاح؟ وهكذا فإن الله قد يرزق إنسانًا جاهلًا غبيًّا رزقًا وفيرًا، وقد يحرم إنسانًا ذكيًّا الرزق، وأترك التعليق لكم.

بين العفة والرذيلة في المجتمع اللُّبنانيّ

لـولا النقيـض لم نكـن نعـرف ثنائيـات الأشـياء مثـل الشـتاء والصيـف، الخـير والـشر، الغنـى والفقـر، العلـم والجهـل، العفـة والرذيلـة، ويـا لَلأَسَـف الشـديد! هـل أصبحـت العفـة في هـذه الأيَّـام تخلفًـا ورجعيـة بنظـر بعضهـم؟ وهـل صـارت الرذيلـة تحـضرًا ورُقيًّـا؟ شـخصيًّا إنِّي أرى أن العفـة هـي أرفـع بكثـير مـن الجـمال، والرذيلـة ليسـت أقـل مـن مـرض فتـاك يصيـب أصحـاب الشـخصيات الناقصـة والقلـوب الضعيفـة والمفلسـين في الإيـمان؛ ومثـل هـؤلاء هـم أمـوات في ثيـاب أحيـاء يعيشـون بيننـا، وهـذه حقيقـة محزنـة للكيـان اللُّبنـانيّ الَّـذي نعيـش فيـه.

وإذا كان الإسـلام يـرى العفـة ثمـرة مـن ثـمار الإيـمان بـالله ودعـوة للابتعـاد عـن خـدش المروءة والحيـاء وانتصـارًا عـلى الشـهوات وإقامـة الطهـارة في النفـوس وغـرس الفضائـل في المجتمـع، ففـي المسـيحية الوضـع يختلـف، حيـث يظـن بعضهـم أن العفـة هـي امتنـاع عـن الزنـا أو الابتعـاد عـن أماكـن أو أشـخاص أو أوضـاع مثـيرة، أمـا في الحقيقـة فالعفـة هـي هبـة الخالـق للإنسـان، وهـي حـب وعشـق لله تمجـد اسـمه كل حـين، معهـا يمتلـئ القلـب بالحـب وتمتلـئ النَّفـس مـن فيـض نعمتـه، فيفيـض بالحـب عـلى الآخريـن ليعطـي فرحًـا دون أن يطلـب شَـيْئًا لذاتـه، وهـي ليسـت كبتًـا وانغلاقًـا عـلى الغرائـز والعواطـف والأحاسـيس.

أمـا الرذيلـة فإنهـا متوارثـة في بعـض المجتمعـات الغربيـة حتـى العربيـة، ومنهـا لبنـان، لكنهـا دخلـت إِلى بيـوت اللُّبنانيّـين دون اسـتئذان عـبر شاشـات التلفـزة منـذ سـنوات طويلـة مـن خـلال عـرض المسلسـلات المدبلجـة، والَّتـي لا تشـبه مجتمعاتنـا وثقافتنـا، ولـو قمنـا بتعـداد مسـاوئ هـذه الأفـلام فحـدّث ولا حـرج، بـدءًا مـن غيـاب القصـة والسـيناريو وصـولًا إِلى عـدم مقاربتهـا لعاداتنـا وتقاليدنـا، والخطـورة في ذلـك أن أفـكار الفاسـدين تغلـف في قالـب مـن الدرامـا والتشـويق والإثـارة وهـي تسـاهم في تفكيـك الأسرة والدعـوة إِلى التحـرر مـن قيودهـا وتبريـر العَلاقـات غـير الشرعيـة .

بين العفة في القاموس والعفة في السياسة.

يظن بعضهم أن العفة هي مجرد امتناع عن الزنا أو عدم ممارسة بعض العادات المنحرفة المثيرة للشهوة أو للذة الجنسية أو هي مجرد قمع للعين لعدم النظر أو لبقية الحواس كي لا تتفاعل مع أحاسيس عاطفية جنسية أو هي مجرد هروب من أماكن أو أشخاص أو أوضاع مثيرة، أو عدم انشغال الفكر والقلب بالعواطف والأحاسيس والأفكار الخاصَّة بالجنس، هذه كلها نواحٍ سلبية للعفة، من يقف عندها عبثًا يتخبط في اقتنائها، بل تصير العفة بالنِّسبة إليه جبلًا شامخًا لا تعلوه رِجل إنسان، أو هي حياة من وحي الخيال لا يسلكها ولا يتذوقها إنسان ما.

منذ أفلاطون والفكر الإنسانيّ لا يتوقف عن التفكير في مسألة تحقيق العدل بين البشر في دول العالم ومدنه، ومن جمهوريّة أفلاطون إلى مدينة الفارابي اكتملت الفضائل في الحكم ونظامه، ولكن هل يتم اختيار العفّة معيارًا افتراضيًّا لاختيار الحكام في لبنان؟ وهل الإتيان بنماذج معاقة من بعض الوزراء ظنًّا أن لديهم القيم والأخلاق والتقوى هو الحل؟

العفة في لبنان ضاعت في ساحات السياسة وضاعت الوطنية والمروءة معها ولم يعد الفساد في بلادي رذيلة أخلاقية بل أصبح ركيزة أساسية من ركائز الدَّولة وارتقى في السنوات الأخيرة إلى مستوى السياسة العامة مع استمرار بعض السِّياسيّين من الصف الأوَّل في المحاضرة عن العفة والطهارة رغم شهرتهم في إبرام الصفقات والسمسرات المشبوهة.

بين العفة في الطعام والشراب وقليل من الخمر.

بين مقولة قديمة سمعتها في الصغر تقول: «أطباق كثيرة أمراض كثيرة» وبين قصة طبيب فرنسي كان مشهورًا جِدًّا يحكى عنه أنه خلال زيارة مرضاه الأغنياء في بيوتهم، كان له عادة زيارة المطبخ أَيضًا لإلقاء التحية على الطباخ والقول له: «نحن الأطبَّاء ممتنون لكم فأكثرنا كان سيموت من الجوع من دون مهنتكم الرائعة».

إنَّ الشراهة في الأكل تدمر النَّفس والجسد معًا وتجلب الأمراض وبأسناننا نحفر حفرة الموت، وما ينقصنا هو السيطرة والتحكّم على الذات بسبب غياب العفة والتقشف عن حياتنا .

في المسيحيّة العفّة في الطعام ليست قانونًا صحيًّا بل قانونًا في الحياة الروحية؛ فالعفّة في الطعام تفيد النَّفس، ولهذا نظَّمت الكنيسة مدّة الصوم لتدريب النَّفس على العفة وجعل قوّتها جبّارة لكبح كل هجمات الجسد، يقول القدّيس غريغوريوس اللاهوتي: «إنّ شرور وعيوب الجسد كافية، ومن الصعب السيطرة عليها. فالشعلة تحتاج إِلى حطب أكثر ليبقى مشتعلة والوحش الضاري يطلب المزيد والمزيد من الطعام»، على أن خيرات الأرض الَّتي أعطانا إياها الله هي للتمتع بها ضمن حدود المنطق، لا أن تكون غير مضبوطة، وعلينا عدم الالتصاق بالخيرات الأرضية لئلَّا تصبح بمنزلة الجلّاد لنا، لذلك يقول القدّيس يوحنا الذهبي: «إذا لم يمتنع المرء عن التلذذ وأكل اللحم مساءً، فالخطيئة ستتجذّر، حيث هوى الشراهة والنهم خطيئة عظمى».

وماذا عن العفّة في شرب الخمر؟ الإنسان المسيحي الممتلئ من الروح القدس هو إنسان عفيف ولا يجعل من بطنه خزانًا للخمر ولن يصل إِلى حالة البؤس

الَّتي يعيشها الإنسان السّكير، فهو يعرف كيف يضبط عدم الإفراط في شرب الخمر، يقول القدّيس باسيليوس الكبير: «الاعتدال في شرب الخمر أمرٌ ممتاز يتوافق مع حاجة الجسد، فالَّذين يعملون أعمالًا متعبة ويجتهدون فكريًّا يقوي الخمر أجسادهم وعقولهم»، كذلك فعل بولس الرسول حين نصح تلميذه تيموثاوس بشرب القليل من الخمر ليساعده في أمراضه الكثيرة: «لا تكن في ما بعد شرَّاب ماء بل استعمل خمرًا قليلًا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة» (١ تيمو٥:٢٣). بدوره داود النبي يقول: «وخمر تفرّح قلب الإنسان» (مز١٠٤:١٥). ويقول سليمان الحكيم: «الخمر يفرّح الأحياء» (جامعة ١٠:١٩)، كذلك الرب يسوع المسيح حوّل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل فلو كان الخمر ممنوعًا لماذا صنع يسوع هذه المعجزة؟

الأتان هي أنثى الحمار.

ومن المفارقات في الحياة أن حليب الأتان هو أفضل بديل لحليب الأُم لتشابه التركيبة من حيث قيمتها الغذائية، والكلام منسوب لأهل الاختصاص، وزوج الأتان العتيق يتملكه حزن عميق ويعتريه عذاب مرّ، وحين سُئل يومًا لماذا كل هذا البؤس؟ أجاب: كيف لي أن أفرح وذريتي كلها حميرٌ؟

وكم هي جميلة حالة الهذيان عندما يستغشي بها زوج الأتان خلال محاولته التشبه بالحصان حاله حال بعض رجال السياسة في لبنان الَّذين خسروا مقاعدهم النيابية بتغير مزاج الناخب يوم الأحد ١٥ أيار، وهم الَّذين كانوا يعتلون المنابر وشاشات التلفزيون مرددين وهاتفين مع فرعون: «أنا ربكم الأعلى»، والفرق بين بعض الراسبين أو الدفعة الأولى من المغادرين يوم الأحد وبين زوج الأتان هو الصوت المرتفع والنهيق بطريقة فنية، وكم كنت أتجنب مناقشة بعض هؤلاء اعتقادًا مني بصوابية نظريَّة الشافعي صاحب القول الشهير: «إذا جادلني جاهل غلبني، وإن جادلني مئة عالم غلبتهم، « فالسكوت عندي كان أرحم من مجادلة الجهلاء».

وفي المناسبة دعوني أسأل بعض الَّذين استماتوا لدخول قبة البرلمان في لبنان بقوة الدعاية والمال في انتخابات قدر الخبراء ما صرف فيها بنحو ٢ مليار دولار، وبعض الفائزين لا يملكون المهارات الكافية للتعامل مع الضغوط السِّياسيّة، وبعضهم ليس لديهم مشاريع لبناء وطن؟ والسؤال لهؤلاء هل تستطيعون تحمل حياة القلق والخوف؟ لذا دعوني أشاركم خلاصة أبحاث الدكتور روبرت سابولسكي عن الضغوط والقلق وكيفية التعامل معها، والَّتي ذكرها في كتابه: «لماذا لا يصاب الحمار الوحشي بقرحة المعدة؟»، وقد أظهرت

العديد من الدراسات أنّ التعرّض للقلق قد يتسبب باضطرابات في النوم كذلك الغضب الشديد وصعوبة التركيز يؤديان للإصابة بالاكتئاب والسمنة وأمراض القلب، كما يجزم الأطبَّاء، لذا خذوا حذركم مما أنتم قادمون عليه؛ لأن لبنان ليس بخير، وما ينتظرنا يبدو قاتمًا، ويبدو أن هناك استحقاقات كبيرة تنذر بسقوط الدَّولة والكِيان، صلواتنا إِلى الله كي يحمي لبنان من جهل حكامه.

بين أفاتار البهجة والابتسامة ووجوه بعض الحكام المتجهمة.

لعل الشيء الوحيد الَّذي أضفى البهجة على قلبي البارحة بعد لعنة ونكبة عودة انهيار سعر صرف العملة الوطنية مجددًا في مقابل الدولار الأميركي هو أفاتار المرح الَّذي أرسله صديقي بالواتساب تعليقًا على صورة كبير رجال المال اللُّبنانيّين المُقطِّب الوجه الَّذي صار لانهيار الاقتصاد الوطني ولعرقلة الحلول عنوانًا وللحزن والحظّ السَّيِّئ جالبًا لما يقارب الأربعة ملايين لبناني في المعتقلات اللُّبنانيّة على مِساحة الوطن وضعف العدد في الانتشار اللُّبنانيّ حول العالم من لبنانيين أو إخوة عرب وأجانب وكأن «قانون الهيبة» عنده أن يكون دائم التجهم وعابس الوجه ولا يمارس أي عمل وطني لخدمة المودعين المساكين سوى الكذب عليهم بعبارته الشهيرة: «الليرة بألف خير».

وفي موقع آخر نستعيد المشهد لبلد أفقرَه حكامه حيث نجد أنفسنا بحاجة «إلى أفاتار جديد وهيدر جديد» لدفع الملل ونشر البهجة الزائفة في صباح كل يوم قبل مطالعة أخبار البطاقة التمويلية الكاذبة ومعايير دعم المواطن المسكين الَّذي يعيش بنظرهم إفراطًا في الرفاهية ورغد العيش، ولا مشكلة أن تحمل أو تشارك مع من حوله الفقر، علمًا أنه يعيش في أفقر مدينة لبنانية، وصاحب هذه النظريات أدرى مني بأحوال أهلها لذلك الاستهجان عندي.

أخيرًا من المؤكد أن فيلم أفاتار يمثل سياسة بعض حكامنا بحذافيرها بعدم تقبل الرأي الآخر، وعليه فإنه إذا كنت لا تتفق معي إذًا أنت عدو لي، وكل من يحاربني أو لا يصفق لي فيتوجب علي تدميره؛ وبعيدًا من السياسة فإن جيمس كاميرون وبعد إعلانه إتمام تصوير ثلاثة أجزاء من فيلم أفاتار العالمي الَّذي حقق أعلى إيرادات في تاريخ السينما فإنَّنا ندعوه لتصوير جزء جديد يكون من بطولة حكام لبنان.

بين الماضي والحاضر والعبرة للمستقبل.

التاريخ هو الماضي الَّذي يحكي لنا قصصًا وحكايات وحكمًا عن الحياة حيث نكتشف فيه تاريخ الحضارات والأمم، وهو توثيق لما مضى من أحداث تتعلم منها الأجيال ويستفيد العلماء غالبًا من قراءة أحداث الماضي في الحاضر لتخطي الأزمات الَّتي تمر بها هذه الشعوب وتفاديها لها، وفي هذا السياق كتب ابن خلدون يقول: «إن التاريخ في ظاهره لا يزيد عن الأخبار ولكن في باطنه نظر وتحقيق» ليؤيده مارك توين في نظريته أن «التاريخ قد لا يعيد نفسه ولكنه يتشابه كثيرًا».

ومن غير الجائز أن نعيش الماضي في الحاضر على الإطلاق إذ إن الحاضر ليس هدفًا، فالماضي والحاضر مجرّد وسيلتين، أما المستقبل فهو الهدف وكل من يقرأ الماضي بطريقة خاطئة سوف يرى الحاضر والمستقبل بطريقة خاطئة أَيضًا، ولذلك لا بد من أن نعرف ماذا حصل في الماضي كي نتجنب وقوع الأخطاء مرة أخرى، ومن الغباوة أن يدفع الإنسان ثمن الخطأ الواحد مرتين، كما حصل في لبنان على أيدي الزمرة الحاكمة «الله لا يوفقهم»، حيث تكررت الأخطاء مرارًا، مثالًا على ذلك استقدام مستوزرين من مصحات الأمراض النَّفسيَّة وتركهم يدلون بتصريحات غير مسؤولة أحدثت أضرارًا بمصلحة لبنان وخاصَّة المزارعين والصناعيين لجهة تصريف إنتاجهم وتعكير العَلاقات الدبلوماسية مع الجوار وتعريض مصالح اللُّبنانيّين في الخارج للخطر .

وعلى طريقة العاهل الأردني الملك حسين (رحمه الله) حين قال: «إن إيماني الراسخ هو أن لدي صلة مع الماضي ومسؤوليَّة للمستقبل لا أستطيع التخلي عنها ولا أستطيع اليأس، هناك مستقبل كامل وأجيال قادمة لا بد لي من الاستمرار في

المحاولة «لذا بحسب رأيي يخطئ كثيرون حين يرون أن الوطن هو الماضي فقط؛ فالوطن هو المستقبل القادم الَّذي سوف نصنعه بسواعد شبابنا وعقول وأدمغة الشَّعب اللُّبنانيّ الَّذي أبهر العالم بنجاحات أبنائه في العالم في وقت كان جلادوه في الداخل يحضرون له المكائد ويسعون لاستبدال هُويَّة البلد وشعبه ومواطنيه الأصليين، ويشهد التاريخ المعاصر على مئات الأحداث الَّتي تتحدث عن دول أو مدن زالت عن الخريطة وتحوَّلت إلى مستعمرات .

بين القلق والأرق والمستقبل ممنوع الإحباط.

بات مؤكدًا أن أقدارنا هي مكتوبة قبل أن نولد ونبصر النور على هذه الأرض في هذا الشرق الملعون فلماذا القلق؟ ولماذا الهَم والأرق؟ فالتفكير الزائد لا يغير شَيْئًا بل هو حرق للأعصاب كما أن الاستغراق في المشكلة يضعف قدرة الإنسان الجسدية والفكرية، لذا قررت منذ بداية حياتي المهنية أن أستغل المتاح من الفرص القليلة أمامي وأن أستثمر في الممكن منها وما يتناسب مع إمكاناتي المادِّيَّة شبه المعدومة في مطلع التسعينيَّات، وأن أُسلم أمري للرب، وللذين يقولون: هل لنا من الأمر شَيْئًا، أقول: إن الأمر كله لله.

لا أستغرب كيف أصبح المواطن اللُّبنانيّ مستسلمًا تمامًا بعد أن فقد القدرة على الصمود والمقاومة والاستمرار في العمل، وصار يعيش شعور الحسرة والترقب، علمًا أنني مقتنع أن ما يخصه وما هو مقدر له والَّذي يناسبه هو على مقاسه وحده وفي ظروفه وحده ويصلح له سوف يأتي إليه ويصله ولو بينه وبين قدره دول وقارات وأقدار؟ لذا يجب أن يكرر هذه العبارات ويضعها قاموسًا لحياته ويكررها دومًا ربما تكون هذه العبارات قادرة أن تطمئن قلبه وتزيد ثقته وإيمانه بالخالق ويحفظ أن الله لا ينسى أحدًا من عطائه ورزقه ولطفه وكرمه أبدًا.

وفي نصيحة لكل مواطن لبناني مُحبط ومُحطم معنويًّا وماديًّا أن ينسى كل القلق والأرق وكل الخوف والتردد والترقب والانتظار الَّذي يسلب العمر بأكمله وأدعوه أن يعمل ويُصلي وينتظر المعجزات الَّتي يمكنها فعل كل شيء لتغيير الحال، وأن يحاول أن يعيش حياته بهدوء وبساطة فإن الله يحب البسطاء، وهكذا أنا فاعل. وليس في يدي حيلة حتى لو جاء الحاكم بأمر المال معتذرًا، فإنني سوف أقول له: هل تستطيع أن تمحو السنوات الثلاث الأخيرة من القهر والظلم والعمر الَّذي ضاع؟ وهل تستطيع أن ترجع الأيَّام وتصنع بديلها أفراحًا بعد كل ما جنت يداك وأيدي أهل السياسة معك بحق شعب لبنان؟ وهكذا فأنا لن أسامح وإن سامحت باللسان فإن القلب لن يغفر أبدًا.

بين الحب والصداقة مواقف جميلة.

أن تحب امرأة لمزاياها فهذا لا يعدّ حبًّا، ولكن عندما تحبها رغم عيوبها فهذا هو الحب، فإذا كنت تبحث عن الكمال فأنت لا تبحث عن الحبّ؛ لأنّ معجزة الحب تكمن في تقبّل العيوب. ولا يكبر الحب بطول المدة وإنما يكبر بجمال المواقفِ حتى لو كانت لحظات، وحين سئل رجل: أيهما تحب أكثر أخاك أم صديقك؟ أجاب: «أخي حينما يكون صديقي، وصديقي حينما يكون أخي».

حين سُئل رجل حكيم: من أين يبدأ الحب، ومن أين ينتهي؟ أجاب: «يبدأ من العين وينتهي منها»، فقالوا له كيف ذلك؟ قال: «يبدأ بنظرة من العين وينتهي بدمعة من نفس العين». وحين أعادوا سؤاله: كيف تعرف من يحبك؟ ليجيب: «من يحمل همي ويسأل عني ولا يمل مني. ويغفر أخطائي ويذكرني بربي، هو هذا من يحبني»، يضيف: «لأن أجمل شيء رأيته في حياتي هو شخص رأى جميع عيوبي وما زال يحبني».

إذا أحببت إنسانًا حاوره لترى إذا كان حكيمًا، وراقبه عند الغضب إذا كان حليمًا، وعند التجرِبة إذا وجدته كريمًا، وإذا عهدت له الوفاء وجدته عظيمًا، وإذا وجدته في كرم اللقاء بشوشًا وفي الأخلاق مسامحًا، وحاول أن تجعله يتقبل الماضي دون ندم ويتعامل مع الحاضر بثقة ويواجه المستقبل دون خوف، فإن أجمل حب يمرّ على الإنسان هو أن يحبه شخص مرتين: مَرة كما تصوّره، ومرة كما هو على حقيقته، ولعل أكبر مكسب للمرء يصنعه في حياته هو ذكر الآخرين له بالخير حتى في غيابه .

بين شعب تحت خط الفقر وشعب تحت خط الفهم، رحمتك يا ألله.

حين يعيش ثلثا شعب لبنان تحت خط الفقر بنفسٍ راضيةٍ واصفين ذلك قضاءً وقدرًا وفق ما تصوره لهم المرجعيات الدينية، تكون تلك نتيجة الفهم الخاطئ لمعاني الإيمان. خمسة ملايين مواطن لبناني هم سجناء لم تسمح ظروف بعضهم بالهجرة وترك البلاد والعباد هربًا من ظلم المتسلطين على رقاب اللُّبنانيّين المتلاعبين بسعر صرف النقد الوطني تجاه الدولار وبلقمة عيشهم.

وفي عملية حسابية بسيطة أرى أنَّه لو خرج مليون مواطن فقير إلى الشوارع في عصيان مدني لمدة أسبوع واحد لكنا أمام تدخل أممي يؤدي إلى هروب كل الفاسدين من السلطة، أضرب مثالًا على ذلك: الجزائر أيام الانتداب لم يتظاهر فيها مليون مواطن بل أعطت مليون شهيدٍ للخلاص من حياة الذل، ولم يكن حال شعبها بالسوء الَّذي يعيشه اليوم شعب لبنان .

وفي نظري أرى غالبية السِّياسيّين في لبنان هم أغبياء في السياسة، وهناك فرق كبير بين من يصنع السياسة وبين من يمارسها فقط، وبات مؤكدًا لي أَيضًا أن المجتمع الَّذي يتهم من يخالفه الرأي بالخيانة والعمالة هو مجتمع أناني يعيش تحت خط الفهم.

أخيرًا أرى في هذه الأيَّام الصعبة أنه من واجبي الاستمرار في المقاومة بالكلمة بانتظار أن تستفيق بعض العقول الَّتي ارتضت طوعًا حياة الذل، وسوف أجد بعدها طريقًا للانعزال في بيئة تحت خط الفهم «المعقول والمتاح» حماية لفكري من هذه الأوبئة لأننا أصبحنا نعيش إرهابًا وترهيبًا تحت الطلب، ولا نعيش تحت خط الفهم فقط.

بين تربية الكلاب في المنازل وتربية الأولاد في الشوارع.

كم هو مؤلم أننا أصبحنا في زمن باتت فيه تربية الكلاب في المنازل وتربية الأبناء في الشوارع، إنها حقيقة مؤلمة، وربما صدق القائل: «نحن في زمن ابن كلب»، وعليه سوف يكون الجزء الأوَّل من مقالتي عن هذا الموضوع، وليس معنى ذلك أنني ضد تربية الحيوانات الأليفة في المنازل وتركها لاحقًا تموت من العطش والجوع في الشوارع تحت أشعة الشمس، لكن السؤال الجِدِّي الَّذي يطرح نفسه: ما هي الفائدة من تربية الكلاب في البيوت بأعداد كبيرة والتسبب بالضرر والإزعاج للجيران؟ إضافة إلى كلفة إطعامها والعناية بها الباهظة الثمن.

من هنا تبرز الحاجة إلى تفعيل القوانين من خلال البلديات والوزارات المعنية، فالكلاب ليست هدية نلقيها بعد انتهاء العيد، كما أن إلقاء الحيوانات الأليفة في الشوارع يعني أننا حكمنا عليها بالموت البطيء، ويعود السبب في ذلك إلى أن العائلات اللُّبنانيّة صارت مجبرة على الاختيار بين اقتناء الكلاب وبين لقمة عيشها بسبب الأزمة الاقتصاديَّة وانهيار الرواتب وخسارة العملة الوطنية أكثر من ٩٠٪ من قيمتها، وتبخر الأموال المودعة في المصارف اللُّبنانيّة، وهكذا انتهى الأمر بالعديد من الكلاب أن تصبح مشردة في الشوارع.

وإذا كان من الحرام إلقاء هذه الأرواح الَّتي خلقها الله في الشوارع فإنه يستحسن التزام البلديات بإيجاد ملاجئ لإيواء الكلاب بالتنسيق مع الجمعيات المعنية، وذلك مع تفاقم جرائم الأذية الجسدية لها، وفي هذا السياق، وقبل أيام قليلة، قرأت عن قتل عنصر أمن لبناني غزالًا مهددًا بالانقراض، وكتب متباهيًا على صورة نشرها على حسابه: «المتعة بالقتل» قبل أن يتم اعتقاله، وهكذا صار تمادي بعضهم بقتل الكلاب، ورؤية ذلك متعة يشكل مسألة أخلاقية.

وفي الأخير إشارة إلى تسجيل الجمارك اللُّبنانيّة تراجعًا كبيرًا في أرقام استيراد الأطعمة المخصصة للكلاب والقطط خلال العام ٢٠٢١ إلى نحو ٢٦ مليون دولار بعد كان٤٦ مليون دولار في الأعوام السابقة .

بين تربية الكلاب في البيوت وتربية الأولاد في الشوارع.

سوف أتطرق في الجزء الثاني من مقالتي عن تربية أولاد الشوارع، ولعل أجمل عبارة قرأتها في تربية الأولاد تقول: «أنت الآن تعيش في ماضي أطفالك فأحسِن صنع ذكرياتهم وما تعيشه اليوم معهم سوف يصبح من ماضيهم « لذا اصنعوا ذكريات جميلة فالعمر مرة واحدة، وتربية الأهل للأولاد تبدأ في تربية الأهل لأنفسهم أولًا، لكن ما هي مسؤوليَّة الأهل تجاه أولادهم؟ خاصَّة في ظل ما نعيشه من فساد كبير في سوء تربية الأولاد بسبب انشغال غالبية الأهل عنهم ما يتسبب في هدم مستقبلهم وتدمير أحلامهم.

الفقر ليس عيبًا والعمل أيًّا يكن ليس عيبًا، إنما إنجاب الأولاد هي مسؤوليَّة ويترتب على الأهل تأمين حياة كريمة للأبناء وليس تشريدهم على الطرقات ودق أبواب الجمعيات للمساعدة، فالمشكلة الأساسية تكمن في تربية الأهل للأولاد وتعليمهم وليست في رميهم على الطرقات هنا أو هناك وافتعال المشاكل، ولكن من المسؤول عن رمي الأولاد في الطرقات؟ الأهل أم الدَّولة أم الاثنان معًا؟ وهل يحق للقاصرين أن يكونوا على الطرقات بلا حسيب أو رقيب؟ وما هو دور الأهل أمام مشهد الأولاد على الطرقات المليئة بالألم؟

والتربية الصحيحة للأولاد من الأهل تبدأ بأن لا يطلبوا منهم فعل أشياء هم أنفسهم لا يفعلونها ولا ينهَوهم عن فعل شيء وهم لا يفعلونه. فلا يجوز أن يأمروا أولادهم بملازمة الصلاة يوم الأحد أو الجمعة مثلًا، والأهل لا يصلّون، أو منعهم من التدخين والأهل يدخنون النرجيلة أمامهم، ولعل أسهل الطرق لتربية الأولاد هي التربية بالقدوة أي الاقتداء بالأهل، وعن أي أهل نتحدث؟ معظم الأهالي بحاجة إلى اعادة تأهيل حول طرق التربية، وخاصَّة بعض الرجال الَّذين يرون أولادهم خدّامًا لهم، ولا رأي ولا كرامة لهم على الإطلاق، وأصغر كلمة من الوالد إلى ابنه: «أنت شو بيفهمك»، وبعد وقت قليل يهاجر الأولاد ويتركون أهاليهم يعملون وحيدين.

بين الجبال والوديان وعشرة آلاف كلم مقدس.

سوف يأتي يوم لا يسأل فيه الحكام في لبنان ماذا فعلتم؟ بل يسأل فيه اللُّبنانيّون كيف صمدتم؟ وسوف يقال لمن لا يفهم لغة العزيمة والصبر: اخلع نعليك أنت في أرض لبنان المقدسة، وستبقى أجراس الكنائس والمآذن تصدح بقوة على مِساحة الوطن وتمجد الله، وستبقى أرض لبنان أرض القديسين والنساك. بالطبع نحن بحاجة إلى مقومات الصمود، لكن ما هي الفائدة من الصمود عندما يجوع الأطفال بسبب فقدان الحليب؟ وما الفائدة من الصمود عندما يمرض أحدهم ولا دواء ولا مستشفيات تستقبله؟

الصمود يصبح بلا فائدة حين يذل الأهل على أبواب المدارس والأفران والمستشفيات فأين نحن من الصمود ومقوماته؟ وكل لبناني أجبرته الحياة والظروف أن يعيش اختبارًا قويًّا أو ابتلاءً شديدًا وقدرًا يتحمله ويخرج منه بسلام هو بطل. فالصمود وقت الأزمات هو القوة الخفية الَّتي يمنحها الله للمبتلين حتى يكونوا أقوياء ليتقبلوا الأقدار المكتوبة أو الأصح دفع ثمن الأخطاء الناتجة عن سوء إدارة حكامهم للبلاد والعباد .

لذلك وبعد ثلاثين سنة من الاستدانة المتواصلة ونهب الأموال وصرفها هدايا غير مجانية لتسمية سعادته مرشحًا توافقيًّا لرئاسة الجمهورية، وفي الأعراف الدَّوليَّة يعدّ ذلك عملًا شريرًا لا تقره الأنظمة الديمقراطية أو الأديان السماوية، وهكذا نرى بعض أهل السياسة أشرارًا، وقد تمَّت برمجتهم لإحباط النَّاس وهدم طموحاتهم، ورغم ذلك يستمر هذا اللُّبنانيّ المسكين في إدهاش العالم في ذكائه وافتخاره بأنه قادم من لبنان الأرض المقدسة، ويقول لأهله: لا تخافوا، لن تقوى عليكم أبواب الجحيم مهما عصت الأيَّام وطالت؛ فالروح القدس سيظل ينفح بها روح المسيح الإله.

بين نعمة الله وقلوب البشر القاسية.

في الحياة نصادف نجاحات حقيقية وقصصًا سطّرها الإنسان، منها ما دُوِّن ومنها ما حفظته قلوب النَّاس، لرجال كان الله لهم سندًا ومعينًا، وأنا أقر أنني كنت واحدًا منهم، حيث امتدت يد الله إلي والتمست نعمته، واختصار ما حدث معي هو ما ذكرته هذه الآية من الكتاب المقدس: «ما أنا الَّذي جاهد بل نعمة الله الَّتي هي معي». (١ كور ١٢/ ١٠)

وذات يوم سَألتُ صديقي: لماذا تجلس وحيدًا؟ أجابني لا أحد منا يرغب في الوحدة ولكن قلوب البشر القاسية هي الَّتي أجبرتني على عشقها، وكما البحر ينظف نفسه بنفسه من الفضلات فهي إما تذوب أو تتلاشى، حبَّذا في عالمنا أن يستطيع البشر تنظيف قلوبهم القاسية وجعلها تتلاشى بالمرة.

الحياة ليست قاسية إنما قلوب بعض البشر هي القاسية، وربما مشاعرهم ماتت وباتوا لا يأبهون كثيرًا لمن حولهم ممن وجدوا في العزلة ملاذًا للراحة، ليس محبة بالعزلة بل لأنهم وجدوها صادقة معهم، خالية من الشوائب، صافية كصفحة السماء فهربوا إليها وتركوا خلفهم الكثير من قلوب البشر القاسية، كثيرون هم الَّذين دفنوا قلوبهم مع الماضي ولا نية لديهم لنبش القبور من جديد بعد أن تركوا قلوبهم المجروحة مدفونة بجانب الماضي حيث الرحمة بعيدًا من القلوب القاسية، ورفضًا لوعود كاذبة .

بين تطوير الذات ومحاربة الخوف والفشل.

عندما تُقرر تحسين نمط حياتك وتحسين وضعك الاجتماعي فإنك تفعل أشياء يفهمها بعضهم وبعضهم الآخر لا يفهمها، وتقوم بإجراء تغييرات في حياتك يقبلها بعضهم وبعضهم الآخر لا يقبلها وتحصل على التشجيع والدعم من بعضهم والنقد من بعضهم الآخر؛ وبعد كل هذا يكون في استطاعتك معرفة من يريدك أن تتطور ومن يغار منك ويريد تدميرك. ويمكنك معرفة من يثق بك ومن لا يرغب أن يراك أفضل، وهكذا فأنت لست بحاجة إلى أحد ليجعل من نفسه ولي أمرك في كل ما تجده من مصلحتك، أطلق العنان لأحلامك وسر في طريقك وسوف تجد نفسك تحلق في العلى.

وفي هذا السياق كتب جبران خليل جبران يقول عن حياة المسيح: «ما عاش يسوع مسكينًا خائفًا ولم يمت شاكيًا متوجعًا، بل عاش ثائرًا وصلبًا متمردًا ومات جبارًا»، أضاف جبران في أجمل ما كتب عن الجمعة العظيمة يقول: «لم يخف يسوع مضطهديه ولم يخش أعداءه، ولم يتوجع أمام قاتليه بل كان حرًّا جريئًا أمام الظلم والاستبداد يسمع الشرَّ متكلمًا فيخرسه ويلتقي الرياء فيصرعه».

في لبنان أعداء الإنسان الآدميّ هم في الغالب يعيشون حوله ومعظمهم من الأقربين إليه، ولو تأملنا جيِّدًا لوجدنا أن الإنسان هو عدو نفسه في بعض الأحيان والمواقف ربما بسبب عناده، وأنه قد لا يسيء إنسان لنفسه ولوطنه بقدر ما نفعل نحن؛ فالمواطن لا يحتاج إلى شوارع نظيفة ليكون محترمًا، ولكن الشوارع تحتاج إلى مواطنين محترمين لتكون نظيفة، والإنسان لا يحتاج إلى معارف كثر بل يحتاج إلى أصدقاء حقيقيين يساندونه ويكونون أوفياء له يحترمون حضوره وغيابه ولا يرتبون له المكائد وما أكثر أصدقاء المصلحة في حياة كل منا!

بين الاكتئاب الجماعي والاستسلام للأقدار.

يعيش الشَّعب اللُّبنانيّ هذه الأيَّام حالة متقدمة من الاكتئاب الجماعي وهو لا يزال يغوص في مرحلة من النكران محاولًا بائسًا يائسًا الرقص والغناء لنسيان مصائبه وتحاشيًا للنظر مباشرة في عين الاكتئاب الَّذي يسيطر عليه نتيجة حالة اليأس والفراغ وفائض القوة في حياته اليومية، وربما اعترافًا منه بهزيمته أمام قسوة قلوب حكامه بعد موت ضمائرهم، وقد بدأ بالفعل خبراء علم النَّفس البحث في أسباب التأقلم اللَّافت لشعب لبنان مع البؤس وعلامات الاستغراب على وجوههم ويسألون: لماذا شعب منكوب ومنهوب لا يزال يسعى إلى تقليد التوافه والركض وراء السامجين وتعظيم حكام مجانين ولا ينتفض؟

وإذا كان الجميع ينتظر ثورة جياع قادمة لن تترك أخضرَ ولا يابسًا وراءها فإنني لا أرى ذلك ممكنًا يا لَلأَسَف! لأننا شعب مغيب عن القرار الإقليمي، وربما الدَّوْلِيّ، وحالنا حال كل الشعوب المغلوب على أمرها المدرجة على لائحة الدول الفاسدة، وأن أي حوار وطني يجمع الأحزاب اللُّبنانيّة تبقى نتائجه معلومة سلفًا؛ فالمشكلة أنهم جميعًا ودون استثناء يتلقون أوامرهم من عرابهم في الخارج، ولا حول لهم ولا قوة، وهم باتوا يتحركون كسلحفاة تسابق أرنبًا. أقصد نحن شعب نائم ونتعايش مع نخبة سياسية تائهة، وكلُّنا ينتظر نزول الوحي؛ والله أعلم متى يا أصدقائي يحدث ذلك؟

لذا نصيحتي لك عزيزي القارئ، حاول ألا تنخرط في جوقة «الاكتئاب الجماعي»، وأرجوك أن تعمد إلى تحصين نفسك بالطاقة الإيجابيّة ولا تنجرف وراء الأحداث السَّلبيّة ولا تعطِها من وقتك ومشاعرك، صدقني فإن نبْتَكَ سوف يزهر حتى لو كان وسط حقل قاحل من الأعشاب الذابلة خاصَّة إذا توقفت عن معاشرة الفاشلين والبائسين والبعيدين من الله، والحل في بعض الأحيان يكون باللامبالاة، لأنه لا يمكننا تغيير الأقدار، وليتنا نغيّر سلوكياتنا؛ وهذا كافٍ للتغيير الكبير المنتظر.

فالمسألة مسألة وقت، والخير قادم.

بين المسيحي بالهُويَّة والمسيحي بالإيمان «أوعا» لبنان.

ولد السيد المسيح في مغارة وحوَّلها مملكة، أما المسيحي اللُّبنانيّ فقد وُلِد في دولة بناها الأسلاف من أمثال كميل شمعون وفؤاد شهاب وإلياس سركيس وحوّلها بعض من خلفهم إِلى مزرعة، «وشو بدنا نصلح لنصلح من وراهم»؟

ومعظم المسيحيين «بالميلاد» في لبنان هم لبنانيون في الهُويَّة «حتى النخاع الشوكي» والتعبير مستعار من الصحافي صبحي ياغي، نعم هم عرب بالهُويَّة والقومية وأوروبيون بالثقافة، لذلك نجد دورهم جامعًا بين الطوائف اللُّبنانيّة المتناحرة والقوميات المنقسمة والمطلوب منهم أن لا يزيدوا الطين بِلَّة بانقساماتهم لأن مصلحتهم هي بالانفتاح والالتزام بالهُويَّة وأن يبقى انتماؤهم للبنان الوطن كما هو المطلوب أَيضًا من باقي الطوائف الالتزام بالانتماء إِلى هذا الوطن؛ لأن خرابه هو كارثة على الجميع.

المسيحي اللُّبنانيّ هُوِيَّته وطنه وليس دينه ومذهبه، ودوره واضح وكبير في تاريخ لبنان في النهوض بالقطاعات مثل التعليم والاستشفاء والصناعة والتجارة، وقطاع الضيافة والمطاعم والفنادق في لبنان وفي كل دول الخليج العربي، حيث نجد بصمة هذا المسيحي اللُّبنانيّ الَّذي يسعى إِلى تلميع صورة وطن اسمه لبنان شوهها بعض الأغبياء في السلطة ونهبوا خيراته. ويبقى السؤال: هل سمعتم عن مسيحي لبناني ينتمي بالهُويَّة لبيت لحم لأن المسيح ولد فيها؟ لبنان كان وسيبقى هُويَّة لكل مسيحي شريف يقاوم للبقاء في هذه الأرض سواء يعيش فيها أم انتقل للعمل في الخارج لمساندة أهله في السجن الكبير الَّذين يعيشون فيه تحت رحمة جلاديهم ويمشون درب الجلجلة مع معلمهم الأوَّل يسوع المسيح.

المسيحي اللُّبنانيّ اليوم يعيش على مفترق طرق خطير، لذا مطلوب منه

التحـول مـن مسـيحي بالاسـم إِلى مسـيحي بالفعـل، ومـن مسـيحي بالهُويَّـة إِلى مسـيحي بالإيـمان، ومـن مسـيحي مـن الخـارج إِلى مسـيحي مـن الداخـل، ومـن مسـيحي فاتـر إِلى مسـيحي حـارّ بالـروح، ومـن مسـيحي ذمّـي يُقَـرَّرُ عنـه إِلى مسـيحي مقـاوم للهجـرة وزوال الكِيـان.

بين لبناني مأزوم ولبناني مهزوم هجرة قاتلة.

اليأس الَّذي يعيشه شعب لبنان جعله يُنتج السخرية الَّتي يتفق الجميع على أنها نتاج العقول الضعيفة والنفوس المضطربة المهزومة، نعم يجب علينا أن نعترف أننا لم نعد شعبًا يحب الحياة والفرح والمرح، بل حوّلونا إلى شعبٍ مهزومٍ ومأزومٍ، والله أعلم ماذا ينتظرنا؟ فالقضاء اللُّبنانيّ صار مهزومًا بفعل الفساد المالي والسِّياسيّ والتبعية للخارج وكل شيء صار فاسدًا حتى العدالة.

ويبدو أن الأمّة اللُّبنانيّة العظيمة أصبحت أمة تستمتع بدور «المفعول به» خارج الفعل؛ دورها هامشي، مهزومة ومأزومة، ومع ذلك فهي معذورة؛ فالتبعية للخارج لها مقتضياتها، فحين يرد الوزير على الانتقاد الموجه إليه بلغة التخوين والتهديد، فهذا يعني أنه رجل مهزوم ومأزوم وساقط أخلاقيًّا قبل أن يكون ساقطًا سياسيًّا، ولكن السؤال: لماذا نرى الخير مهزومًا ومأزومًا وضعيفًا فيما الشر قوي ومنتصر وفي أحلى أيامه و»جايي صحته»؟ والجواب لأن أهل الحكم عندنا فاشلون، فكل من فشل في إدارة اقتصاد دولته، وكل من خسر شعبيته وجمهوره وكل من يريد أن يلمع صورته يهاجم المواطن الَّذي صار بنظرهم هو الفاسد وهو المتآمر على نفسه.

وفي المقلب الآخر نرى المثقف اللُّبنانيّ وأهل العلم والاختصاص وحملة الشهادات الجامعية يقفون ذليلين أمام السفارات العربية والأجنبيَّة للحصول على تأشيرة هجرة أو عمل للخروج من جهنم اللُّبنانيّة، وفي غالب الأوقات تستفيد سفارات الدول العربية والغربية من هذا الموقف وتساعد المثقف اللُّبنانيّ على الغوص أكثر فأكثر في الإحراج حتى يكاد يلعن نفسه أو يخرج عن تهذيبه المعتاد لكي يصبح لا حضاريًّا في إجاباته؛ لأن هروبه من السجن الكبير ليس كفرًا أو إلحادًا بل اعتراضًا، وفي بعض الأوقات ينظر هذا اللُّبنانيّ المثقف إلى العلى ويشعر أن الله يرى ما يصيبه وهو الَّذي سمح بذلك ولا يحتاج الموقف توضيحًا، فيسكت سكوت المهزوم والمأزوم في حرب طالت ولم يعد لديه فيها لا عدة ولا عتاد للصمود.

بين اللُّبنانيّ المكسور وجبر الخواطر.

بين كسر الخواطر وجبرها لا تتوقف الحياة عند أحد، لذا يتوجب على المواطن اللُّبنانيّ أن لا يَحمل همومًا فوق طاقته، وأن لا يتضايق ويتحسر على الفرص الضائعة أو الَّتي لم يحسن استغلالها، وعليه أن يتذّكر دومًا أنه من المستحيل أن يأخذ الله منه شَيْئًا إلَّا ويعوِّضه وينسيه خسارته؛ فالحياة تحمل وفرة عظيمة وفرصًا عديدة وأفضل مما خسر، وكل شيء عند الله له وقت .

جبر الخواطر في لحظة الضَّعف لا تنسى، ولعل أجمل ما كتب خالد الفيصل عندما قال: «ما يجبر الخاطر إلَّا نبرة الصوت ومن غير صوتك ليس للخاطر جبر». وقال صديق لي أَيضًا: «وما كسر أحدهم خاطري ليلًا إلَّا جبرني الله قبل طلوع الضوء، فتعلمت من حنان الرب جبر الخاطر، وهكذا نجد أنه ليس هناك أصعب من أن يعيش الإنسان حياته مع شخص بخيل في مشاعره لا يأبه لمن حوله يعيش حياته لنفسه، وكأن إسعاد الآخرين غير موجود في قاموسه، ولا قدرة له على فعله حتى ولو عن طريق جبر الخاطر.

وفي الحالات هذه وجب تفوق العقل على القلب، وما أدراكم ما القلب؟ فهو إذا أحب أغمض عينيه عن كل إساءة جاءت من الحبيب حتى امتلاء القلب تمامًا، وهناك الانفجار الكبير وسقوط كل الأدبيات أمام الكرامة الشخصيَّة. وأسوأ ما قد يقدم عليه الإنسان هو جبر الخواطر بالمال، وهنا المصيبة الكبرى عند بعضهم لاعتبارهم أنّ المطلوب هو كلمة طيبة يسعد بها ويجبر بها خاطرًا، أسألك ربِّ أن تذيقنا حلاوة جبر الخاطر.

بين المتنبِّي وكافور والإعلاميّ والحاكم.

كان المتنبِّي يلازم سيف الدَّولة في حلب لسنوات طويلة، وكان الأخير يغدق عليه العطاءات كلما أجاد في مدحه، وذات يوم ضرب ابن خالويه زميله المتنبِّي أثناء وجودهما في مجلس سيف الدَّولة بمفتاح شق وجهه، ولأن سيف الدَّولة لم يتدخل للدفاع عن أبي الطيب المتنبِّي، خرج الأخير من المجلس غاضبًا ، وجمع حقائبه متجهًا نحو دمشق ومنها إلى مصر تلبية لدعوة سابقة من كافور الإخشيدي حاكم مصر والشام، ابن الحبشة صاحب البشرة السوداء والشفتين المتشققتين، وبدأ في مديحه بعدد من القصائد، وفي نفس الوقت كان يعّرض بسيف الدَّولة الحمداني، كما كان يصف كافور الإخشيدي بأنه مثل المسك، وأنه الأفضل بين الملوك.

وبالفعل قام كافور بإجزال العطاء للمتنبِّي، ليس لأنه كان نابغة شعراء عصره بل خوفًا أن يهجوه، ولكن المتنبِّي كان يطمع في أكثر من ذلك، فلما لم يحصل على ما تمناه قرر أن يقوم بهجاء كافور بقصيدة: «عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد، أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيدًا دونها بيدُ»؛ واستمر المتنبِّي في هجاء كافور قائلًا: «من علّم الأسود المخصي مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيدُ؟ أم أذنه في يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردودُ؟ أولى اللئام كويفير بمعذرة في كل لؤم وبعض العذر تفنيدُ، وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السودُ؟».

وفي الختام أترك لكم المقارنة بين مديح أبي الطيب المتنبِّي لسيف الدَّولة وكافور، وبين حفلات التبجيل والتبخير الأسبوعية «لسعادة الحاكم» على الهواء مباشرة وباللبان العُماني الشهير، وكأننا نستعيد التاريخ بعد استبدال قصائد المديح

الصامتة بمديح بالصوت والصورة، والسعر يحدد تبعًا لما تسجله الحلقات من نسبة مشاهدة عالية جِدًّا في الوطن ودول الانتشار اللُّبنانيّ، وبانتظار أن يعيد التاريخ نفسه، وأن يتحول المديح إِلى هجاء بعد أن ينتهي العطاء السخي، وانتظروا حدوث ذلك قريبًا. (صورة كافور العبد الَّذي حكم مصر (.

بين الثرثرة الصامتة والحديث المختصر

يُعدُّ الكلام ثروة تستحق الحماية ضدّ تبديدها بالثرثرة لسببين أساسيين: أولهما: أن عقل الإنسان هو عبارة عن جهاز تأويل، لذا كلما قلَّ الكلام، صَعُب النفاذ للجوهر، إذ لا يوجد ما هو أخطر من أن يصبح الشخص كتابًا مفتوحًا للجميع، وثانيهما: أن كل شيء يمكن أن يتغير بما في ذلك الأفكار والقناعات، لذا كلما قلَّ الكلام، قلَّ خطر تورّط الإنسان في التزامات يصعب الخروج منها، وما زلت لا أفهم ما هي ميزات الغموض والضبابية؟

في اعتقاد سقراط أنه يشترط أثناء التحدث أن تتمكن الكلمات من اجتياز ثلاث بوابات، فالكلمات الصادقة تعبر من البوَّابة الأولى، وإذا لم تكن كذلك فإنها تعود، والكلمات الضرورية تعبر من البوَّابة الثانية، وإذا لم تكن كذلك فإنها تعود أَيضًا، أما الكلمات الطيبة فإنها تعبر من البوَّابة الثالثة، لذلك يعمد كثيرون للابتعاد من المشاركة في الحياة السِّياسيّة والاجتماعيَّة في لبنان رغم أن جميع المقومات متوفرة عندهم، ورغم شعورهم بأن الابتعاد هو خطأ، ورغم أن البعد أحضانه قاسية، ولكن ذلك يبقى أفضل من حياة «أهل السياسة»، وجلب «الدب عالكرم» وشتائم النَّاس .

في لبنان ويلات جبران خليل جبران لم تعد كافية ولو كان لا يزال حيًّا لأضاف ويلات جديدة تبدأ بالويل لوطن إعلامه في أيدي المنافقين، وماله في أيدي اللصوص والقوة في أيدي الجهال. ولا أدري أين ينتهي، فالقائمة تطول؛ لذلك أنصحك صديقي القارئ، بالحديث المختصر مع النَّاس بعد أن أصبح معظم شعبنا «موتورًا» نتيجة الضغوط وفقر الحال والأحوال، والاكتفاء بالثرثرة الصامتة لأن النَّاس تغيروا، حتى من يحبك لم يعد يفهمك أو يتفهم ظروفك، ولم أعد أعرف أين يمكنني أن أصرف كلام محمود العقاد من أن «التقاء فكرتين مثل التقاء مرآتين، وإذا وضعت نفسك في المنتصف تتضاعف إلى ما لا نهاية».

بين ما نفكر فيه وما نقوله وما نقصده معانٍ أخرى.

رغم تطور وسائل التواصل الاجتماعي فإن أكثر ما يعيق التواصل بين النَّاس هو جهلهم حجم التضاد الحاصل بين ما نقوله وما نقصده وما نفكر فيه، وقد يكون للحديث معنى آخر يختبئ بين الحروف، وعلينا أن نستشفه بأنفسنا، فالفرق كبير بين ما نقوله وما نقصده، وما يفهمه الآخرون، فقد أقول شَيْئًا وأقصد غيره، وتفهم أنت غير المقصود؛ وقد أكتب أشياءَ يفسرها النَّاس بشكل مختلف تمامًا عما قصدت بكتابتي، وغالبًا ما تحدث تلك الأخطاء اللفظية لأننا نقول أشياءَ ونقصد دلالاتها المباشرة، بينما يفهمها بعضهم بحسب دلالات لم نكن نقصدها أطلاقًا، إما لأنهم لا يمتلكون القدرة على قراءة أفكارنا ومشاعرنا بشكل صحيح، وإما لأنهم لا يملكون حسن النية .

في لبنان هذه الأيَّام، يبدو أن التزام الصَّمت في كثير من المواقف هو جيد ومفيد، وذلك تفاديًا لسوء الفهم أو الاضطرار إلى التعبير بألفاظ أخرى أكثر وضوحًا، وهو ما نجد فيه عناء وتكلُّفًا يمنع التواصل من تحقيق أهدافه والتفاهم بسهولة، كما أنه من غير المستحب أن نلتزم الصَّمت التام؛ لأنه لن يحرك ساكنًا، وأن نبقى مكتوفي الأيدي دون أن نوضح ما نقصده، ولا شك في أننا سنتحمل جزءًا كبيرًا من العواقب إذا ساءت الأمور أو تطورت الأحداث سلبًا.

وبما أن الخير لا يزال موجودًا في لبنان، ولا يزال يعيش بيننا أناس أنقياء وأتقياء يتقبلون الأعذار، خاصَّة لو كان الخطأ غير موجودٍ أصلًا أو أنه غير مقصودٍ، وفي فرضية وجوده، فإن غضبهم لا يدوم طويلًا ولا يترك آثارًا سلبية، وقد ترتفع الحواجز بين النَّاس بسبب تفسير خاطئ لتصرّف ما أو لكلمة تبدو أقسى على القلب من فقدان الحبيب، ثُمَّ إنه بالمكابرة والفهم غير الصحيح أو الصَّمت، بدلًا من الإقدام والمسارعة في الإيضاح، فإنَّنا نهدم عَلاقات جميلة قدرها لو دامت أن تسعد النَّاس بدل أن تتسبب في تعاستهم وتقضي الظنون الَّتي نبتت في كنف الفهم الخاطئ على أحلامهم.

بين الإنجاز والإعجاز حدِّثني عن لبنان.

توهم اللُّبنانيّون خطأً أن صاحب الإنجاز له عالَم مختلف عن عالمنا هذا. وهذه الأوهام وضعت اللُّبنانيّن في دائرة مغلقة لا تعترف بالإعجاز، خاصَّة مع إصرار بعض وسائل الإعلام اللُّبنانيّة والعربية المكلفة تدمير اقتصاد لبنان منذ عدّة سنوات عبر نشرها لأخبار وتقارير تهدف لزعزعة الثقة بالنقد الوطني والاستمرار في إحباط اللُّبنانيّين لحثهم على اليأس والهجرة، وقد نجحوا نسبيًّا في تهجير طوعي لما يقارب ١٠٪ من شعب لبنان من أصحاب الاختصاص والكفاءة، حتَّى أَنَّهم أوهموا كثيرين بأن البلد لا يصلح، لا بل انتهى ومات لبنان في نظرهم. وإذا أردت أن تُزيل هذا الأفكار من رؤوس من حولك ربما صرت بحاجة إلى أعجوبة أو إلى تحقيق إصلاحات منظورة لتحسين الوضع لجعل بقاء هؤلاء ممكنًا وليس كارثيًّا.

وإذا كان الإعجاز هو تحقيق أمر خارق للطبيعة مقرونًا بالتَّحدِّيات، فإن الإنجاز هو إتمام تأدية العمل المكلف به بإتقان وتميّز، وإذا رأينا أن المفهوم الثاني قد تحقق بصمود الصناعة اللُّبنانيّة، فإن ما حدث يعدّ إعجازًا، وذلك إذا ما نظرنا إلى التَّحدِّيات الَّتي لا تعد ولا تحصى، فنحن في صراع خفي مع أشباح لا يتمكنون من الحديث جهارًا بما يجول في رؤوسهم، بل نحن أمام طغاة جدد يقولون ما لا يفعلون، ويضمرون ما لا يظهرون، هدفهم إفراغ لبنان من أهله، وربما أنت قد تكون الهدف القادم لهم.

ولكن يبقى أنه من حق المواطن اللُّبنانيّ أن يسأل: لماذا كل هذا الإحباط المترافق مع الانهيار المالي غير المبرر؟ ولماذا البحث دومًا عن السَّلبيّات في وقت يجزم الجميع أن لبنان بلد غير مفلس، إنما منهوب؟ وكم نحن بحاجة إلى نظام

سياسي جديد وإلى أصحاب رؤية صائبة! هدفهم الإصلاح وتحقيق مقومات الصمود للمواطن المسكين، وهذا ما يبدو بعيد المنال حاليًّا، ويبدو أن المسار يتجه إلى مصارحة اللُّبنانيّين بقبول التضحية قليلًا في موضوع السيادة، والدخول إلى بيت الطاعة الدَّوليَّة بالتسليم لحكام كوكب الأرض في موضوع الغاز. وما جرى في الانتخابات النيابية الأخيرة يؤكد أن الفريق السِّياسيّ المطلوب منه التوقيع لا يزال في السلطة، وإلى أشهر قادمة حامية دُر، وإن شاء الله تكون خاتمتها قريبة، عندها يمكننا أن نسمي هذا الإنجاز إعجازا، رأفة بالمواطن الممنوع من الحياة في وطنه.

بين روعة حق أعزل وقساوة ظلم مسلح.

لعل المعادلة السائدة في حياة البشرية، والقائلة بحق أعزل وظلم مسلح يتطلب كسرها وقتًا طويلًا وثقافة جديدة تغير سلوك الإنسان وتصرفاته ومفاهيمه الحضارية والإنسانيّة. وفي هذا السياق كتب الأب ميشال حايك في العام ١٩٧٩ يقول: «تطلعوا في الدُّنيا تجدوها على ما كانت عليه في جمعة الآلام، تأملوا في التاريخ تروا أحداثه كلها في فصول ذياك الأسبوع، تطلعوا في المشرق وفي لبنان تبصروا وجه المسيح المعذب، وتقرأوا سيرة الموت وعالم الجلجلة والإنسان المصلوب والتاريخ جمعة حزينة، والبشرية في موكب متصل.»

وفي الواقع لا يوجد في العالم أي توازن في القوى بين معتدٍ وصاحب حق، بين مسلح وأعزل وبين طرف يطالب بحقوقه وآخر يستمتع بظلمه. يروى أنه ذات مرة رفضت السلطات الأميركية إعطاء تأشيرة دخول لأراضيها للكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا مركيز حين دَعَتْه إحدىٰ المؤسسات الأدبية لإجراء حوار حول روايته المشهورة «مئة عام من العزلة»، والَّتي أَهّلَته للفوز بجائزة نوبل للآداب ليقلل من أهمِّيَّة الأمر مجيبًا بمقولته الشهيرة: «إنهم لا يعرفون بأن تأثير الكاتب ليس بجسده، بل بأفكاره، وأفكاري دخلت بلادهم دون تأشيرة دخول».

وما نراه اليوم في واقعنا اللُّبنانيّ يشهد بأن الباطل مهما أوتي من قوة فإنه يبقى ضعيفًا، وأن الحق مهما كان أعزل فهو الأقوى، وقد يظن بعضهم أن الباطل قد انتصر حين يرون الحق محاصرًا، مقهورًا، مغلوبًا لمجرد أنه ضعيف لا يملك القوة ولا من يحميه، ويرون الباطل منتصرًا لما يملكه من سلطة وقضاء، فيظهر قويًّا لا يُطاله أحد، على أن ذلك ليس معناه أن الباطل لا يُغلب، وأن الحق متروك، إنما

هـي حكمـة وتدبـير مـن الله، فالحـق يبقـى قويًّـا مهـما كان أعـزل مجـردًا مـن كل قـوة، وإلا فـما سر البطـش الشـديد الَّـذي يتعـرض لـه أهـل الحـق عـلى أيـدي أهـل الباطـل والقهـر والحبـس والمنـع؟ أو ليـس ذلـك خوفًـا مـن الحـق الصامـد أن ينقلـب عليهـم؟ مسـألة وقـت صدقـوني.

بين غسان تويني وتقهقر أوضاع اللُّبنانيّين.

عشرُ سنوات مضت على غياب غسان تويني الرّجل المثقف الَّذي عاش عملاقًا ومات أبيًّا، عاش شهيدًا حيًّا طَوال حياته وغادر هذه الأرض بعد أن أحب الحياة عليها، رغم المصائب الَّتي ألمت به. غسان تويني عاش لمبادئه رغم كل معارك الظلم وكمِّ الأفواه الَّتي مرَّت بها الصحافة اللُّبنانيّة، هو الَّذي أعطى مهنة الصحافة أجمل توصيف حين كتب بقلمه يومًا: «نحن في مهنة بعضنا يموت فيها مرة، وبعضنا يموت مرتين، بعضنا يموت فيها قبل أن يعيشها، وبعضنا الآخر لا يموت وإن مات»؛ وهذا ما حدث معه بالضَّبط، فقد مات مرتين، مرة يوم وفاته ومرة أخرى يوم استشهد ولده جبران، وهكذا يكون مين خلف، مات.

تراه لو كان غسان تويني لا يزال حيًّا بيننا، ماذا كان يكتب اليوم عن تقهقر أوضاع اللُّبنانيّين وحياة الذل والأزمة الاقتصاديَّة والماليَّة والأخلاقيّة الَّتي يعيشها شعب لبنان؟ أما أنا فقد وجدت الجواب عن السؤال في أجمل ما قالته الإعلاميّة كابي لطيف بعد وفاته حين كتبت: «غسان تويني الرّجل الممتلئ بالحكمة الَّذي يعبق بفلسفة الإغريق والأنبياء وسحر الأيقونات، عاش تَكرارا ومرارًا الَّذي نخافُه فتعايش معه، لكنه عرف أن على هذه الأرض «باطل الأباطيل الكل باطل . غسان تويني مات وهو يكتب ويقول ويعلمنا ويفهمنا: «اتحدوا» ولم نتعلم شَيْئًا.

وفي الذكرى العاشرة لوفاة غسان تويني أستذكر رجالًا كبارًا كتب عنهم الوزير الأسبق للثقافة المثقف غسان سلامة يقول: أين نحن من رؤيوية إميل إده ووطنية بشارة الخوري ودهاء وصلابة كميل شمعون، وتجرّد وهيبة فؤاد شهاب،

وهدوء إلياس سركيس، وجرأة ريمون إده، وفكر شارل مالك، وثقافة غسان تويني، ورصانة سليم وفيليب تقلا وفؤاد بطرس؟ ويضيف: أين نحن من: ثقافة بهيج تقي الدين وقانونية بشير الأعور ووطنية مجيد أرسلان وطموح كمال جنبلاط، وزعامة ورؤية رياض الصلح وصدق ووطنية سامي الصلح وشفافية خالد شهاب؟ بل أين نحن من إقطاع كامل الأسعد الَّذي مات فقيرًا ومن دماثة ونبل عادل عسيران؟ ومع هذا تسألون لماذا وكيف انهار لبنان؟

بين الحق والواجب والوطن المزرعة.

الحق في الحياة هو مصلحة معترف بها ومحمية بأحكام قانونية، ويجب أن يكون في المصلحة منفعة حتى يتشكّل فيها الحق، ولا يكون الحق حقًّا قانونيًّا إلّا إذا كان قابلًا للتنفيذ قضائيًّا، الأمر الَّذي يجعل من الواجب احترامه، وفي هذا السياق قال سماحة الإمام المغيب موسى الصدر: «الوطن حق وواجب، والحق دون واجب هو صفة للمزرعة، والواجب دون حق هو استعمار، وكِلا الأمرين مرفوض، «وفي الحقوق والواجبات نقرّ أن تسبيح الله وتمجيده هو حق وواجب، كما تعلمنا في الكتاب المقدس، وكما نمارسه بالصلاة، كما أنه من الحق والواجب أَيضًا أن نتسلح بالإيمان والصمود في هذه الأرض، وأن نعمل جاهدين لغرس روح المقاومة في نفوس أبنائنا، وأن نكون أقوياء في وجه المحاولات الجادة لتفريغ البلاد من أهلها، وللحقوق أشكال عديدة منها ما هو طبيعيّ، مثال الحق في الحياة الَّذي لا يمكن لأحد أن يسلبه منك، وهو حق طبيعيّ لك لكونك إنسانًا يحيا على أرض هذا الوطن، ومنها ما هو وضعي وهو متغيّر عبر التاريخ ويتبع للقوانين والأعراف الَّتي تسود في كل مكان وزمان.

والحق هو نقيض الباطل، وقد اختلف الفقهاء في وضع تعريفٍ واحدٍ للحق، وذلك لكثرة الحقوق وتنوّعها، فكان من الصعب عليهم الاجتماع على رأيٍ واحدٍ حتى إنّ بعضهم أنكر فكرة الحق بذاتها بوصفه ميزة أو سلطة للشخص يعترف بها القانون، بينما يتجه بعضهم الآخر إلى إثبات فكرة الحق عبر تقسيم الحقوق إلى أنواع عديدة، منها الحقوق السِّياسيّة الَّتي تُمنح للشخص وتمكنه من المشاركة في إدارة الدَّولة مثل حق الانتخاب، وحق الترشح في المجالس النيابية والمحلية، وحقّ تولي الوظائف العامة في الدَّولة، وهناك الحقوق الشخصيَّة الَّتي

تعطى للشخص لكونه إنسانًا، بغض النظر عن جنسيته، سواءً أكان من مواطني الدَّولة أم كان أجنبيًّا، وهذه الحقوق ضرورية للمحافظة على كيان الإنسان المعنوي، ومن دونها لا يكون الإنسان آمنًا على حياته، ومنها الحق في الحياة، والحق في السلامة الجسدية، أضف إليها حقوق الأسرة الَّتي تثبت للفرد بوصفه عضوًا فيها، وهذه الحقوق تتطلب من حاملها تقديم الواجبات أَيضًا مثل حقوق وواجبات الأزواج وحقوق الأبناء وواجبات الآباء في التربية والتعليم والنفقة عليهم وغيرها من الحقوق الَّتي لا مجال لتعدادها هنا.

أما الواجبات فهي متعددة، فهناك الواجبات الأخلاقيّة والواجبات الاجتماعيَّة، فالأولى توجب على الشخص احترام الآخرين ومساعدة المحتاجين وغيرها من الأمور الَّتي تنطلق من الذات البشرية والضمير الساكن داخلها، أما بالنِّسبة إلى الواجبات الاجتماعيَّة فهي مجموعة من القواعد والقوانين والأعراف السائدة في المجتمع الَّتي توجب على الإنسان اتباعها ويجب أن تكون إلزامية، ومن الضروري أن يلتزم الشخص بها لمنع فساد المجتمع، وفي الأخير أرى أَنَّه لا بد من سيادة القانون في لبنان مدخلًا لسيادة مبدأ الحق والواجب، ولتفادي الاستمرار في انتشار الظلم، ولضمان تحقيق العدالة ثُمَّ إكرام الإنسانيّة والحفاظ على أبهى صورها، وذلك من خلال التزام الأشخاص بتأدية واجباتهم، وكذلك التوعية التامة حول حقوقهم.

بين العادة والعبادة والاتكال على الله.

يرى بعض الباحثين في علم الاجتماع أن العادة هي سرطان العبادة، وأن المؤمن لا يحيا إلَّا بالإيمان وبمقدار ما يملك من حسن نية في تعامله مع الآخرين بمقدار ما تزداد مِساحة النعمة في حياته وتتضاعف فرص زيادة حسناته، لذا وجب عليه الحذر من الخلط بين الصَّمت والجهل، وبين الهدوء والقبول، وبين الطيبة والضَّعف وبين الغباوة والذكاء، وبين الوفاء والتبعية، بين القناعة والذل، وبين مَن هم مع الله وبين من هم أعداؤه.

ويبدو أن بعض اللُّبنانيّين باتوا بحاجة إلى سنوات عديدة حتى يستعيدوا القدرة على التمييز بين العادة والعبادة، وبين الشكل والجوهر، وبين الظن والتأكيد، خاصَّة أننا نعيش في مجتمعات لا تقيم للتدبر وزنًا ولا ترهق نفسها بعناء البحث والدراسة، ولا تستخدم مهارات وعقول شبابها في الوصول إلى الحقائق، فضلًا عن رفضها لغربلة تراثها وتنقيته تحت حجج واهية وذرائع تافهة، إضافة إلى مسألة التحرر من التبعية في البحث عن الحقيقة الَّتي تعزز الفكر الصحيح، وليس الجدل العقيم؛ هذا على المستوى الفكري .

أما على المستوى الاقتصادي والمعيشي فقد تولدت لديّ قناعة بأن شعب لبنان يشعر اليوم أكثر من أي وقت مضى بمدى حاجته إلى اقتصاد منتج، وأصبح قادرًا على التمييز بين الخطأ والصّواب، وبين العادة بالاتكال على من يؤمّن له الغذاء وقدرته على فعل ذلك بنفسه، سواء بالزراعة أو بالصناعة، والرد على كل المشككين بقدراته والاتكال على الله لتحقيق الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي والتحرر من التبعية والإبداع في الصناعة والابتكار .

بين التمجيد والتبجيل ومسح الجوخ.

لا أدري كم صار مخجلًا علينا نحن اللُّبنانيّين أن يتحول «مسح الجوخ» في حياتنا اليومية إِلى ثقافة وفن يتقنه معظم النَّاس من أرقى العائلات والطوائف اللُّبنانيّة فيما بين بعضها وبينها وبين زعمائها، ولم تعد تقتصر هذه العادة على طائفة دون سواها، وما أبشع السِّياسيّ الوصولي حين يتحول إِلى مساح جوخ ينقلب ساعة يشاء على فريقه السِّياسيّ الَّذي طالما اعتاش من فتاته كما القرد! لتحقيق النفوذ وجني المال، ويبدو أن التاريخ الأميركي سجل لأوَّل مرَّة منذ سنوات قليلة اعترافًا من الأميركية الأولى هيلاري كلينتون حين قالت: إنها تعلمت مسح الجوخ من العرب، وراحت تستعمل كلمات مثل: «رؤية أوباما وحكمته وقيادته»، وكلنا يتذكر هذه العبارات في السياسة اللُّبنانيّة.

وإذا كنت لا أقبل على نفسي الركوب في قطار «ماسحي الجوخ» في لبنان، وأصر أن لا تكون كتاباتي اليومية إلَّا لسانًا صادقًا لضميري، ولا أسعى من خلال ذلك إِلى منفعة مادية، ويكفيني نعم الله وفي طليعتها الصِحَّة؛ وكل ما أفعله ما هو إلا استنهاض للنَّاس من حولي الَّذين تحول غالبيتهم إِلى جثث بشرية متحركة، ويبدو أن عقولهم أَيضًا أصبحت مخدِّرة، وهي في استعداد تام لقبول ما يقدم لها، كما أن غايتي هي البحث عن نهضة المجتمع اللُّبنانيّ من الواقع المنحوس، مع علمي بأنني لن أجد الكثير من المؤيدين لهذه الأفكار، ولهذا النهج والأسلوب، وأعرف أن العديد من المؤسسات الإعلاميّة لا ترغب في سماع صوتي وأصوات المتفائلين بالمستقبل القادم لأن مهمتهم هي إحباط النَّاس كي تهاجر، وأعرف أن كثيرين لا يبتسمون في وجهي ،وإن فعلوا ذلك فليس إلا خشية من قلمي.

ولعل من سيئات تصرفات «ماسحي الجوخ» أنهم استطاعوا أن يجعلوا

في زماننا هذا وعبر أساليبهم القذرة كل أمينٍ خائنًا، وكل ظالمٍ عادلًا، وكل تافه ناشطًا اجتماعيًا أو إعلاميّا رخيصًا، هذا مع تقديري للإعلام النظيف والإعلاميّين الشرفاء، واللائحة لا تنتهي، ولا يمكنك عزيزي القارئ، أن تتخيل مدى ضرر أمثال هؤلاء في المجتمع اللُّبنانيّ، وهم دائمًا من أصحاب الحظوظ عند تقاسم الجبنة وتوزيع الغنائم وتقاسمها من إدارة البلاد والعباد، واللَّافت أنهم يتأقلمون مع جميع الأوضاع، مات الملك عاش الملك.

بين حب المال وحب الله والجمع بينهما.

بعد اختبار الإنسان للحياة على الأرض بات واضحًا له أن ما يسبِّب الأذيَّة ليس المال بحد ذاته إنما محبة المال الَّتي فاقت عند بعضهم محبة الله، كما أن إعطاء المال أهمِّيَّة زيادة عن اللزوم أحدثت شرخًا بين الأصدقاء، حتى بين أفراد العائلة الواحدة، وقد ذكر المال في الكتاب المقدس في ست وأربعين آية، وقد حدد المسيح شروطه فيها لقبول الإنسان تلميذًا له بالتخلي عن المال، كما حذر من أخطاره في تحقيق الخلاص، وكانت دعوته واضحة لن، نحن البشر، أن نختار بين أموالنا وأمر خلاصنا وأن نضحي بها في سبيل هذا الخلاص؛ لأن المال عند كثيرين من النَّاس صار في منزلة الرب الإله يهتمون ويفكرون به أكثر من الله، وربما أصبح المال ربهم، وبذلك لا يمكنهم الجمع بين ربَّين .

لكن ما العمل أمام هذا الواقع حيث لا يستطيع الإنسان أن يعيش من دون مالٍ؟ وبالعودة إلى الكتاب المقدس نجد أن احتقار المال ليس مطلوبًا بل المطلوب هو أن لا نجعله سيّدًا علينا ينافس الله، وأن لا نكرس له جميع قوانا العقلية والجسدية، كما أنه من الواجب أن لا نجعله عائقًا بيننا وبين إخوتنا في الإنسانيّة، فالمال الحرام كما يقول القديس يعقوب ٥ :٣: «إذا كان بينكم، لا سمح الله، من دخل ذمته شيء مما سرقه أو أجور ظالمة أو تزوير أو غش في التجارة فعليه أن يعوض، إذ إنه لا تغتفر الذنوب ما لم يرد المال المسلوب»، ويدعونا الرب قائلًا: «لا تتخذوا أصدقاء لكم بالمال الباطل، وطوبى للمال الَّذي ينفق في إطعام الجياع والفقراء والمحتاجين والأيتام والأرامل».

كما أن إنجيل متى ٧ :٢٤: قد حدد عَلاقة الإنسان بالمال وبالله حين قال: «ما من أحد يستطيع أن يخدم سيِّدين، ولا أن يعبد ربَّين: الله والمال، ولعل يهوذا

الإسخريوطي هو خير مثال على من باعوا ضمائرهم من أجل المال، وهو الَّذي باع معلمه المسيح الإله بثلاثين من الفضة، ويا لَلأَسَف! نجد الكثيرين في أيامنا يبيعون ضمائرهم وكرامتهم ووطنهم من أجل المال، كما أن المال يمكن أن يكون عائقًا أمام الإنسان لدخول السماء، حيث يقول القديس لوقا: «إنه أسهل أن يدخل الجمل في خرم الإبرة من أن يدخل غني ملكوت الله». وقد يكون حب المال أحيانًا أقوى من حب الله والكمال، فمن أراد أن يكون تلميذًا للمسيح وكاملًا يجب عليه أن يتخلى عن جميع أمواله، ومثال ذلك: عندما قال السيد المسيح للشاب الغني في إنجيل مرقس ١٠:٢٢ حين أراد أن يكون من أتباعه: «اذهب وبع كل شيء تملكه وتصدق بثمنه على الفقراء، فيكون لك كنز في السماء وتعال واتبعني».

وفيما نرى اليوم المواطن اللُّبنانيّ يبحث عن المال لتوفير الحد الأدنى للحياة وتدبير أموره اليومية رغم وجود استحالة كبيرة في تأمين ذلك، نرى أَيضًا أن السعادة قد غادرت أَيضًا بيوت اللُّبنانيّين بعد أن ذابت رواتبهم ومداخيلهم بفعل الانهيار المالي للعملة الوطنية، فعن أي سعادة أرضية نتحدث؟ علمًا أن المزيد من المال لا يعني المزيد من السعادة بعد أن هاجر ٤٠٠ ألف لبناني من النخب المنتجة.

بين الأوبئة القديمة والأوبئة الحديثة والحروب البيولوجية.

تُعرف الحروب البيولوجية أَيضًا بالحروب الجرثومية، ويذكر التاريخ أن أوَّل من استخدمها في العام ١٧٦٣ هي القوات البريطانية والفرنسية المتمركزة في أمريكا الشمالية، وذلك بنشر الفيروسات كسلاح بيولوجي ضد الهنود الحمر بهدف القضاء عليهم نهائيًّا، وهذا ما جاء على لسان أستاذ التاريخ الثقافي والاجتماعي الأمريكي «شلدون واتس» في كتابه: «الأوبئة والتاريخ» الصادر في العام ١٩٩٨، حيث أورد في كتابه: أن قائد الجيش البريطاني آنذاك الجنرال «سير جيفري أمهرست» قرر استخدام السلاح البيولوجي ضد من تبقى من الهنود الحمر للتعجيل في فنائهم.

ووَفقًا لـ «شلدون واتس»، الَّذي يتابع القول: إن القوات البريطانية قد أرسلت في العام ١٧٦٣ خلال الحرب الفرنسية والهندية عدوى مرض الجدري إِلى رؤساء القبائل الهندية ما أدَّى إِلى مقتل غالبية السكان الأصليين بسبب انتشار الوباء، كما تسببت الحرب البيولوجية لضباط جيوش بريطانيا وفرنسا في أميركا في القضاء على الهنود الحمر كليًّا، وبما يشبه الإبادة الجماعية، وذلك عندما جلبوا لهم أغطيةً من مصحَّات الأوبئة الأوروبية محملة بالعديد من أمراض الوبائية المستعصية مثل: (الطاعون، والدفتيريا، والجدري، وغيرها) من أجل حصدهم بأعدادٍ مهولةٍ في وقتٍ قصير، وبالفعل أدَّت تلك الطرق الوحشيَّة لإبادة ٨٠٪ من الهنود الحمر السكان الأصليين لأميركا .

وهكذا يؤكد أستاذ التاريخ الأمريكي «شلدون واتس» أن الحروب البيولوجية والجرثومية ساهمت في إبادة السكان الأصليين لأميركا الشمالية، والسؤال هل نحن اليوم أمام حرب جديدة بعد أن نجحت الكورونا في حصد

٥٠٠ مليون بشري في العام ٢٠٢٠؟ ولكن هل تنتظرنا أوبئة جديدة في الأعوام المقبلة؟ خاصَّة بعد أن اتخذ القرار بذلك سرًّا وعلنًا في مؤتمر دافوس حول المناخ؟ وهل سوف يتم الأخذ بنصيحة بعض العلماء القائلة: «إن خفض عدد سكان الأرض هو الحل الوحيد لمواجهة استنزاف الموارد والاحتباس الحراري وبعض المشاكل العالمية»، احفظوا جيِّدًا، أوبئة جديدة في طريقها إلينا، ويخليكم بصحتكم.

بين الدين والعلم والخالق ولبنان الوطن.

غرقت البشرية في قديم الزمان مئات السنين في الجهل والتخلف، وكان البشر حينها يعتقدون أن من يُسيّرُ هذا الكون هو أنثى نظرًا إلى دورها في العمل والإنتاج والحمل والرضاعة وتقارب الدورة الشهرية عند المرأة مع دورة القمر حول الأرض ٢٨ يومًا، ولأن الذَّكَر لم يكن له دورٌ سوى الأكل والشرب وتلقيح المرأة للإنجاب والتكاثر وقتها، وكما عادت ودرجت هذه العادة في بعض المجتمعات العربية وبعض القرى اللُّبنانيّة ربما بما يعرف «تنبلة الذكور»، وبعد مرور السنين وتغير الحال والأحوال دخل الذكر سوق العمل والإنتاج في حين بقيت الأنثى في المنزل فتغيرت فكرة أنوثة الإله وتحولت إلى ذكورة.

كما برزت قديمًا فكرة توحيد الإله والاتفاق على أن هناك قوة واحدة هي الَّتي صنعت هذا الكون، وتبدلت المعتقدات من عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الحالي، ثم حصلت انقسامات داخل الدين الواحد وتحول المؤمنون إلى مجموعات متناحرة، وارتكبت كما الحال في أيامنا مجازر لإثبات صِحَّة رأي كل منها، واستمر التناحر بين العلماء ورجال الدين، حيث دحضت الكنيسة نظريَّة غاليليو القائلة بدوران الأرض حول الشمس وأرادوا إعدامه، ويومًا بعد يومٍ يظهر العلم صِحَّة نظريته .

كما أنه قديمًا كان رجال الدين يعالجون مرضاهم ويتعالجون هم أنفسهم بطريقة الشعوذة أو بضرب المريض بالسياط لإخراج الشيطان منه، وكانوا يرون أن أي تدخل في حكمة الخالق بالخلق هو كفر وإلحاد، أما اليوم ومع تطور الطب فقد بدأ رجال الدين يلجأون إلى الأطباء طلبًا للشفاء عند إصابتهم بالمرض، وفي المقابل يستند الأطبَّاء عند فشلهم بصلوات رجال الدين لطلب الشفاء لمرضاهم،

وفي كلتا الحالَتين دعونا نترك الخِيار للنَّاس حتى يؤمنوا بما يعتقدون، وتبقى العَلاقة الإنسانيّة أساسًا لترابطهم، وأن تبقى فكرة الوطن الواحد تجمع الجميع بمعزل عن التباين في الرأي لأن الدول الإقليميَّة هي الوحيدة المستفيدة من إذكاء نار النزاعات الدينية في لبنان خدمة لمصالحها.

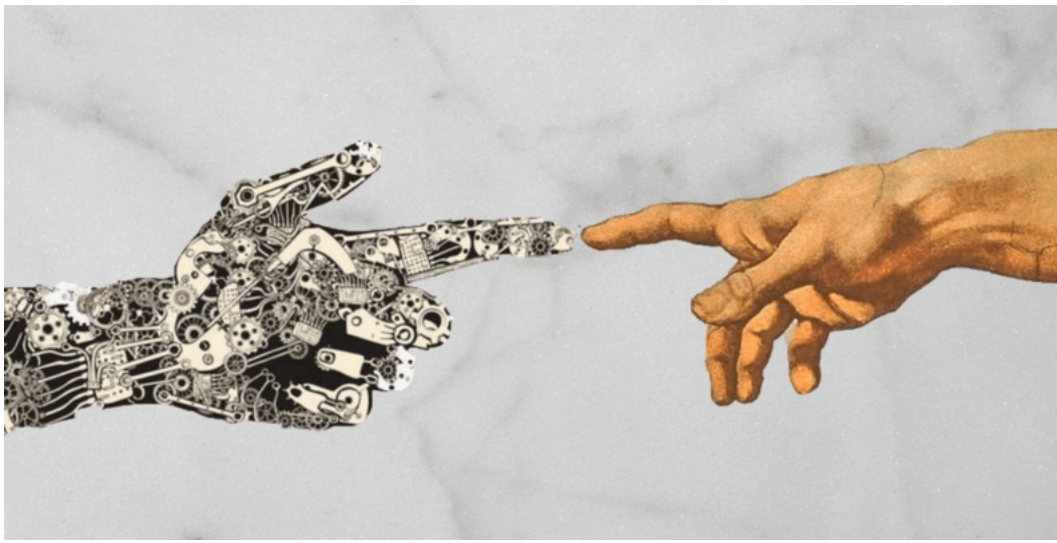

بين الوزير الفرعوني وحكام لبنان والحرام.

تعدّ الخيانة واحدة من أهم القضايا وأعمقها بين الشعوب ما جعل عَالِمِ النَّفس «فرويد» يرد كل مصائب الإنسان إليها، وورد ذكر ذلك في كتاباته في تَكرار عبارة « فتش عن المرأة»، على أن القصة من الجانب الآخر تعرض كيف يكسب الشر المعركة، ولكنه مع ذلك يخسر الحرب، وهذا ما حدث مع يوسف الصديق الَّذي خرج من السجن ليعوض عما ناله من ظلم على الصورة الَّتي أنتجت مع الزمن أمثولة وعبرة لكل من يريد أن يتعظ ويتعلم؛ ولعل تجرِبة زوجة فوطيفار بدأت من اللحظة الَّتي دخل فيها يوسف بيتها، إذ كان كما نعلم في السَّنة السابعة عشرة من عمره، جميل الطَّلة وجذابًا، خفيف الظل، سريع الحركة، ألفاظه جميلة، مفكرًا وعاملًا وديعًا ومتواضعًا.

كما أن يوسف الصديق كان طَوال العشر سنوات الَّتي قضاها في بيت فوطيفار أشبه بالقمر الجميل يزداد تألقًا ونورًا ويتحول من الهلال إلى البدر، وفي المقابل كانت المرأة تراقب هذا الشاب بل كانت تضعف يومًا بعد يوم عن مقاومة ما فيه من قوة رهيبة وسحر، على أن الثاني الَّذي شارك في التجرِبة كان فوطيفار نفسه وأغلب الظن أنه قد وثق في يوسف ووجد فيه الوكيل المصلحة في الحقل والبيت معًا ما جعله ينصرف إلى عمله في بيت فرعون حتَّى أَنَّه لم يجد متسعًا من الوقت في بيته إلا ليأكل ويشرب وينام، وهكذا انصرف عن زوجته والاهتمام ببيته، وترك زوجته وعقلها مرتعًا للشيطان وحيله.

وحال بعض حكامنا لا يختلف عن حال فوطيفار وزوجته الشريرة، حيث عمل بعضهم واجباته بشكل جيد تجاه الوطن في حين قام بعضهم الآخر بضرب السِّياحة بحجة الاقتصاد الحر والمتفلت من الرقابة، وهكذا نرى السِّياحة

في لبنان هي الأغلى إقليميًا، كما أن الأسعار في مطاعم بعض المدن اللُّبنانيّة أصبحت «شرفية» وحسب الزبون، كما قام بعض الوزراء بتوجيه ضربات للصناعة والزراعة من خلال معاداة دول الخليج، وتسببوا في عزلة لبنان، كما أنهم أخذوا البلد إِلى الانهيار الاقتصادي من خلال ربطه بمصالح دول معزولة دوليًّا وعليها عقوبات دَوْليَّة، ومن خلال ربطه بالحروب المذهبية في المنطقة، اليوم يشعر الجميع بمخاطر خراب القطاع المصرفي، والسؤال: ما هي خطتكم لإنقاذ الاقتصاد اللُّبنانيّ؟ وهل سوف تعودون إِلى خطة ماكينزي وتشريع زراعة حشيشة الكيف والأفيون بدلًا من زراعة الحمضيات والخضار والفاكهة وغيرها من الأصناف المحرم تصديرها إِلى الخليج؟ وهل صناعة الكبتاغون ومشتقاته وأخواته، صارت بديلًا من الصناعات الغذائية الَّتي كان يصدّرها لبنان إِلى الخليج العربي؟ بانتظار الإجابة عمَّا نكتب، تصبحون على وطن.

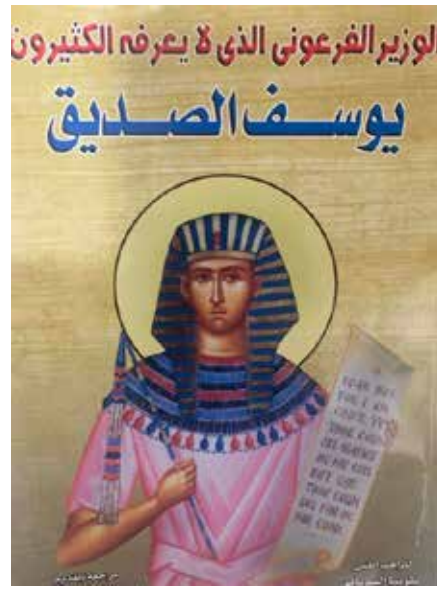

بين الاهتمام بالنَّفس والاهتمام بالآخرين راح العمر.

من المؤكد أن الاهتمام بالنَّفس ليس أنانية، وهذا ما أكده كلام الرب في إنجيل متى (١٦:٢٦) ؛ «لأَنَّهُ ماذا يَنْتَفِعُ الإنسان لَوْ رَبحَ الْعالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ ماذا يُعْطِي الإنسان فِداءً عَن نفسه؟» حتى أن القرآن الكريم حث على الاهتمام بالنَّفس من كل النواحي: (عليكم أنفسكم)، (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه)، (ومن تطوع خيرًا فهو خير له)؛ لذا التساؤل لماذا ننشغل بغيرنا وننسى العناية بأنفسنا؟ من هنا أرى أن تنظيم الوقت والاهتمام بالنَّفس وتطوير الذات والعناية بالصِحَّة تجلب السعادة لنا بعد أن صرنا نعيش مثل آلة ميكانيكية وظيفتها الأساسية في الحياة محصورة بالعمل والإنتاج لتأمين متطلبات الحياة.

كما أرى في هذا الزمن الرديء أن الاهتمام بالنَّفس أولى من الاهتمام بمن لا يستحق ذلك، حيث إن الاهتمام الزائد بالآخرين يفقدنا كرامتنا، وأن كثرة التواضع تجلب لنا المذلة، كما أن الإفراط في الاهتمام بالآخرين ينقص من قيمتنا عندهم، لذا يجب التحرر من الاهتمام بالآخرين على حساب أنفسنا، وتبعًا لتجارِبي في الحياة أرى أن أربعة أمور في عزة النَّفس يجب علينا عدم التساهل والتفريط بها وهي: أولًا: الإفراط في العطاء الَّذي يعلّم النَّاس استغلالنا، ثم الإفراط في التسامح الَّذي يعلم النَّاس التهاون في حقوقنا، ثم الإفراط في الطيبة الَّذي يجعلنا نعتاد على الانكسار، وأخيرًا الإفراط في الاهتمام بالآخرين الَّذي يعلمهم الاتكالية .

وسواء أوقع الخير في محله أم في غير محله، المهم أننا صنعناه، والله هو العارف بما فعل عباده؛ ويبقى خير الأمور الوسط، وإعطاء كل شيء حجمه الطبيعيّ، وإسعاد أنفسنا بأنفسنا، لأن لا أحد تعنيه سعادتنا، لذا يجب علينا الاهتمام بأنفسنا، أصدقائي، والمحافظة على الصِحَّة النَّفسيَّة والتعبير المتزن عن المشاعر، فالكبت لا

بين الاهتمام بالنَّفس والاهتمام بالآخرين راح العمر

يعدّ صبرًا ولا حكمة؛ فالاهتمام بالهوايات هو مصدر رائع للسعادة، كما أن الاهتمام بالآخرين المحتاجين منهم وحبهم يشعرنا بالوجود وبقيمة ذاتنا، وهو من أهم أسباب الاستقرار النَّفسي، ورغم أن الاهتمام بالآخرين يسلب طاقتنا وقوة تحملنا الَّتي نحن بحاجتها فإن أكبر خطأ نرتكبه بحق ذاتنا هو تأجيل اهتمامنا بأنفسنا، ثُمَّ إنّ من مصلحة من حولنا أن نهتم بأنفسنا أولًا، وأن لا نهمشها أو نلغيها .

بين انهيار الدَّولة وفساد الأخلاق ونهاية الاستبداد.

وأخيرًا انهارت الدَّولة اللُّبنانيّة وسقط معها النظام السِّياسيّ اللُّبنانيّ المتعفن غير المأسوف علي،. والقائم على مبدأ تقاسم الجبنة بين الأحزاب اللُّبنانيّة؛ فبعد الانهيار الاقتصادي ها هي قوة القانون وهيبة الدَّولة والسلطة تسقط هي الأخرى مع منظومة القيم والأخلاق والتعليم والثقافة، كل ذلك هو نتيجة لتنامي التكالب لدى العديد من تجار المال والإعلام والسياسة «الله لا يوفقهم» على أن الانهيار الكبير الحاصل يعود سببه الأساسي لانهيار سلطة القانون، وما سبقها من انهيارات للأخلاق والمبادئ والقيم والعادات والتقاليد اللُّبنانيّة، والَّتي أصبحت كلها في لبنان في خبر كان.

على أن السبب الرئيس في انهيار مؤسسات الدَّولة هي قوى الفساد الَّتي كانت ترعاها قوى إقليميَّة ودَوْليَّة تدعي حرصها على المصلحة العامة في وقت شكلت فيه «كارتيل سياسي» ينظم عملية نهب المال العام على أنه «توافق سياسي» حول مواضيع وطنية ليتبيَّن بعدها أن تلك المواضيع أدت إِلى «تنشيف الموارد»، وإِلى سرقة الخزينة، وصولًا إِلى نهب أموال المودعين في المصارف اللُّبنانيّة في وضح النهار، وعلى عينك يا دولة، وفي الجهة المقابلة نرى الحاكم المستبد يعتقد أنه يقدم مثالًا يحتذى به في العلوم المصرفية، وزاد الطين بِلة ممازحة أحد الوزراء للإعلام الأجنبي ودعوتهم للمجيء إِلى لبنان، وتعلم أصول المحاسبة وإدارة البلاد بلا ميزانيات، وهذا الحاكم يظن أنه لن يسقط كما سقط جميع المستبدين، والنتيجة سوف يكتبها التاريخ هزيمة للنظام، وانهيارًا للدولة، وهي متلازمة للاستبداد .

أخيرًا، أرى أن سببًا إضافيًّا وراء انهيار الدَّولة اللُّبنانيّة الَّتي أصبحت تعشق أنصاف المواهب وغير المتخصّصين لتضعهم في كل مراكز القيادة، وهذا

مستنسخ مما حصل مع السوفيات في مطلع التسعينيَّات، وكان أبرز أسباب انهيار الاتحاد السوفياتي، كما أنه من المتعارف عليه أن من يهدم لا يؤتمن على البناء، لذا لا تنتظروا من هذه الزمرة الحاكمة أيّ خير للبلاد والعباد مع حقيقة وجب إدراكها وهي أن هؤلاء هم أكثر المستفيدين من الحرب الاقتصاديَّة والرابحين من انهيار الوضع المالي في لبنان، وهم الَّذين يعملون ليلَ نهارَ على إفشال مؤسسات الدَّولة، فالمستفيد من المشكلة لن يكون جزءًا من حلِّها، بل إن هؤلاء يسعون لإفشال أي بوادر حلول أو معالجات، والخلاص منهم حتمي وضروري .

بين الإيكولوجيَّة في أرمينيا وكسرها في لبنان.

الإيكولوجيَّة أو علم البيئة هو دراسة العَلاقات بين الكائنات الحية بما في ذلك البشر ودراسة البيئة المادِّيَّة للكائنات الحية على مستوى الفرد والسكان والمجتمع والنظام البيئي والحياتي، وذلك بحسب ويكيبيديا. وفي بلاد الأرمن يجري الصيد بشكل مبرمج وتحت إدارة صارمة مستدامة على أن مدَّة السماح به لا تتجاوز ٣ أشهر بالسنة، ولا أحد يخالف القانون، ومنع الصيد البري هو جزء مهم من حماية النظام الإيكولوجي في المقاطعات الأرمنيَّة، وإن عدم ضبط هواية الصيد عند المواطنين كانت ستؤدي، ومن دون أدنى شك، إلى كسر التوازن الطبيعيّ، ثُمَّ إلى انهيار النظام الإيكولوجي.

والمحافظة على النظام الإيكولوجي هو التحدي القادم في توفير الأمن الغذائي للبشرية، وفيما يكتسب لبنان تنوعًا بيولوجيًّا قل مثيله بين بلدان البحر المتوسط، ولا سِيَّما فيما يخصّ النظم الإيكولوجيَّة واستحواذه على بعض أنواع النباتات النادرة، وقد بيَّنت الدراسات أن عدد الأنواع المعروفة في لبنان يصل إلى ٩١١٩ نوعًا، منها ٤٤٨٦ نوعًا حيوانيًّا و٤٦٣٣ نوعًا نباتيًّا، أما من حيث توزيعها على مختلف النظم الإيكولوجيَّة فهو كما يأتي: ٢٢٨٦ نوعًا في المياه المالحة، ٩٨٧ نوعًا في المياه العذبة، ٥٨٤٦ نوعًا على اليابس، ومن المتوقع اكتشاف أعداد كبيرة أخرى غير معروفة حاليًّا قد تناهز ٦٠ ألف نوعٍ، استنادًا إلى المقياس العالمي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، ومفاده أن الأنواع المعروفة في العالم تقدر بنحو ١٣٪ فقط مما تختزنه النظم الإيكولوجيَّة .

ويرى الباحثون في شؤون الغابات والتنمية الريفية في لبنان أن التنوع البيولوجي ـ مع غناه ـ فإنه معرض للتقهقر والاندثار بفعل التخريب الَّذي

أصاب حياة النباتات والحيوانات، ما جعل النظم الإيكولوجيَّة في وضع غير متوازن وفي تطور تقهقري، كما لحق التدهور بعناصر بيئية أخرى غير حية، مثل التربة والمياه، ما زاد هشاشة النظم الإيكولوجيَّة، وإذ أختم مقالة اليوم بكلام البابا فرنسيس القائل: «حين يصبح النهج الإيكولوجي الحقيقي نهجًا اجتماعيًّا، يجب أن تُدمج العدالة في المناقشات حول البيئة من أجل الإصغاء إلى صرخة الأرض وصرخة الفقراء»، ولكن هل اتّباع سكان لبنان لهكذا نهج إيكولوجي سوف يخلص النفوس فقط، أم يخلص الأرض؟ وهل كل ما يجري حولنا هو انعكاس لحياتنا الروحية؟ وهل ابتعادنا من الله تسبب بكل هذه المآسي للبشر والأرض؟ ومتى يأتي الوقت الَّذي يستفيق فيه وزراء البيئة في لبنان من التلهي في معالجة القشور فيما المرض موجود في اللب؟

بين قوانين الحياة والقوانين اللُّبنانيّة ووجهة نظر.

في الحياة خمسة قوانين يمكنها أن تغير مجرى حياة الإنسان تبدأ بقانون الحب مرورًا بقانون الثقة وقانون وجهة النظر، وصولًا إلى قانون القيمة وقانون الحياة، وأبدأ معكم البحث في قانون الحب أولًا، حيث يجب على الإنسان أن يحب نفسه لأنه في اليوم الَّذي يتوقف أحدهم عن محبته لن يغير ذلك شَيْئًا في حياته، أما في قانون الثقة ثانيًا فإنه يجب على الإنسان أَيضًا أن يكون واثقًا من نفسه، وبذلك لن تتغير حياته عندما يتوقف أحدهم عن الثقة به، كما أنه لن يقلل ذلك من ثقته بنفسه؛ وثالثًا في قانون وجهة النظر لا يجب أن يعيش الإنسان حياته لتلبية اهتمامات النَّاس والرد على آرائهم؛ لأنه عندما تتغير وجهة نظر أحدهم به، فذلك لن يغير من وجهة نظره بنفسه.

كما أنه تجب اليقظة في قانون القيمة لأن قيمة الإنسان ليست بقيمة ما يملك من أموال منقولة وغير منقولة من شقق وشركات وأراض، بل إن قيمته الحقيقة هي ذاته، وفي القانون الخامس أي قانون الحياة وجدت أنه ما من أحدٍ يمكنه أن يعرف قيمة الإنسان الحقيقيَّة إلا نفسه، وليس من الضرورة أن يستمر في التعب محاولًا الحصول على الشهرة ولنيل إعجاب الآخرين وما من راضٍ، لذلك عندما يسأل الإنسان من شخص يحبه هل تبادلني الحب؟ فهو لا يشكك في مشاعره نحوه أبدًا، ولا يبحث عن فرصة لخلق مشكلة معه، كما أنه حين يسأله رفيق عمره : هل ستبقى معي؟ هو لا يشكك في وفائه وبقائه ولا ينتظر منه أن يعاتبه على خوفه من رحيله وعدم ثقته في وعوده، كما أنه حين يسأل الإنسان من المقربين له: هل تشعر بالسعادة معنا؟ وهذا لا يعني أنه لم يعبر عن سعادته بوجود الأشياء الجميلة الَّتي يقدمها له في حياته.

بين قوانين الحياة والقوانين اللُّبنانيّة ووجهة نظر.

وفي الخلاصة، وجدت أن بعض الأسئلة بين اللُّبنانيّين لا تحتاج إلى قواعد الخوارزمي، ولا إلى إجابات عقلانية ومنطقية، ولا إلى جدل طويل ونقاشات حادة قد تكون قاتلة للمضمون وللاستمرار في الشراكة بين أبناء الوطن، بل إنها تحتاج إلى كلمات لطيفة وردود مقنعة، وربما تحتاج إلى الطمأنينة في وطن فُقدت فيه القيم والمبادئ الوطنية والأخلاق وسقطت القوانين أو توقف تطبيقها إلا استنسابيًّا على المواطنين اللُّبنانيّين «اللي بزيت»، أمَّا المواطنون «اللي بسمنة» فسيروا وعين الله ترعاكم. تضلوا بخير، أصدقائي، بانتظار الفرج القادم.

بين معاناة لبنان وصبر أيوب «أهلا بها الطلة».

سوف يذكر تاريخ لبنان شعبًا عظيمًا صار اسمه «أيوبُ لبنان»، وذلك من شدة الظلم والفقر والحاجة والعذاب، وليس من أحد من سياسيي لبنان هو أيوب، ولا يوجد أي مُقاربة بين الصابر على الألم والصانع له إطلاقًا، وقبل الدخول في معاناة شعب لبنان والَّتي طالت كثيرًا، لفت انتباهي صباح البارحة، ولدى وصولي إلى مطار بيروت، جمالية من نوع آخر، حيث وجدت طريق المطار بحلّة جديدة بعد تمني وزير السِّياحة اللُّبنانيّ بنزع الصور الحزبيّة تزامنًا مع انطلاق الموسم السياحيّ، وقد لاحظت أنّ أغلبيّة اليافطات قد استبدلت بأخرى ترمز إلى جمال لبنان وتحمل عبارات «أهلا بها الطلة»، كما كان وزير السِّياحة قد أطلق أَيضًا من محيط مطار بيروت حملة سياحية إعلانية بعنوان «مشتاق للبنان طل هالصيفية»، فأهلًا وسهلًا بأهل لبنان في الاغتراب وضيوفه من الأشقاء العرب والأصدقاء الأجانب .

يعيش في لبنان أربعة ملايين «أيوب»، والصبر صار بدو صبر أكبر. وأعتقد أن صبر المحتاجين والفقراء تخطى صبر أيوب، ولكن أليس الشَّعب هو الَّذي جلب الدب إلى كرمه؟ وأليس الشَّعب هو الَّذي أعاد انتخاب الطقم السِّياسيّ نفسه الَّذي خرَّب البلد؟ نعم إنّه هو، ولا حول ولا قوة له، كأنه مخدَّر وصبور على جلاديه كما صبر أيوب وربما تجاوزه، وها هي أجساد اللُّبنانيّين قد أنهكتها الأوجاع وطال صبرها وتوقفت أحلام هذا الشَّعب، وهاجر شبابه وفرغت قُراه، لذا نسألك يا رب، أسرع في شفاء عقول حكامنا وأنت القادر على كل شيء، وخلص شعبك.

بين معاناة لبنان وصبر أيوب «أهلا بها الطلة».

أصدقائي من المؤكد أن السعادة في لبنان ليست حُلمًا ولا وهمًا وليست أمرًا مستحيلًا؛ فبعض الأمور الصغيرة تجعل السائح يشعر بالأمان والسعادة خاصَّة عند رؤيته لهذه اللوحات الَّتي ترحب بزوار لبنان هذا الصيف أو من خلال عرض فيلم وثائقي ترويجي للسياحة في لبنان أو للصناعة اللُّبنانيّة وما إلى ذلك، تمامًا كما بادرت المؤسسة اللُّبنانيّة للإرسال LBC مشكورة على تسويق المدن اللُّبنانيّة في نشرات الأخبار المسائية بدلًا من برامج Talk show الَّتي جلب روادها البلاء على الصناعة، وتسببت بتعكير عَلاقات لبنان مع محيطه العربي، لذا دعونا نتحلى بالصبر والتفاؤل والإيمان بغير استعجال وثقة دائمة بالله، وبأن الأيدي الَّتي تمتد إليه لا تعود فارغة أبدًا.

بين أبي وبيني مشهد مشابه يوم عيد الأب.

كل ما أعرفه عن هذه الصورة أنها صورة أبي «جرجس» الَّذي توفي في حادث سير مؤسف تاركًا للأقدار ستة أطفال يواجهون حياة قاسية مع الوالدة نللي، والعمة جنفياف، والجدة فهدة، والعم جميل، الَّذين كانوا بمنزلة قديسين أحياء زرعوا الإيمان المسيحي في قلوبنا، والمحبة في قلوب بعضنا، وكنت أنا ثالث الإخوة الأطفال في الربيع السادس من العمر.

اسم أبي كان مثالًا للتواضع والإنسانيّة، وكان حين يذكر اسمه يلتقي الجميع حول صفات المغامرة، والكرم، والنبل والطيبة، وكان سماعي لصفات أبي في طفولتي يزيدني إصرارًا بأن أكون رجلًا في المستقبل على صورته، وكان الرب أن أراد ففعل بي ذلك، كما يقول من حولي.

إليك أبي الَّذي أعطيتني وجودًا واسمًا،
ليبقى معي حتى مماتي،
ومنحتني حنانك حتى قبل أن تعرفني وأعرفك؛
ذهبت باكرًا جِدًّا ولم تترك لي منك
غير الصور.
أعاهدك أنك ستبقى
أعظم الرجال في خيالي،
وسوف أتذكر دومًا كلمات والدتي عنك ،
وأخبر بها أحفادك أنك كنت نا صحًا
غير معاقبٍ،
واثقًا غير مراقبٍ؛
كنت رجلًا للعائلة وليس عليها .

بين المعونة العاطفيّة والمعونة الإلهية.

تعودت في حياتي المهنية أن أؤيد دائمًا القرارات العقلانية، وهذا لا يعني أن عقلي لا يطلب المعونة العاطفيّة لتتوازن قراراتي عندما يكون هناك حاجة إلى ذلك، وبحسب اعتقادي تتدرج صفة القرارات عند الإنسان وفق الفئة العمرية للأطفال، ثم المراهقين ثم الشباب الَّذين يميلون غالبًا نحو القرارات العاطفيّة أكثر منها العقلانية.

وفي هذا السياق يقول البابا شنودة الثالث: «إن الَّذين اختبروا الضيقة فقط ولم يختبروا المعونة الإلهية هم قوم لم يفتحوا عيونهم جيِّدًا لكي يبصروا الله».

وهكذا نرى أنه حيث توجد التجارِب نكتشف الله المُنقذ، ونحتاج المعونة الإلهية الَّتي تعطي عزاءً وخلاصًا، كذلك فإن انتظار المعونة ليس طويلًا، وربما تصلك بسرعة البرق، لكن بمجرد أن يرتفع في نفسك صوتُ (الأنا) تتخلّى عنك المعونةُ الإلهية القادمة إليك بقوةٍ سماوية وسترى بعينيك، كما يقول الكتاب المقدس «معونتي مِنْ عند الرب» (مز ١٢١: ٢). ويتابع الرب يقول: إن «شهوة الروح تسندها المعونة الإلهية، فإذا اشتهت الروح خيرًا نجد الله يؤيدها بكل قواه»، والإنسان البار في شهواته المقدسة وفي محاربته للخطيئة لا يقف وحده، بل إن الله يسنده بنعمته، وتسانده الملائكة وأرواح القديسين.

وفي التجرِبة اللُّبنانيّة صرت متأكدًا أنه، وفي كل مرة عندما تعجز الحلول البشرية، تأتي المعونة الإلهية؛ فالله هو المنقذ دومًا، وخاصَّة عندما يظن الجميع أننا أمام هلاك لا محالة، وقد مر على اللُّبنانيّين لحظات صعبة جِدًّا بدا فيها الزمن قد توقف والحياة قد انتهت، فأتت المعونة الإلهية ومسحت قلوب المبتلين بالصبر فحلَّت البركة والراحة، وأكثر من ذلك يجب على اللُّبنانيّ أن يؤمن ويقتنع أن

بين المعونة العاطفيّة والمعونة الإلهية.

لا حياة فاضلة في هذا الشرق الأوسط الملعون من دون أحزان وضيق، وحيث الحاجة إِلى معونة الله ضرورة ملحة لكي نصمد ونقوى في أوقات التجارِب، ولحين مرور العاصفة .

بين الخير والشر والرحمة والغفران.

لـو قـرر كل إنسـان مـن سـكان العـالم منـذ بدايـة التاريـخ أن يعيـش بسـلام ويلجـم الـشر والأذى في داخلـه لكانـت البشريـة عاشـت بهنـاء، لكـن هـذا في جمهوريـة أفلاطـون المثاليـة، أمـا في الواقـع فإنـه منـذ أن دبّـت الحيـاة عـلى هـذه الأرض والخـير والـشر متلازمـان حتـى داخـل الـروح الواحـدة، وأجمـل توصيـف للحقـد جـاء بـه «نيتشـه» في رائعتـه «هكـذا تكلـم زرادشـت»: «إنـه لا ينبغـي عـلى الإنسـان العـارف أن يحـب أعـداءه فحسـب، بـل عليـه أَيضًـا أن يكـون قـادرًا عـلى كـره أصدقائـه». يضيـف «نيتشـه» في كتابـه: «بعـض النَّـاس لا يحـقُّ لـك أن تمـدَّ يـدك إليهـم، بـل كـفَّ الوحـش، وأريـد أن تكـون لكفـك مخالـبُ أَيضًـا».

عـلى أن طريـق الفـردوس يكمـن مـن خـلال الغفـران والمسـامحة لـكلّ الَّذيـن أسـاءوا إلينـا، تمامًـا مثلـما حصلنـا عـلى الخـلاص عـن طريـق حـبّ الآب وغفرانـه لنـا، وتمامًـا كـما قـال القديـس فرنسـيس الأسـيزي «بـأن الغفـران يوصلكـم جميعًـا إِلى الفـردوس»، نعـم في ذاكـرة كلٍّ منـا حتمًـا كلـمات القديـس يوحنـا بولـس الثـاني الَّـذي قايـض الغفـران بالإهانـات الَّتـي وجهـت إليـه في لحظـة مقابـل ابتسـامة، كـما حـدث أنـه فشـل في السـيطرة عـلى مشـاعره المتدفقـة، وبـادر إِلى عنـاق الَّـذي أسـاء إليـه قائـلًا، والدمـوع تسـيل مـن عينيـه: «حقـك عـليّ، أنـا الغلطـان».

ولكـن هـل يقبـل الله بالغفـران للذيـن يعترفـون بأخطائهـم ويرغبـون في العـودة؟ وإذا كانـت الإجابـة عنـد الله وليسـت عنـد البـشر فـإن المشـكلة تولـد عندمـا لا نعامـل إخوتنـا وأخواتنـا الَّذيـن أسـاءوا إلينـا بالغفـران نفسـه الَّـذي منحنـا إيـاه الله، فعندمـا نكـون مدينـين للآخريـن نتوقّـع أن يرحمونـا، إنـما عندمـا يكـون الآخـرون مدينـين لنـا نطالـب بالعدالـة. وإذا كان يسـوع طلـب مـن بطـرس أن يغفـر «ليـس سـبع مـرات بـل

سبعين مرة سبع مرات»، فإنه يجب علينا أن نكون واثقين بمحبة الآب لنا عوض البحث عن العدالة، ولنتذكّر دائمًا كلام الرب يسوع: «فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلّاته». نعم أصدقائي، العالم صار بحاجة إلى الغفران رغم سعي حكام دول ومنظمات عالمية وأشخاص إلى زرع الشر في العالم وتغذية الأحقاد لأن عجزهم عن الغفران جعلهم يدمّرون حياتهم وحياة الآخرين معهم عوضًا عن ترسيخ قواعد السلام والأمان في العالم .

بين القلق السَّلبيّ والقلق الإيجابيّ والخلاص منه.

حين سُئل رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل: هل تعاني القلق؟ أجاب: «إنني مشغول جِدًّا ولا وقت لديَّ للقلق»، ما جعلني أفهم عندما قرأت تصريحه أن الإحباط والقلق هما إحدى نتائج الفراغ، وكلما انهمك الإنسان في العمل، شعر بالرضا والتفاؤل، ولن يجد في قاموسه معنى للإحباط والتوتر أبدًا، وهكذا نجد الفرق بين القلق الإيجابيّ والقلق السَّلبيّ؛ فالأوَّل محفّز للإنجاز، أمَّا الثاني فإن تشرشل قد أجاب عنه .

والإنسان الَّذي لا يقلق في هذه الحياة لا يمكنه التفكير بصورة إيجابيّة ولا يفيد نفسه ولا الآخرين؛ فالقلق هو ناقوس خطر يدق ليدفع الإنسان إلى الأداء بشكل أفضل، وهذا ما يسمى بالقلق الإيجابيّ، كما يقلق الطالب فيدرس فينال النجاح، ولكنه، يا لَلأَسَف! قد يتحول إلى مرض قاتل إذا كان مبالغًا فيه، وقد يؤدي إلى شلل بالتفكير وخسارة الإنسان لعمله، وفيما القلق الإيجابيّ هو ضرورة للإنجاز وتحدي الأخطار ولإحداث التوازن الحيوي الداخلي والحصول على الأمان النَّفسي الَّذي هو غاية كل إنسان للنجاح في الحياة، فإن القلق السَّلبيّ هو مبالغ فيه، وقد يؤدي إلى الشعور بالعجز، ويمكن وصفه بقلق الترقب من شيء غير معلوم أو غير موجود، وهو يمثل عامل تهديد لوجود الإنسان.

وإذا كان رجل الأعمال الأردني طلال أبو غزالة الَّذي صحت جميع توقعاته الاقتصاديَّة السَّلبيّة، يا لَلأَسَف! نراه اليوم يعاود النظر إلى الوضع الاقتصادي العالمي الحالي بقلق إيجابيّ بعد أن كان ينظر إليه بقلق سلبي، لأن القلق الإيجابيّ يدفع إلى المعالجة بدل الاستسلام، وعليه يوافق أبو غزالة رئيس بنك JP Morgan الأميركي الرأي بأن الإعصار الاقتصادي العالمي سوف يزداد شدة

وتزداد معه الحروب قسوة وشمولية إلى أن يصل الكبار في هذا العالم إلى قناعة أنه لا منتصر بينهم في الحرب العالمية الثالثة، هذه بقيادة الصين وروسيا من جهة في مقابل الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا من جهة أخرى، وأن عليهم صياغة نظام عالمي جديد للعالم .

بين طاولة الباكيارد ودموع باميلا وليل حَزيران الطَّويل.

هي باميلا، امرأة بطلة ومثال صادق للإنسانية، وقد استطاعت بمعونة إلهية أن تغير مجرى حياتها وتزيح ظلامًا كاد النَّاس حولها يحسبونه أبديًّا، بعد أن حصد الموت جميع أفراد عائلتها الواحد تلو الآخر، ولكنها لم تخف منه ولم تستسلم له، رغم أنه بقي مرتسمًا في ذاكرتها طول العمر، في سنوات متلاحقة فقدت الأب بالمرض والشقيق الأوحد بحادث سير مع رفيقته وقضى السرطان على والدتها في أقل من أربعين يومًا من ظهور عوارض المرض، وبقيت وحيدة بعد أن خسرت عائلتها ومشت العمر على دموعِها وقلبها يقطر دمًا.

باميلا تملك قلبين: الأوَّل في داخلها، والثاني ينبض في قلوب محبيها والَّذين يعرفونها عن قرب. على هذه الطاولة، وذات مساء من ليل حَزيران وبحضور «وصيفتها الأولى» كارول روت لي قصتها مع الحياة ومع الأقدار المكتوبة وعدم محاولتها فعل شيء. استسلام كامل لمشيئة الله، ما جعل عينيّ تدمعان فرحًا على قوة إيمان هذه المرأة، وحزنًا على أحبة صارت أجسادهم تحت التراب، لكن أرواحهم لا تزال تتناوب على مرافقتها وملازمتها من فوق، وكأن حروف كلمات باميلا كانت تُبرئ نفسها وتقول لي: إنه لا يمكنني أن أعبر عن كل هذه العظمة في الرجاء، عظمة قد تزلزل الجبال وتجمّد البحار وتهطل من السماء كالانهار؛ وتكمل باميلا تروي لي قصتها، قصة فتاة استمرت في الحياة وأحبت وتزوجت وأنجبت طفلتين وكأنّهما ملاكان صغيران حولها، وكان يمكن أن تكتفي بحب العائلة وتعيش بسلام، لكن طموحها تجاوز هذا الحب إلى حب للوطن، فراحت تعمل لساعات طويلة يوميًّا، وسارت في طريق طويل شاق اختارته لنفسها، طريق لا ينتهي قبل الوصول إلى البحث عن حقيقة «أي لبنان نريد لأبنائنا».

باميلا روت لي قصتها كاملة، وكل حرف من حروف كلماتها كان يبكي ألمًا، وقد أعجبني طرحها الأفكار والآراء في العقيدة المسيحية، كما في الحياة، وقد رأيت فيها مثال المرأة الرائدة الَّتي تكره الضَّعف وتناضل دفاعًا عن الَّذين يقعون غالبًا ضحايا غدر الزمان، كما بدا لي أَيضًا من خلال كلامها المنمق الجميل أنها امرأة موهوبة، ما جعلني أرى فيها أنموذجًا نادرًا للنِّساء الشَّديدات اللَّواتي يصعب التواصل مع أمثالهن في هذا الزمن. استمعت إليها مطولًا، وأنا واثق ومقتنع بما طرحته من أفكار استطاعت بها أن تحرك بي عاطفة جياشة حجبت عقلي عن التفكير، وجعلتني أرغب ملازمة هذا الكنز المتلئ بالإيمان، وتحدثت إليها عن أوجه الشبه في حياة البشر، وعن شعوري بشيء لم أشعر به من زمن، مؤكدًا لها رغبتي في البقاء إِلى جانبها أَنًا بعد فقدان أخيها، وهي الَّتي هزت مشاعري بصدق كلماتها تصديقًا لا يقبل الشك.

بين أهل العروس وأهل العريس والعرس اللُّبنانيّ.

بات من المتعارف عليه في توصيف حفلات الأعراس اللُّبنانيّة أنها عبارة عن استعراض للإمكانات المادِّيَّة ومظاهر البذخ لكل من أهل العروس والعريس على السواء على طريقة «شوفيني يا منيرة»، لكن ماذا عن العرس اللُّبنانيّ قبل الأزمة الاقتصاديَّة وبعدها؟ وهل تبدلت العادات بعد تحول العرس اللُّبنانيّ إلى أسطورة من أساطير ألف ليلة وليلة، والإفراط في مظاهر البذخ والبرستيج وناس «مش طايقة بعضها» يجتمعون ويتصورون وتنتهي الحفلة ويستمرون ٣٥٥ يومًا في عرض صورهم على مواقع التواصل الاجتماعي؟ والتوصيف الدقيق للعرس اللُّبنانيّ: «هو عبارة عن مجموعة من البشر من مختلف الفئات العمرية، فايتين طالعين متل المجانين، هرج ومرج وصراخ وكأنهم في فيلم تمثيلي يكتمل مع إطلاق حمامتين في الهواء لزيادة التفاؤل».

ولعل رسالة مظفر باشا متصرف لبنان في العام ١٩٠٣ إلى السلطنة العثمانية خير مثال على الخلل المتوارث في العقلية اللُّبنانيّة لجهة الإفراط في البذخ حين كتب يقول: «إننا قد رأينا في لبنان دورًا أشبه بالقصور، وبذخًا طافحًا في كل مكان، ولكننا لم نر ينبوع الثروة المستفيض منه، وما ذلك البذخ إلا فضلة من فضلات المال، نرى الفضلة ولا نرى الأصل، نرى الوجه السَّلبيّ للاقتصاد، فأين وجهه الإيجابيّ؟ كما أن البابا القديس يوحنا بولس الثاني الَّذي وقع على الإرشاد الرسولي الموجه إلى البطاركة والمطارنة والراهبات في لبنان، كتب لهم قائلًا: «ساعدوا رعاياكم، تخلوا عن حياة البذخ» في وقت أثارت حفلات زفاف أبناء بعض رجال السياسة اللُّبنانيّة الجدل في ظل الظروف الاقتصاديَّة والمعيشية الَّتي يعيشها المواطن اللُّبنانيّ من فقر وجوع وحرمان، حيث تخطت تكاليف بعض

مناسبات الزفاف مبالغ خيالية في أحد أهم الفنادق الفاخرة في بيروت وباريس وغيرها.

وقد تكون جائحة كورونا والأزمة الاقتصاديَّة ساهمتا في غياب مظاهر البذخ والإسراف في الأعراس اللُّبنانيّة نسبيًا، وهذا من حسنات الأزمات، ولو تفحصنا قليلًا في كلمات الكاتب الأميركي هنري دايفيد ثورو حين قال: «إن الغنى ليس في ما نملك، بل في ما نحن قادرون على الاستغناء عنه»، لوجدناها مهمة للتأمل ومراجعة الذات في هذا الوضع الاقتصادي الحالي في لبنان، حيث تعاني شرائح كثيرة من صدمة انهيار «مقدسات» البذخ الاجتماعي في المناسبات الاجتماعيَّة، كما أرى شخصيًّا أن الزواج المدني في لبنان هو طريقة غير مباشرة لمحاربة كل هذه العادات البالية الموروثة، لكن كيف تسير هذه الحرب؟ وما هو احتمال أن ينتصر محاربوها؟

نقولا أبو فيصل

مؤسس ورئيس مجلس ادارة مجموعة غاردينيا غران دور الإقتصادية.

مؤسس ورئيس مجلس إدارة شركة غاردينيا ليبانيز فارم - أرمينيا.

رئيس تجمع الصناعيين في البقاع.

نائب رئيس جمعية "زحلة مدينة للتذوق".

منسق العلاقات الدبلوماسية في جمعية الصناعيين اللبنانيين.

ممثل أرباب العمل في مجلس العمل التحكيمي.

مؤسس جمعية غاردينيا تشارتي فونديشن.

نائب رئيس المؤسسة الإنمائية لزحلة والبقاع.

عن لبنان... لماذا أكتب؟

حقوق الطبع محفوظة

الجزء الثالث - عن لبنان... لماذا أكتب؟

5 281033 135418